

المؤلف الأكثر
مبيعا في العالم

السلسلة الجديدة لنادي السيدات لجرائم القتل

جيمس باترسون

الخطيئة

14

القاتلة

وماكسين بايترو

مكتبة ٧٠٣



703 | مكتبة
سُر مَنْ قَرَأَ

الخطيئة

14

القاتلة

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناجمة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى ٢٠١٩

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لشركة بيت اللغات الدولية

ARABIC edition published by **International Languages Home**.

Copyright © 2019. All rights reserved.

مكتبة

t.me/t_pdf

Copyright © 2015 by James Patterson

This edition arranged through Kaplan/DeFiore Rights

العنوان: 39 شارع خاتم المرسلين - الهرم - الجيزة - جمهورية مصر العربية

تليفون وفاكس: +2 02 37811478 - +2 02 35858900

موقعنا على الإنترنت: www.languageshome-eg.com

صفحتنا على الفيس بوك: @ilh98

لمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: info@languageshome-eg.com



الخطيئة
14
القاتلة

جيمس باترسون
وماكسين بايترو

مكتبة | 703
سُرْ مَنْ قَرَأَ



14th
**DEADLY
SIN**

JAMES PATTERSON
AND MAXINE PAETRO



إشادة بسلسلة روايات جيمس باترسون

لنادي السيدات لجرائم القتل

الخطيئة ١٤ القاتلة

"يقدم باترسون وبايترو روايتهما الناجحة الجديدة. يمكن قراءة كل رواية بشكل مستقل، لكنك سترغب في قراءة جميع روايات السلسلة الأربع عشرة. ستجد أن لديك مجموعة جديدة من الأصدقاء. وكل سطر به من الغموض ما يجبس الأنفاس. إنها رواية لا يمكن تفويتها".

— موقع FreshFiction.com

"لقد فعلها باترسون وبايترو مجدداً في أحدث رواية من سلسلة نادي السيدات لجرائم القتل، وهي عمل جديد يدل على مهارة الكاتب، الذي يقدم روايات متقنة ومشوقة دون ذرة واحدة من الملل".

— آر تي بوك ريفيوز

"يعتبر الكثيرون أن سلسلة نادي السيدات لجرائم القتل هي أفضل سلسلة قدمها باترسون بالاشتراك مع مؤلف آخر. إذا لم يسعدك الحظ بقراءة رواية منها، فإن هذه الرواية ستكون بداية ممتازة. وبرغم أنها رواية تناسب جميع الفصول، فإنها قد تكون الأنسب على الشاطئ لهذا الصيف".

— موقع BookReporter.com

UNLUCKY 13

"تحرك هذه الرواية قارئها منذ الصفحة الأولى. حافظ باترسون وبايترو على الإيقاع وملاً روايتهما بالمواقف التي غالباً ما تحاكي الأحداث في العالم الحقيقي. إنها رواية تمنح متابعي السلسلة والقراء الجدد القدر نفسه من المتعة".

— موقع BookReporter.com

6
"إثارة بلا توقف. قصة رائعة أخرى بقلم باترسون وبايترو".

– موقع FreshFiction.com

"رواية سريعة الإيقاع حتى النهاية. الرواية بها العديد من المنعطفات بحيث تبقى القراء متلهفين لمتابعة الأحداث حتى النهاية. إنها إضافة رائعة لهذه السلسلة الشهيرة".

– ويست أورلاندو نيوز

12TH OF NEVER

"كالعادة، لا يخيب السيد باترسون ظننا أبداً لقد ارتقى إلى جميع التوقعات، وبالطبع... تركنا متلهفين للرواية التالية".

– موقع BaumanBookReviews.com

"يعطي باترسون وبايترو القراء قيمة ما يدفعونه دائماً، وهذه الرواية دليل جديد على ذلك. ستجدون أنها مؤثرة وقوية من البداية إلى النهاية، بل وإلى ما بعد النهاية. وبمجرد أن تبدأ القراءة، لن تستطيع التوقف".

– موقع BookReporter.com

11TH HOUR

"تتسارع الأحداث بسرعة الصاروخ، ولا تتوقف الرواية عن تقديم المفاجآت حتى النهاية. كما أن مفتح الرواية كان جذاباً ومنتقناً. باترسون وبايترو يستهدفان رضا القارئ ويأسرانه من البداية".

– موقع Examiner.com

"كل فصل سريع الإيقاع ومليء بالإثارة والتشويق، وسيحبس أنفاسك من البداية".

– موقع NightsandWeekends.com

10TH ANNIVERSARY

"فصول هذه الرواية قصيرة مشوقة، وأحداث سريعة الإيقاع تحبس الأنفاس. إنها رحلة لا مثيل لها، فلا تفوتها".

– موقع NightsandWeekends.com

"نسج باترسون وبايترو ثلاثة أغاز سريعة الإيقاع تتضافر معا في رواية واحدة مشوقة نوصي بها بشدة".

– لايبيراي جورنال

THE 9TH JUDGMENT

"هذه الرواية تمثل كل ما يجب أن تكون عليه روايات الإثارة والغموض الممتازة. إنها تصدم القارئ وتجعله يتابع الأحداث بكل شغف وصولا إلى صفحة النهاية".

– موقع BookReporter.com

"رواية جديدة بقلم باترسون وبايترو لمعجبيهما المخلصين الذين لا يملون ما تجود به قريحتاهما".

– موقع: TheReviewBroads.com

THE 8TH CONFESSION

"كانت النهاية مذهلة لدرجة أنني تمنيت أن تكون بحوزتي رواية أخرى لباترسون كي أبدأ فيها على الفور".

– موقع Bookalicio.us

"إثارة وغموض وجرائم قتل مرعبة".

– بابلشرز ويكلي

"رواية جديدة بطابع روايات باترسون المميز – لابد من قراءتها".

– موقع TheNovelBookworm.com

7TH HEAVEN

"رواية ممتازة من روايات باترسون تصلح لمعجبيه القدامى وكذلك لقراء السلسلة الجدد".

– موقع TheRomanceReadersConnection.com

"رواية محبوكة سريعة الإيقاع ذات شخصيات شديدة الجاذبية. لذا يمكنني بسهولة أن أفهم سبب شعبية هذه السلسلة، وأرغب في المزيد!".

– آركون ريكورد- كورير (أوهايو)

THE 6TH TARGET

"تحفة فنية جديدة".

– موقع 1340magbooks.com

"رواية شديدة التشويق، من النوع الذي لا يكتبه سوى باترسون".

– موقع EdgeMiami.com

THE 5TH HOREEMAN

"هؤلاء الذين لم يقرأوا أيًا من سلسلة نادي السيدات لجرائم القتل يخدعون أنفسهم".

– موقع BookReporter.com

"رواية عذبة ورائعة... باترسون رائع كالعادة".

– موقع NewMysteryReader.com

4TH OF JULY

"رواية مذهلة مشوقة، ويجب قراءتها".

– موقع ReccasReads.com

"رواية قوية مليئة بالأحداث غير المتوقعة. وبمجرد أن تبدأ في القراءة لن يمكنك التوقف. ولن تندم على اقتنائها".

– موقع EdgeBoston.com

3RD DEGREE

"اشتر هذه الرواية؛ فمن خلالها ستفهم لماذا يطلقون على باترسون المؤلف صاحب الأعمال الأكثر جاذبية في العصر الحالي".

– موقع Bestsellersworld.com

"رواية مذهلة ومرعبة. التشويق لا ينتهي في هذه الرواية، والحبكة مبهرة".

– موقع Myshelf.com

2ND CHANCE

"بطولات ملهومات، وحبكات ثانوية مشوقة وإيقاع سريع مشوق. يقدم باترسون رواية تشويق جديدة من سلسلة روايات نادي السيدات لجرائم القتل".

– مجلة بيبول

"رواية تشويق رائعة سريعة الإيقاع لصاحب المؤلفات المشوقة الأشهر في الوقت الحالي".

– سان فرانسيسكو كرونكل

"عمل ممتاز جديد من باترسون. رواية تشويق من الدرجة الأولى، مليئة بالألغاز والأحداث غير المتوقعة والمشاهد القوية".

– بابليشرز ويكلي (مراجعة متميزة)

1ST TO DIE

"لا أستطيع أن أصدق مدى مهارة باترسون. إنه بارع دائماً".

– لاري كينج، يوس إيه توداي

"يكتب باترسون كل مشهد ببراعة منقطعة النظير، بكل تفاصيله الدقيقة، ما يبرز ملامح الشخصيات ويقوي الحكمة الدرامية. هذا كله يجعل القارئ يرى الصور تتوالى أمامه كأنه يجلس في دار سينما".

– مايكل كونيلي؛ مؤلف *Nine Dragons*

"إن منعطفات الرواية الذكية والحبكات الفرعية المتقنة تبقي القارئ مشدوداً للرواية حتى آخر صفحة".

– مجلة *بيبول*، (صفحة الكتب المتميزة للأسبوع)

"رواية مثيرة للغاية".

– شيكاغو تريبيون

"هذا العمل المشوق سريع الإيقاع والصادم سيجبرك على قراءته والانتهاه منه في جلسة واحدة".

– دنفر روكي ماونتين نيوز

إلى سوزي وجون، وبريندان، وأليكس، وجاك!

الجزء الأول

الفصل ١ مكتبة

t.me/t_pdf

كان صباحًا مشمسًا من شهر مايو، وتحت شمسهِ المشرقة انطلق جو موليناري نحو المتنزه بصحبة كلبته مارثا الذكية والظريفة، وجولي صغيرته الرضيعة البالغة من العمر تسعة أشهر.

كانت جولي داخل حمالة الأطفال، يلاصق جسمها صدر أبيها العريض، وكانت ترفع بصرها من وراء كتفه وتلوح بأصابعها نحو البحيرة، واثقة تمامًا بأنها كانت تتفوه بكلمات حقيقية، وأن والدها سيتبع توجيهاتها بكل سعادة. قال جو للطفلة: "هل تحملين رخصة لإلقاء مثل هذه التوجيهات؟".

"بكل تأكيد"، هكذا أجاب جو نفسه بأفضل نبرة استطاع بها تقليد صوت جولي، لو كانت قادرة على التحدث بالطبع. وأكمل: "نحن نعرف مَنْ المسئول هنا يا أبي. وكل ما عليّ هو أن أشير بيدي وأغمغم بكلماتي الواثقة. هيا! سأسألك حتى المقاعد هناك، بالقرب من البط".

عبث جو بشعر جولي، ثم قبض بإحكام على سلسلة مارثا، وراح يتأمل المشهد من جديد. مسح بعينيه الطريق إلى المقاعد، متأملًا الأشخاص الذين يسيرون بصحبة كلابهم، وعربات الأطفال، وظلال الأشجار، وحركة المرور التي يمكن رؤيتها من خلف مياه البحيرة. ثم توقف قليلاً لتأمل رجل في منتصف العمر يدخل سيارته، ويحرق بتركيز في هاتفه.

هذه كانت عادات جو كعميل فيدرالي سابق، ورجل كان حتى وقت قريب نائب مدير الأمن الداخلي، وقد صار الآن مستشاراً متخصصاً في إدارة المخاطر للشركات الكبرى والوكالات الحكومية وغيرها من الهيئات الأخرى. ومنذ ستة أشهر، التحق جو بوظيفة يقضي فيها ثماني عشرة ساعة في اليوم، ويمارس عمله في أغلب الأحيان من مكتبه في غرفة النوم الاحتياطية. لقد كان يعمل على مشروع متشابك، مليء بالتعقيدات العملية والسياسية. لكنه شعر بالرضا حيال ما آل إليه هذا المشروع. وهكذا استقر بارتياح على مقعد شاغر يطل على جانب من البحيرة يسبح على صفحته مجموعة من البط. ضحكت جولي وضربت الهواء بقبضتها بينما كان جو يخرجها من الحمامة ويجلسها على حجره. جاءت مارتا وحاولت لعق وجه جولي مداعبة إياها، لكن جو تدخل وجذب كلبته البوردر كولي إلى جانبه. كانت جولي تحب مارتا، وظلت تغمغم ضاحكة بكلامها غير المفهوم. ثم قطع هذا الجورنين هاتف جو. لم تكن النغمة المخصصة لرقم زوجته ليندسي. أخرج الهاتف من جيب قميصه، ورأى أن المتصل كان بروكس فيندلاي، المدير التنفيذي الذي كلفه بمهمة في ميناء لوس أنجلوس. تخيل جو الرجل - كان لاعباً سابقاً في فريق كرة القدم لطلاب الجامعات، وكان لائقاً بدنياً، بشعر أشقر خفيف، وغمازتين جذابتين.

كان من الغريب استقبال مكالمة من فيندلاي في هذا الوقت المبكر من الصباح، ولكن جو أجاب على الهاتف.

قال فيندلاي: "جو. معك بروكس فيندلاي. هل هذا وقت مناسب للتحدث؟". كان يشوب نبرة فيندلاي بعض البرود والفتور، ما جعل جو في حالة تأهب. ما خطب فيندلاي بحق السماء؟

الفصل 2

قال جو لفيندلای: "يمكنني التحدث، لكنني لست أمام حاسوبي".

رد فيندلای: "ما من مشكلة في ذلك. اسمع يا جو، أنا مضطر لإلغاء اتفاقنا. الأمر لا يسير على ما يرام. أنت تعرف الوضع".

قال جو: "في الواقع، أنا لا أعرف الوضع. ما المشكلة؟ أنا لا أفهم".

ظهر حشد من الصبيان الصفار أمام جو، وكانوا يتصايحون ويركلون كرة قدم على الطريق الأسفلتي. وفي الوقت نفسه، كانت الرضیعة تملي على جو مجموعة جديدة من التوجيهات. وضع جو يده على معدتها وتمنى ألا تبدأ بالصراخ؛ فجولي يمكنها الصراخ بشكل صاخب للغاية.

أردف جوقائلاً: "هل تسمعي يا بروكس؟ لقد أنفقت الكثير من وقتي على هذا المشروع. أنا أستحق تفسيراً وفرصة لتصحيح الـ...".

"شكراً يا جو، لكن الأمر خرج من يدي. سنتولى الأمر من هنا. اتفقنا؟ لا تزال اتفاقية عدم الإفصاح سارية بالطبع، وبالنسبة للشيك، فقد أرسلته بالبريد. اسمع، لدي مكالمة واردة، وعليّ الذهاب. اعتنِ بنفسك". وانقطع الاتصال.

ظل الهاتف في يد جو لبضع لحظات قبل أن يعيده إلى جيبه. يا للعجب. هكذا دون اعتذار، أو حتى تفسير لحفظ ماء الوجه! الأمر يشبه عملية بتر سريعة وشرسة.

أخذ جو يسترجع محادثته الأخيرة مع فيندلاي، بحثاً عن أي مؤشرات لم ينتبه لها، أو تلميح بشكوى ولو من بعيد، ولكنه لم يتوصل لشيء. لقد بدا فيندلاي سعيداً بعمله في الواقع، وكان جو على يقين من أن تحليله الأولي حول الإجراءات الأمنية الخاصة بالحاويات في ميناء لوس أنجلوس كان ممتازاً. إنه لم يتوقع هذا حقاً.

بعد تجاوزه للصدمة والارتباك، تأمل جو واقعه الجديد. الأمر لن يقتصر على مجرد خسارة في الدخل، فهناك الخزي الناجم عن اضطراره لشرح هذا الأمر لأول شخص سيجري معه مقابلة للحصول على وظيفة جديدة. كانت هذه الفكرة لا تحتمل.

أراد الاتصال ب ليندسي، لكن لماذا يفسد يومها هي أيضاً؟ نظر جولابنته التي صارت متململة، وقال: "هل يمكنك تصديق ذلك يا جولي؟ فصل والدك لتوه، عبر الهاتف هكذا ببساطة".

ثم أعاد الطفلة مرة أخرى إلى الحماله، فرفعت يدها ولمست وجنته. "أنا بخير يا جولي. أظن أن علينا جميعاً العودة إلى المنزل الآن. أرغب في كوب من مخفوق الموز، فما رأيك؟".

بدت جولي وكأنها على وشك البكاء. كانت الطفلة الصغيرة تعكس مشاعره.

قال جو: "لا بأس يا عزيزتي. لا تبكي. يمكننا العودة لرؤية البط في وقت لاحق، بل يمكننا العودة كل يوم خلال الفترة القادمة. سأضع لك بعض قطع الخوخ في المخفوق، اتفقنا؟ أنت تحبين الخوخ".

ثم ردَّ جو على نفسه مقلداً صوت الرضيعة: "بكل تأكيد يا أبي"، وجال ببصره عبر الحديقة ثم وقف حاملاً جولي.

"هل أنت جاهزة يا مارثا؟ هيا يا فتاتي الطيبة". نبحت الكلبة وقفزت، فتركها تتحرك بحرية حتى غادروا المتنزه، ثم سحبها برفق بينما شقا طريقهما عبر مجموعة من البنايات باتجاه المنزل.

في ذلك الوقت، لم يكن جو يفكر في الفاكهة أو الثلج أو مخفوق الموز، بل كان يفكر في فيندلاي، متخيلاً هذا اللعين الجبان وهو يدور ويدور بلا توقف داخل الخلاط.

مكتبة

الفصل 3

t.me/t_pdf

في ذلك الصباح، كنت أجلس على مكتبي بينما كان الضوء يتدفق من النوافذ المطلة على شارع بريانت ويفطي فرش الأرضية في غرفة مخفر الشرطة.

كان شريكى المفتش ريتش كونكلين يقف خلفي إلى اليمين، بينما كان وارين جاكوبي رئيس الشرطة يقف متمللاً خلفي من جهة اليسار.

قبل بضع سنوات، أصيب جاكوبي برصاصتين، واحدة في ساقه والأخرى في وركه، ما جعله يهرم قبل الأوان. كان مثقلاً بحوالي خمسين رطلاً من الوزن الزائد، ومفاصله تطقطق كلما سار، بينما قضى الألم على حس الدعابة اللاذع الذي كان يتمتع به.

قال: "انتظري حتى تري هذا"، وأعطاني أسطوانة مدمجة، وتهد بصوت عال بينما كنا ننتظر أن يبدأ "حاسوبي البطيء اللعين" في العمل.

وضعتُ الأسطوانة في محرّك الأقراص، فأصدر أزيزاً، ثم ظهر على الشاشة مقطع فيديو بتاريخ اليوم في الساعة ٣:٠٦ فجراً. كانت الكاميرا مثبتة أسفل أحد أعمدة الإنارة ذات الضوء المرتعش في مربع سكني شبه مهجور بحي تندرلوين، وهو الحي المعروف بخطورته. كانت الصورة مشوشة، ما يدل على أنها كاميرا مراقبة رخيصة تستخدم كدعامة للعمود أكثر من كونها أداة للتصوير.

قال جاكوبي: "إنه شارع إيس، وهؤلاء هم الحثالة"، ثم أشار بإصبع مكتنز شبيه بالنقانق نحو ثلاثة ظلال لأشخاص يظهرن في المشهد. كانوا رجالاً يرتدون قبعات سوداء وسترات زرقاء خُطَّ على ظهرها بحروف بيضاء هذه الكلمات: قسم شرطة سان فرانسيسكو. كان هؤلاء الرجال يحملون بنادق آلية ويتحركون بثقة نحو متجر لصرف الشيكات مفتوح طوال ساعات الليل، تعلق نافذته لافتة صفراء تقول: بايدي لونز لتسييل وصرف الشيكات.

اعتدت في جلستي، ثم استدرت متطلعة إلى جاكوبي.

ما هذا بحق السماء؟

قال جاكوبي: "اللعنة على هؤلاء الأوغاد. يصعب عليّ رؤيتهم. ألا يمكنك أن تزيد من دقة الصورة؟"

رددت قائلة: "ما تراه هو أقصى ما يمكن رؤيته".

لشوان طويلة وقاسية، شاهدنا رجال الشرطة هؤلاء يتقدمون على طول الشارع التجاري المظلم الذي تصطف على جانبيه مبان منخفضة. وأخيراً، توقفوا أمام واجهة المتجر المضاءة ودلفوا من الباب في صف واحد.

بعد لحظات، انطفأت الأنوار داخل المتجر. ثم انفتح الباب على مصراعيه فجأة، وخرج أحد رجال "الشرطة" حاملاً حقيبة كتف تحت ذراعه، وتلاه الرجلان الآخران، اللذان كانا يحملان حقيبتين مماثلتين.

وبعد أن صاروا يسيرون في مواجهة الكاميرا، تطلعتُ فيهم باحثة عن أي علامة مميزة في وجوههم - أي شيء يمكنه مساعدتنا عند إدخاله في أحد برامج التعرف على الوجوه.

لكن الوجوه كانت كلها متشابهة.

وأخيراً فهمت السبب. كان الأشرار يرتدون أقنعة من اللاتكس تخفي ملامحهم تماماً. بعد خروجهم من المتجر بلحظات، ابتعد الرجال المرتدون سترات الشرطة عن نطاق الكاميرا سريعاً.

قال جاكوبي: "يا إلهي. فليخبرني أحدكم، أرجوكم، أن هؤلاء الرجال لا ينتمون إلى الشرطة".

الفصل 4

شعرتُ بالغثيان مما شاهدته للتو في مقطع الفيديو. ومثل جاكوبي، كنت أأمل أن يكون ما شاهدناه مجرد عملية سطو مسلح يقودها رجال يحبون المزاح لا أكثر، لا ضباط شرطة فعليين.

سألت جاكوبي: "هل نجم عن هذا أية وفيات؟".

رد قائلاً: "حالة واحدة. لم يفصح المالك عن رقم الخزانة السري فأطلقوا النار عليه وأردوه قتيلاً. لقد تبادل بضع كلمات مع المسعفين قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة بفعل النزيف الشديد. أخبرهم أن رجال الشرطة هم من فعلوا ذلك. كما تم استجواب الفتى الذي كان يعمل في مسرح الجريمة، والذي قال إن خزانة الطابق الأرضي كانت تحتوي على حوالي ستين ألف دولار".

أطلق كونكلين صفيراً طويلاً.

واصل جاكوبي حديثه قائلاً: "هذه هي الجريمة الثانية من النوع نفسه. قبل بضعة أيام، سرق ثلاثة رجال في قبعات وسترات الشرطة متجراً إسبانياً. لم يسفر الهجوم عن وفيات، لكنها كانت عملية سرقة ضخمة أخرى. ولست بحاجة لأن أقول إنه يجب إيقاف هؤلاء الرجال، وإلا سيلا م كل رجل وامرأة يرتدون زي الشرطة على هذا سواء كانوا مذنبين أم لا".

أومأنا أنا وكونكلين موافقين، بينما واصل جاكوبي الحديث.

"فرقة مكافحة السرقات تعمل بالفعل على هذه القضية، لكنني أخبرت برادي بأنني أريد أن يعمل كلاهما معهم بعد أن أصبحت لدينا جريمة قتل. هل تعرفين فيليب بيكلني يا بوكسر؟ إنه رئيس فرقة مكافحة السرقات. اتصلي به. أنت وكونكلين ستعملان مع رجاله. هذه هي أهم قضية لدينا الآن". قلت: "الأمر تحت السيطرة يا سيدي".

غادر جاكوبي المخفر ساخطاً وهو يغتمم لنفسه.

ربما تقوم فرقة مكافحة السرقات في الوقت الحالي بتمشيط شارع إليس بينما يعمل الخبراء الجنائيون على فحص مكتب بايدي لونز لتسييل وصرف الشيكات. وكل ما نأمله الآن أن يكون بينهم شخص واثق، أو أن تترك هذه العصابة المحترفة أي دليل خلفها.

اتصلت بفيل بيكلني وكررت عليه تعليمات جاكوبي؛ فأخبرني بما يعرفه عن القضية حتى الآن.

قال الرقيب فيل: "حتى الآن ممنوع الاقتراب من مسرح الجريمة. لقد منع فريق التحقيق الجنائي الدخول إلى حين الانتهاء تماماً من عملية الفحص، وهو ما سيحدث غالباً في وقت لاحق من هذا اليوم".

وأخبرني أنه سيحضر لنا لقطات من أول عملية سطو مسلح لعصابة سترات الشرطة، ذلك الذي كان على المتجر الإسباني.

وقال: "مقطع الفيديو صار تحت يد المدعي العام، لكنني سأطلب الحصول على نسخة لأجلكم في أسرع وقت ممكن".

اتصلت بالشرطة الإدارية وطلبت الحصول على كشوف ساعات العمل لجميع أفراد الشرطة من جميع الرتب في المخفر الجنوبي؛ فربما يمكننا وضع قائمة برجال الشرطة ممن لم يكونوا بالخدمة عند حدوث عمليتي السطو هاتين.

وبالنسبة لي، كان السؤال الأول هو: هل كان هؤلاء اللصوص رجال شرطة حقيقيين، أم أنهم مجرد محتالين في ملابس الشرطة؟ في كلتا الحالتين، لقد منحهم زي رجال شرطة مهلة قصيرة قبل أن يكتشف الضحايا أنهم تحت التهديد.

أعد شريكي الطيب شطيرتين وأعددت أنا القهوة، ثم استقررنا في مكتبينا المتواجهين، وشمرنا عن سواعدنا استعداداً للعمل على هذه الجريمة الغامضة.

الفصل 5

بعد ساعات من محادثتي مع فيل بيكلني، كنا أنا وكونكلين لا نزال في انتظار أن يرسل مكتب المدعي العام مقطع الفيديو الخاص بأولى سرقات عصابة سترات الشرطة التي تم اكتشافها. نظرتُ إلى ساعتني، فوجدت أنني لا يزال بإمكانني اللحاق بالموعد. أخبرت شريكي أنني سأعود بعد ساعتين، ثم أضفت: "لديّ موعد ولا أستطيع التأخر".

فتح ريتشي درج مكتبه، وأخرج علبة صغيرة ملفوفة بالورق المزركش ومزينة بشرائط قماشية مع بطاقة تهنئة، وسلمها لي وهو يبتسم ابتسامة عريضة قائلاً: "هذه هدية كبير. حاولي أن تحضري معك قطعة من الكعكة". ريتشي رجل وسيم؛ ولحسن الحظ، استطاع تجنب الغرور الذي غالباً ما يُبتلى به الأشخاص الوسيمون.

التقطتُ هديته، بالإضافة إلى الهدية التي كنت أضعها في درج مكتبي العلوي، ثم توجهت إلى سيارتي في ساحة الانتظار الموجودة على الجانب الآخر من الشارع وانطلقت. وبعد مرور عشر دقائق وعبور شارعين ملتويين، أوقفت سيارتي الإكسبلورر العتيقة أمام نادي باي كلوب. وضعت بطاقة هويتي الشخصية على لوحة القيادة، ثم تراجلت من السيارة وتوجهت إلى مطعم مارلو الرائع المشيد بالأحجار، والمزينة نوافذه الزجاجية الكبيرة بمقولات عن الشراب والطعام.

حدقت عبر الزجاج الأمامي، فرأيت يوكي وكليير تجلسان في الخلف على طاولة أعدت لأربعة أشخاص، وقد بدتا مستغرقتين بشدة في حديثهما. ومن تعبيرات وجهيهما، بدا أنهما مختلفتان حول أحد الأمور وتتجادلان بشأنه. دلفت عبر الباب إلى داخل المطعم المتوهج بالأنوار، والمصمم على الطراز الصناعي. رأيتي يوكي على الفور، وتطلعت إليّ وكأنها تنتظر من ينقذها.

نادتني رافعة صوتها ليغطي على صوت المحادثات الصاخبة التي تدوي داخل المكان المبنى بالقرميد والصلب: "هنا يا ليندسي".

توجهتُ نحو صديقتي، ووقفتُ كليير لمعانقتي. كانت تبدو رائعة في بنطالها الأسود، وكنزتها ذات الياقة المثلثة، وقلادة الفراشة الماسية التي تزين عنقها. غالباً ما تحاول كليير اتباع حميات غذائية لإنقاص بعض وزنها، لكنني أرى مظهرها مثاليًا دائماً.

قلت: "أحبك أيتها الفراشة. عيد ميلاد سعيداً يا صديقتي".

ضحكت وقالت: "وأنا أحبك يا ليندسي".

عانقتني مجدداً، وجلستُ على المقعد المقابل لها بجانب يوكي. كانت يوكي ضئيلة البنيان وقد ارتدت حلة زرقاء أنيقة، بينما كان شعرها الناعم ينسدل على ياقة حريرية بلون القشدة، وكانت تزين عنقها بعقد من حبات المرجان. عندما رأيت يوكي آخر مرة قبل أسبوع، كانت تبدو أكثر سعادة مما بدت عليه الآن.

سألتها: "هل أنت بخير؟".

قالت: "أنا بخير".

عانقتها، وبينما كنت أعلق سترتي على ظهر المقعد، ظهرت سيندي أخيراً، واقتربت من طاولتنا، وكانت مشرقة مثل زهرة ندية تتوهج تحت الشمس.

بدأت دورة جديدة من العناق والتقبيل، قبل أن تضيف سيندي هدية جديدة إلى كومة الهدايا المزينة بالورق الملون والشرائط اللامعة على الطاولة. وبعد تبادل التحيات أشرتُ إلى النادل.

كنت متشوقة حقاً لتناول طبق المطعم المخصوص: شطائر الهامبورجر المصنوعة من لحم البقر الفني بالعصارة، والذي يعلوه البصل المكرمل، واللحم المقدد، وشرائح الجبن والفجل، كل ذلك في خبز ساخن مدهون بالزبد، بالإضافة إلى البطاطس المقلية. وكان ما يبهجني أكثر من هذه الوجبة الشهية المرتقبة هو الجلوس مع أعز صديقاتي.

كانت سيندي هي التي أطلقت على مجموعتنا الصغيرة اسم: نادي السيدات لجرائم القتل. لقد كانت مزحة، لكنها حقيقة في الوقت نفسه؛ فأربعتنا كن محاطات بجرائم القتل؛ فأنا أعمل محققة في جرائم القتل، وكليير طبيبة شرعية بشرطة سان فرانسيسكو، ويوكي تعمل في مكتب المدعي العام ونجمها في صعود مستمر، وسيندي توماس تعمل صحفية شهيرة متخصصة في جرائم القتل بجريدة سان فرانسيسكو كرونيكل.

كانت سيندي أيضًا نجمة بازغة في عالم التأليف، فكتابها: "فتاة فيش - قصة حقيقية عن الحب والقتل المتسلسل"، مبني على قضية حقيقية عملتُ عليها أنا وكونكلين حول قاتلين معروفين، حيث تابعت سيندي تلك القضية وساعدتنا في القبض على أحد القاتلين.

كان كتابها سيطرح في الأسواق مع نهاية الأسبوع، وكنت على يقين من أن هذا هو السبب في أنها كانت متوهجة.

بعد أن طلبنا المشروبات، صاحت كليير فجأة: "يوكي ستترك وظيفتها". قلت أنا وسيندي في وقت واحد: "مستحيل!". قالت يوكي: "أنا أفكر في الأمر، أفكر وحسب. إنها مجرد فكرة، أتفهمني؟ رويدكن يا فتيات".

ردت سيندي قائلة ما كنت أتخيله:

"يا إلهي! أنا أعرف ما حدث لك. أنت حامل".

كانت يوكي متزوجة من رئيسي، الملازم جاكسون برادي، الرجل الصارم والعاقل في الوقت نفسه. لكنهما تزوجا منذ أربعة أشهر فقط. لكن لم تتسن لي فرصة للتفكير بشأن احتمال ترقبهما وصول طفل؛ فقد أجابت يوكي بأسلوبها السريع التقليدي:

"لا لا، أنا لست حاملاً. وإذا لم يكن لديكن مانع، فعلينا جميعاً أن نطلب الغداء الآن، لأنني يجب أن أحضر جلسة تحقيق خلال ساعة". وهنا رنّ هاتفني.

نظرت إلى اسم المتصل بينما كنّ جميعاً يحدقن إليّ بانزعاج. كانت لدينا قاعدة واحدة في لقاءاتنا الاجتماعية التي يمنع فيها أي شيء من مقاطعتنا: ممنوع المكالمات الهاتفية.

قلت: "أنا آسفة، ولكنني يجب أن أرد على هذه المكالمة".

وهذا هو ما فعلته.

الفصل 6

تركتُ الفتيات، وعثرت على مكان يمكن أن أتلقى فيه المكالمة في خصوصية. سألت الملازم برادي: "ماذا حدث؟".

أجاب: "وجدنا جثة في شارع بالمي آلي. أنا بحاجة إليكما أنتِ وكونكلين للقيام بالتحقيق الأولي. عليكما إغلاق مسرح الجريمة، والبقاء هناك لحين وصول فريق بديل. جاكوبي يريد منك أنتِ وكونكلين العمل على قضية السطو بمكتب الشيكات، ولا شيء غيرها".

انضمت مجددًا إلى صديقاتي.

قلت: "أسفة يا فتيات. كان هذا هورثيسي، وعليّ أن أذهب".

أقلت يوكي مندبل المائدة في سخط.

وقالت سيندي: "ما الذي يمكنك أن تخبريني إياه؟".

يمكنك إخراج سيندي من مقر الجريدة، لكن لا يمكنك أبدًا إخراج الحاسة الصحفية منها.

أجبت: "لا شيء. لا أستطيع أن أخبركِ ولا حتى عن أبسط معلومة".

قالت سيندي: "كم مرة يجب عليّ إثبات أنني جديرة بالثقة؟ كما أنكِ مدينةٌ لي".

كانت سيندي على حق في الواقع، وأنا أثق بها دائمًا. لقد أنقذت حياتي قبل بضعة أشهر.

لكنني قلت: "ما زلتُ لا أستطيع إخبارك بشيء. ولا كلمة واحدة".
أمسكت بسترتي، وكنت أرتديها عندما قالت كليير: "لا أصدق أن هذا يحدث
مجددًا".

أوقفني التعبير المرتسم على وجهها. كانت غاضبة - بل غاضبة بشدة.
سألتها: "ما الذي تقصدين أنه يحدث مجددًا؟"
قالت كليير: "ما حدث من قبل في عيد ميلادي العام الماضي، والعام الذي
يسبقه".

"هل أنت متأكدة؟"

"بالطبع متأكدة. برغم أنني أذكر في العام الماضي أننا تناولنا معظم
غدائنا قبل أن تغادري الطاولة. تذكري جيدًا يا ليندسي، متى كانت آخر مرة
رأيتني فيها أطفئ الشموع؟"

"أنا آسفة. لا أستطيع التملص من هذا. سأعوضك عن هذا يا كليير.
سأعوضكن جميعًا، بما في ذلك أنا. أعدكن بذلك".

قدمت مزيدًا من الاعتذارات، وأرسلت لصديقاتي عدة قبلات في الهواء،
وهربت مسرعة من المطعم. اتصلت بريتش كونكلين في الطريق، وأنا متجهة
إلى سيارتي، وقلت: "أنا على بُعد عشر دقائق".
"وأنا أيضًا".

دار المحرك على الفور. وانطلقت مسرعة بسيارتي الإكسبلورر نحو تقاطع
مزدحم في شارع ميشن.

الفصل 7

كانت الأجواء في شارع بالمي آلي وشارع توينتي فورث تشبه مشهد دوريات الطريق السريع.

أحصيت ثلاث سيارات شرطة تقف بشكل غير منتظم، وكانت الرابعة آتية خلفي. تم تطويق الشارعين، مما تسبب في ازدحام حركة المرور داخل ممر واحد مفتوح بشارع توينتي فورث. كان المشاة قد تجمعوا في ثلاثة صفوف أمام الشريط الحاجز وهواتفهم المحمولة في أيديهم. من الواضح أنهم لم يجدوا شيئاً يفعلونه هناك أفضل من التحديق ببلاهة في جثة نازفة على معبر المشاة.

أوقفت سيارتي على الرصيف، وأخرجت كاميرتي النيكون ذات التركيز التلقائي، ووجدت كونكلين يتحدث إلى شرطي صغير، ثم عرّفني عليه. كان اسمه مارتن أينهورن، وهو شرطي مرور كان يسجل مخالفة وقوف عند وقوع الحادث.

تنقلت عينا أينهورن السوداوان بيننا أنا وكونكلين بينما كان يمشي معنا عبر مسرح الجريمة. كان يتعرق بشدة في زيه الرسمي، كما كان صوته عالياً وحديثه متقطعاً. في رأيي أنه لم ير جثة من قبل، والآن كان قريباً للغاية من جريمة قتل حقيقية، بل شاهداً تحدث أيضاً.

قال: "كنت أضع مخالفة مرور على سيارة مازدا حمراء هناك. كانت الضحية تعبر الشارع. في الواقع، كان الكثير من الناس يعبرون في الوقت نفسه، في كلا الاتجاهين، ومعظمهم من السائحين"، وأشار بوجهه في اتجاه موقع الحادثة، تلك البقعة السياحية الجذابة، حيث كانت هناك جداريات ملونة تُعبر عن الاحتجاجات ضد انتهاك حقوق الإنسان، كُتبت على مدار السنوات الخمسين الماضية.

قال شرطي المرور: "لم أشاهد الهجوم. سمعت الصراخ فقط، وعندما تفرق الجميع، رأيت... رأيتها". توقف لحظة لاستجماع شتات نفسه قبل أن يواصل حديثه.

"أبلغت بالحادث ووصل المسعفون بعد دقيقة. أخبروني أن الضحية ماتت، فأمرتهم بأن يتركوا جثتها في مكانها؛ فهذا هو مسرح الجريمة". قلت: "قرار حكيم".

أوماً أينهورن، وأخبرنا أن سيارة شرطة وصلت بعد بضع دقائق، ثم وضع الشرطيون شريطاً حاجزاً، ثم أضاف: "حصلنا على أكبر عدد ممكن من الأسماء، لكن الناس كانوا يحاولون الخروج، ولم يكن لدينا ما يكفي من رجال الشرطة لاحتجازهم. من بقي هما هذان الشاهدان، السيد والسيدة ناثن جوسلين، الواقفان هناك. لقد شاهدت السيدة جوسلين الهجوم".

عندما اقترب كونكلين من الزوجين اللذين كانا يقفان خارج متجر لبيع لوازم التدخين، تفحصت بعيني مسرح الجريمة وحددت موضع الضحية قياساً بالسيارات والمباني والأشخاص. ثم انحنيت ومررت من أسفل الشريط، وأبرزت شارتي لرجال الشرطة الذين كانوا يراقبون الجثة ومسرح الجريمة.

قال أحدهم: "من هنا أيتها الرقيبة. احتسري من الدماء". قلت: "حسناً".

ارتديت قفازي، ثم اقتربت كي أتمكن من إلقاء نظرة فاحصة على الضحية.

الفصل 8

كان مشهداً مريعاً.

كانت القتيلة مستلقية على جانبها، بيضاء البشرة، ذات شعر بني يصل لكتفها، وفي أواخر الأربعينيات أو ربما أوائل الخمسينيات من عمرها. كانت أنيقة المظهر، وترتدي ملابس باهظة الثمن: معطفًا واقياً من المطر بلون بني فاتح مفتوحاً فوق سترة بيج ضيقة غارقة في الدماء. بدا أن مصدر الدم كان شقاً طويلاً يمتد من منطقة أسفل البطن وحتى القفص الصدري، وهو جرح يتطلب قوة شديدة لإحداثه، بالإضافة إلى نصل طويل وحاد بالطبع. لقد فقدت الضحية دمها بسرعة، وعلى الأرجح لم تدرك ما حدث لها. ركزت الكاميرا على الجرح الواضح، والتقطت صوراً مقربة لوجهها، ويديها اللتين كانتا بلا خاتم زواج، وقدميها المتدثرتين في جورب، واللتين كانتا تشبهان سمكتين نافقتين على الشاطئ، بعدما انخلع عنهما الحذاء. بجانبها، كانت هناك حقيبة يد ثمينة ماركة لوي فيتون. فتحت الحقيبة وبدأت في تصوير محتوياتها: حذاء رياضي ثمين، ومجموعة أدوات تجميل، وعلبة نظارة شمسية ماركة جيمي تشو، ورواية، ومحفظة جديدة وفخمة من الجلد البني.

عندما فتحت محفظتها، علمت أن اسم الضحية كان تينا ستريلير. أوضحت رخصة قيادتها أنها في الثانية والخمسين من عمرها، وأنها تسكن

على بُعد ست بنايات من المكان الذي قتلت فيه. كان لدى ستريلشير مجموعة كاملة من بطاقات الائتمان، بالإضافة إلى بطاقات عمل أوضحت أنها كانت طبيبة نفسية. كان لديها أيضاً إيصالات لعمليات شراء أجرتها حديثاً، بالإضافة إلى مبلغ نقدي قدره مائتان واثنتان وعشرون دولاراً.

كُتبت اسم ستريلشير في هاتفي، مستخدمة تطبيقاً مرتبطاً بقاعدة بيانات قسم شرطة فرانسيكو، لكنني لم أجد أي شيء، ولم يفاجئني هذا. حتى تلك اللحظة، لم يكن لدي أي شيء يفسر عدم سرقة هذه المرأة الثرية. لقد شقُّ بطنها في وضع النهار في شارع مزدحم لا يتوقف فيه الناس عن استخدام كاميرات هواتفهم المحمولة في كل الاتجاهات.

درتُ حول الجثة والتقطتُ صوراً للحشود على الأرصفة على أمل أن يكون قاتل المرأة لا يزال واقفاً يراقب الأجواء في مسرح الجريمة.

تحرك كونكلين باتجاهي، ولخص لي أقوال الشاهدين، مشيراً إلى الاتجاه الذي قدمت منه الضحية.

قال: "كان السيد والسيدة جوسلين يعبران شارع بالمبي ألي باتجاه الضحية. لم تلاحظ السيدة جوسلين القاتل إلى أن وجّه ضربة أو لكمة باتجاه جذع الضحية. كل ما رأيته كان رجلاً أبيض البشرة، متوسط القامة، يرتدي إما سترة أو معطفاً أو قميصاً طويلاً أسود اللون. كما أنها تعتقد أن شعره كان بنيّاً".

بدا السخط على كونكلين، وكنت أشعر بالمثل. مسرح الجريمة مليء بالناس بينما أحد الشاهدين الوحيدين لم يشاهد شيئاً يذكر.

واصل شريكي قائلاً: "بعد الهجوم، واصل المجرم السير حتى اختفى بين الحشود. لم ير السيد جوسلين أيّاً من ذلك؛ فقد اتجه إلى زوجته عندما بدأت في الصراخ. بعدها عم الذعر والفوضى".

وهنا وجدنا سيارة لا تحمل أرقاماً تتوقف أمامنا، ويترجل منها زميلان لنا، وهما فريد مايكلز وأليكس وانج، اللذان وظفهما برادي حديثاً.

رحبت بهما أنا وكونكلين وأطلعناهما على ما لدينا من معلومات عن الجريمة. أخبرتهما بأنني سأرسل لهما نسخة مكتوبة من ملاحظاتي بالإضافة إلى الصور بمجرد عودتي إلى مقر الشرطة. بعدها سلمت القضية مرغمة إلى الشرطيين الجديدين.

كانت هناك جريمة قتل مريعة تنتظرنا أنا وكونكلين في المكتب. عاد كل منا إلى سيارته وتوجهنا إلى مقر الشرطة. لكن في أثناء مروري بشارع براينت أدركتُ شيئاً فجأة، وكان ما أدركته بمثابة صدمة قوية. كانت كليبر محقّة.

لقد وقعت جريمة قتل في العامين السابقين، تحديداً في عيد ميلادها. وكنت على يقين من أن كلتا القضيتين لم تحلا إلى الآن.

الفصل 9

عندما انتهى هذا اليوم التعيس، ودلّفت أخيراً إلى شقتنا، حركت مارثا ذيلها بسرور، ونبحت مرحبة بي. عانقتها، وأمسكت بقائمتيها الأماميتين، ورقصت معها لبضع خطوات. ثم ناديتُ جو.

أجابني من الداخل قائلاً:

"أنا أحمم جولي".

حسنًا إذن.

علقتُ سترتي، ورميتُ حذائي، ووضعتُ مسدسي في الخزانة ثم أغلقتُ قفل الأمان. سرت بصحبة مارثا إلى المطبخ المفتوح بشقتنا الكائنة في شارع ليك، تلك التي أتيت لأعيش فيها مع جو بعد زواجنا. وبعدها بعام، ولدت جولي في المكان نفسه في ليلة مظلمة وعاصفة بينما كان جو خارج المدينة.

هذه الليلة هي إحدى الليالي التي لن أنساها طوال حياتي.

ملأت وعاء مارثا للعشاء، وصببت كأسين باردتين من عصير البرتقال. بعدها ذهبت إلى الحمام الرئيسي ومارثا تتبطني. طرقت الباب وفتحته، لأرى أكثر شخصين أحبهما في حياتي. ابتسمتُ بملء فمي.

صحتُ بسعادة: "يا إلهي. انظر كم هي جميلة ونظيفة".

انحنيتُ وقبّلتُ جو، الذي كان يجثو بجانب الحوض. وابتسمتُ جولي بينما كانت ترفع وجهها اللطيف باتجاهي، ثم رفعت ذراعيها، وصاحتُ بمرح،

فوضعت كأسى العصير على الطاولة القريبة. وقبلت يدها، مصدرة أصواتاً مضحكة وأنا أضع فمي على راحتها. ثم أعطيت جو المنشفة الوردية التي كانت مزينة بهذه الكلمات: **ابنتنا الصغيرة.**

أعرف أن الآباء للمرة الأولى يكونون بلهاء قليلاً، ولكن هذه المنشفة كانت هدية في الواقع.

قلت لجو بينما كان يرفع الرضاعة المبتلة بين ذراعيه: "أنا بحاجة إلى الاستحمام أيضاً".

قال زوجي الوسيم والأروع على الإطلاق: "افعلي. ما رأيك في بيتزا للعشاء؟ سأطلب من بيتزا برونوتو".

قلت: "رائع. أريدها بالنقانق والفطر والبصل، موافق؟".

"لقد نسيت الفلفل المكسيكي الحار".

"وهذا أيضاً".

وسرعان ما وصلت البيتزا.

في أثناء عشاءنا السريع، أخبرت جو عن عصابة سترات الشرطة. بعد أن أنهينا عشاءنا ووضعنا علب البيتزا الفارغة في سلة المهملات، كانت الطفلة قد نامت، وذهب جو ليعمل في مكتبه المنزلي، المعروف أيضاً بغرفة النوم الاحتياطية. أحضرت اللاب توب إلى غرفة المعيشة ورقدت على الأريكة الجلدية الكبيرة.

واصلت العمل على قضية عصابة سترات الشرطة طوال اليوم، لكنني وجدت أنني لا أستطيع التوقف عن التفكير في تينا ستريلير، الطبيبة النفسية التي شق بطنها في عرض الطريق.

الآن بعد أن شبعت، وتوافر بعض الوقت لي، شعرت بأن عليّ التحقق من جريمتي القتل اللتين حدثتا في عيد ميلاد كليز خلال العامين الماضيين.

كنت شبه متيقنة من أن هاتين القضيتين لم يتم حلها حتى تلك اللحظة.

الفصل 10

وقف زوجي ورائي، وراحت يدها تدلكان العضلات المشدودة في رقبتني.
قلت له: "أوه، أعتقد أنني أحب العمل في المنزل".

فقال: "لا لوم عليك؛ فأنا الرجل الأسطوري ذو اليدين البطيئتين".
أجبت ضاحكة: "نعم، هذا صحيح".
قال: "أترغبين في المزيد من العصير؟"
"لا، شكرا لك".

قال بينما كان يضغط بخفة على كتفي: "حسناً إذن. سأذهب للركض
بصحبة مارثا".
"سأنتظركما".

وبمجرد مغادرة جوومارثا، ذهبت للاطمئنان على صغيرتنا المحبوبة، ثم
عدت إلى العمل.

دوّنت كلمة المرور، وفتحت سجل قضايا قسم شرطة سان فرانسيسكو لبدء
عملية البحث. كان فهرس الملفات يحتوي على أكثر من مجرد قوائم بالضحايا؛
فقد تم أرشفة كل قضية والتأشير عليها باعتبارها إما مفتوحة أو مغلقة أو
معلّقة. كما تم إدراج اسم المحقق الرئيسي تحت اسم الضحية في كل قضية.
وبما أنني كنت أبحث عن جرائم قتل في تواريخ محددة، لم يستغرق الأمر
وقتاً طويلاً للعثور على امرأتين قتلنا في يوم ميلاد كليبر. حدثت في الأسماء،
وتذكرت الواقعتين.

بالطريقة نفسها التي حدثت اليوم، كان يأتيني اتصال وأنا على طاولة الغداء للذهاب إلى مسرح الجريمة باعتباري الضابط الأعلى رتبة، وقريبة من الموقع الذي اكتشفت فيه الجثة.

ونقرت بالفأرة على القضية الأقدم من بين القضيتين اللتين لم يتم حلها. قبل عامين قُتلت امرأة تدعى كاثرين هايز خارج مقهى والدها في نوب هيل. كانت هايز تعمل لدى والدها خلال النهار، وفي الليل تذهب إلى مدرستها المسائية لحضور محاضراتها في المحاسبة والتمويل. في ذلك اليوم الموافق الثاني عشر من مايو، كانت تدخن في الخارج بينما تتحدث إلى صديقة على الهاتف، وفجأة طعنها أحدهم في ظهرها، ثم ذبحها.

لم يكن هناك شهود، أما الصديقة التي كانت تحدث هايز هاتفياً، فقد سمعت صراخ الضحية فحسب. لم تُسرق هايز، وكل ما أخذه القاتل هو سكينه، ولم يترك أدلة وراءه: لا أوراق، ولا آثار حمض نووي، ولا خلايا من جلده تحت أظافر الضحية. لم تكن هناك أدلة تقريباً، ولم تتحرك القضية قيد أنملة. تركت كاثرين هايز أصدقاء مفعوجين وعائلة مدمرة، بينما ملف قضيتها المفتوح لا يزال ينتظر من يخلقه.

لم يتغير الوضع مع يولاندا بيرو، الشاعرة التي كانت تشارك في سباق باي توبريكرز في العام الماضي، وهو سباق شهير يقام سنوياً منذ أكثر من مائة عام. كان العديد من المتسابقين يرتدون أزياء تنكرية، وبعضهم كان يركض بملابس خفيفة، وآخرون كانوا يرتدون ملابس على هيئة سمك، ويركضون بصورة معكوسة، كما لو كانوا يسبحون ضد التيار. فلك أن تتخيل ذلك.

عثر على جثة بيرو بعد يوم من السباق في نهاية المضمار بين الشجيرات الكثيفة. كانت ترتدي ملابس العدائين، ولا شيء في ملابسها كان يميزها. كان بجسد بيرو طعنات متعددة، يمكن لأي منها أن تكون قاتلة. وقد ذكر زوجها المنهار ودائرتها المقربة من الأصدقاء أنها ليس لديها أعداء. كانت شاعرة وتعمل كمتطوعة في الحديقة المحلية، وتحب الركض.

لم تكن يولاندا بيرو تعرف كاثرين هايز، ولم يكن بين المرأتين أصدقاء أو أقارب أو معارف مشتركين. تولت المنطقة الشمالية القضية ولم تجد مشتبهاً بهم أو شهوداً، فقط عشرات الآلاف من المشتبه بهم ممن شاركوا في السباق أو شاهدوه. وهكذا، وبدون دليل واحد، بقيت قضية يولاندا بيرو لغزاً لم يحل.

ذكرتني قضية بيرو كثيرا بقضية ستريشليير .

فهناك كثير من الناس - حشود هائلة في الواقع، بينما لا يوجد شهود فعليون. كانت الضحايا الثلاث اللاتي قتلن في ذكرى يوم ميلاد كليير، بمن فيهن تينا ستريشليير، من السيدات البيض الجذابات، تتراوح أعمارهن بين الرابعة والثلاثين والثانية والخمسين، ويعشن على بعد أميال من بعضهن البعض في مناطق مكتظة بالسكان.

هل هناك ما يربطهن؟

نعم؛ جميعهن تعرضن للطعن بسكين.

كنت أهدق في اللاب توب، وأبحث عن أي شيء آخر يربط بين هؤلاء النساء المقتولات الثلاث، عندما شعرت بشخص يقبل وجنتي.

رفعت ذراعي لأعلى مثلما تفعل جولي، ومنحني جو ابتسامة كبيرة وقبلت أخرى. جلس بجانبني على الأريكة، وسألني:

"ماذا تفعلين؟"

"أقرب في ملفات قضايا قديمة".

"حقاً؟ ولماذا يا ترى؟"

فأخبرته بكل شيء.

الفصل

١١

فتحت عيني في الثالثة والرابع صباحًا. ربما تسببت التوابل الحارة في البيتزا في الكابوس الذي أفرغني، وربما شعرت بأن جو كان مستلقيًا إلى جوارى بعينين مفتوحتين.

في كلتا الحالتين، كنت أعرف أن هناك خطبًا ما. استدرت جهة زوجي ووضعت يدي على كم منامته، وقلت: "جو، هل أنت بخير؟".

تنهد بقوة كادت تحرك الستائر في الغرفة. كان هناك شيء يبقيه مستيقظًا، لكن ما هو؟ استرجعت بسرعة أمسيتنا في المنزل، وبغض النظر عن سؤاله عن يومه الذي أجاب عليه بأنه كان على ما يرام، فإن محادثاتنا كانت تدور حول قضيتي، عني أنا فقط.

أشعرني هذا بانزعاج شديد.

هزرت ذراعه قليلًا.

"جو، ماذا يحدث؟"

قال: "لم أقصد أن أوقظك".

"لم توقظني. ما المشكلة؟"

تنهد جو مرة أخرى، ثم عدّل الوسائد والغطاء، وشرب بعض الماء. وقال أخيرًا: "الملعون بروكس فيندلاي. لقد استغنى عن خدماتي، وأنا لم أكن أتوقع هذا أبدًا".

قلت له: "ماذا؟ لكن لماذا؟".

"لم يعطيني تفسيراً حقيقياً. يقول: تغيير في التوجهات، وما إلى ذلك. كانت مبررات كاذبة. كل ما قاله ببساطة هو: لم تعد معنا. سنرسل لك شيكاً بياقي حسابك في البريد".

صُدمت من الخبر، ولم تقل صدمتي بالخبر عن صدمتي بمدى البرود الذي آذى به فيندلاي زوجي، ولا يرجع هذا إلى أن ما يؤلم جو يؤلمني فحسب، بل كانت صدمتي كبيرة لأن جو كان نائب مدير الأمن الداخلي. إنه شخص واسع المعرفة، مهذب، ومؤهلاته أكثر من أن تُعد، وهو متخصص في سلطات الموائئ.

أما بروكس فيندلاي، فقد انتقل من كلية إدارة الأعمال إلى وظيفة مكتبية في لوس أنجلوس. وفي رأيي، كان توظيف جو هو أهم حدث في مسيرة فيندلاي المهنية. ربما لم يعجبه البقاء في ظل جو.

قلت: "لا أستطيع تصديق هذا يا جو. ألم تكن لديك أية فكرة عن الأمر؟".
"مطلقاً. إذا كنت قد فشلت في مهمة ما، كان فيندلاي سيخبرني بكل سعادة فيم فشلت ومتى وكيف. لذا يجب أن يكون السبب أنني لا أعجب فيندلاي، أو لا أعجب شخصاً يعلوه في المرتبة. هذا شنيع حقاً. لكن لا يهم".
سألته: "ولماذا؟".

أجابني: "لأنني لست على استعداد للتقاعد. سأحصل على وظيفة أفضل. ولكن لا بد لي من إغلاق الباب بالشكل الصحيح قبل فتح الباب التالي".
التقط جوهاتفه وضغط على بضعة مفاتيح.

يا إلهي. كانت الساعة الثالثة والثلاث صباحاً. سمعت صوتاً أجش على الخط الآخر من الهاتف. قال زوجي: "معك جو موليناري يا بروكس. اسمع، لقد قطعت الاتصال هذا الصباح، فلم تتسن لي فرصة لأخبرك. لقد توصلت إلى إنجاز مهم في المشروع. نعم. إنجاز مهم جداً. مفتاح حل اللغز بأكمله. لكنك ذكرتني بأن لدينا اتفاقية بعدم الإفصاح، لذا حذف عملي بأكمله. لا تقلق. لقد مسحت ما كان على الأسطوانة، والمعلومات غير قابلة للاسترداد. ولن يطلع عليها أحد مطلقاً".

أمكنني سماع احتجاج حاد عبر الهاتف، لكنني لم أتمكن من سماع ما يقال بوضوح.

"لا، لا. هذا كل شيء. أردت أن أخبرك أنه لا داعي للقلق. كأن الأمر لم يكن. نومًا هنيئًا".

أغلق جو الهاتف، وقال: "أيها الوغد".

علت وجه جو ابتسامة ماكرة بينما كان يقول: "كان هذا رائعًا". وبدأ يضحك، وفعلت مثله، ثم أغلق الهاتف واستلقى بجانبه.

تخيلت فيندلاي وهو يلقي باللعنات، محاولاً معاودة الاتصال، فلا يجيبه إلا البريد الصوتي، ولا يصل إلى شيء.

غفوت بين ذراعي زوجي، وعندما استيقظت، كان جو في المطبخ مع جولي ومارثا، يحضّر فطائر التفاح.

لقد كانت بداية لذيذة لما اتضح فيما بعد أنه يوم صعب للغاية.

الفصل 12

كانت يوكي تعاني صراعًا داخليًا شديدًا بينما أوقفت سيارتها في موقف السيارات الخاص بمتنزه فورت ماسون. كانت لديها مقابلة عمل مع رابطة الدفاع في العاشرة، وعلى الرغم من أنهم هم من اتصلوا بها، فإنها كانت تشعر بالفثيان مذ وافقت على التحدث معهم.

كان السبب الرئيسي وراء هذا الفثيان هو أنها تحب عملها وتقدر رئيسها، ليونارد باريزي أو كما يلقبونه "ريد دوج"، والذي كان أكبر داعم لها. إنها لم تخبره هو أو أي شخص آخر في المكتب بأنها تفكر في وظيفة بديلة. لذا فإن هذه المقابلة أشعرتها بأنها كانت مخادعة.

ما زاد الطين بلة هو أنها لم تخبر برادي عن هذا أيضًا. كان زوجها رجلاً حاسماً ومتعنّاً، ما جعلها ترغب في أن تحدد رأيها قبل أن يمنحها برادي رأيه. كانت متأكدة أنه سيقول: "لا تقبلي بهذه الوظيفة".

حدقت يوكي في المشهد البانورامي المذهل، حيث يمتد الجسر عبر الخليج المتلألئ. أغلقت باب سيارتها وعبرت ساحة انتظار السيارات متوجهة إلى رصيف يمتد إلى جانب إحدى ثكنات الحصن السابق. مرت بعدة أبواب بنية صدئة متماثلة قبل أن ترى الباب الذي يحمل لافتة "رابطة الدفاع".

دلفت يوكي إلى المكتب، وأعطت اسمها للشابة الجالسة خلف المكتب الخشبي البسيط، ثم التقطت حبة من سكاكر النعناع الموضوعة في طبق أمامها، وجلست على واحد من ستة كراسي خشبية متطابقة. فيما عدا موظفة الاستقبال، كانت يوكي الشخص الوحيد في تلك الحجرة الصغيرة، بسيطة الأثاث، والتي تكاد تكون متهالكة.

لم تستطع منع نفسها من مقارنة هذا المكان النائي وغير المألوف بمكتب المدعي العام بمقر قيادة الشرطة. هناك، كانت واحدة من مئات القانونيين والشرطيين الذين يعملون بجهد جهيد على القضايا الجنائية طوال اليوم، وفي معظم الليالي وخلال عطلات نهاية الأسبوع أيضاً. كان مكتب المدعي العام يشعرها بالنشاط، والتحدي، ويضعها في قلب نظام العدالة في سان فرانسيسكو، حيث بدأت أخيراً تظهر تميّزها.

جعلها التفكير في كل هذا تتساءل مجدداً عما كانت تفعله هنا. لكنها كانت تعرف.

الشيء الوحيد الذي أرق ضميرها هو وعيها المتزايد بأن من يملكون المال يحصلون على تمثيل أفضل بكثير في المحاكم ممن لا يملكونه – أفضل بما لا يقاس. بصورة شبه يومية، يخرج شخص مسكين من السجن بعد قضائه عشرين عاماً بأكملها هناك، بسبب أن من دافع عنه كان محامياً مبتدئاً متخوفاً بالعمل، ثم تظهر أدلة جديدة توضح أن الحمض النووي يثبت أنه غير مذنب. لم تستطع يوكي أن تتجاهل شعورها بأن العدالة ذات الوجهين لم تكن عادلة فعلاً.

لقد فكرت كثيراً في أنه ربما كان عليها أن تفعل شيئاً حيال هذا الظلم، ثم تلقت مكالمة الأسبوع الماضي من زاك جوردان من رابطة الدفاع. قال جوردان: "لقد سمعت أنك امرأة مقاتلة يا سيدة كاستيلانو. أعتقد أن علينا أن نتحدث".

كانت الساعة العاشرة إلا عشر دقائق، واستغلت يوكي تلك الدقائق القليلة من الصمت المطبق في مراجعة ما عرفته عن هذه المؤسسة غير الربحية

التي يرهاها أحد كبار المحسنين ممن يفضل إبقاء إسهاماته سرية. وتذكرت
 الحكمة التي سارت عليها عندما كانت تبحث عن وظيفتها الأولى.
 احصلي على العرض الوظيفي. ويمكنك دائماً رفضه في النهاية.
 رن الهاتف في مكتب الاستقبال.

أجابته الموظفة الشابة، ثم تطلعت إلى يوكي وقالت: "سيدة كاستيلانو؟
 يمكنني اصطحابك لرؤية السيد جوردان الآن".
 دقت ساعة الجدّ.

مكتبة
 t.me/t_pdf

الفصل 13

كوّنت يوكي انطباعها عن السيد جوردان ذي الشعر الطويل لحظة أن نهض عن كرسيه للترحيب بها. كان في أواخر العشرينيات من عمره، يرتدي سترة قطنية بلون البيج وبنطالاً من الجينز، ويزين إصبعه خاتم زواج. وعلى الحائط علقت شهادته في القانون التي حصل عليها من جامعة هارفارد، وإن لم يكن بشكل بارز؛ فقد كانت شبه مخبأة خلف مشجب القبعات.

بدا لها من أول وهلة شاباً ليبرالياً صالحاً. وأعجبت به يوكي على الفور. كانت قبضة يده قوية بينما كان يصافحها، وتبادل الاثنان التحية، ثم قال السيد جوردان: "من فضلك ناديني زاك. شكراً على حضورك. تفضلي بالجلوس".

قالت يوكي: "إنني لم أجر مقابلة منذ وقت طويل يا زاك. لكنني أعرف رابطة الدفاع وما تفعلونه هنا. لقد أترمت اهتمامي في الواقع".

"هل أنت مهتمة بالعمل ساعات طويلة بأجر منخفض في مكتب متهالك؟ لأنني دائماً أجد ذلك عامل جذب لا يقاوم".

ضحكت يوكي وقالت: "في الواقع، تقدم وظيفتي الحالية بعض هذه المزايا".

ابتسم جوردان قائلاً: "لدينا عدد قليل من الامتيازات سأخبرك عنها في وقت آخر، ولكن دعينا نتحدث عنك أولاً. لقد قرأت سيرتك الذاتية، ولدي بعض الأسئلة".

قالت يوكي: "حسناً، تفضل".

وهنا، انتهى المزاح وبدأت المقابلة الحقيقية. سأل زاك جوردان عن عملها الأول كمحامية شركات وأسباب انتقالها للعمل في مكتب المدعي العام. ثم بدأ بالتقصي عن القضايا التي كانت تعمل عليها منذ بداية عملها في مكتب المدعي العام.

لقد خسرت يوكي معظم القضايا التي عملت عليها في السنوات الثلاث الأولى هناك، وبدا أن زاك جوردان يعرف كل قضية، وكأنه كان متواجداً معها في قاعة المحكمة. استجوبها بشأن كل مرافعة افتتاحية ضعيفة، وكل فرصة سانعة، وكل مرة كان محامي الخصم يدحض حججها بخبرته الأكبر.

حسناً، لقد هُزمت في العديد من القضايا، ولكن كانت هناك عوامل مساهمة: خطأ في عمل الشرطة، أو تغيير شاهدة لشهادتها، أو انتحار المتهم قبل تقديمها لمرافعتها الختامية. لقد جعلتها الأحكام المضادة المحبطة "بالبراءة" أكثر تصميمًا على رفع مستواها وتعزيز قدراتها، وهو ما قامت به. في تلك الأثناء، جلست هناك، مضطرة إلى الدفاع عن معدل فوزها بالقضايا مقارنة بمعدل خسارتها أمام شخص لا تعرفه، شخص قد يمنحها أو لا يمنحها وظيفة لا تريدها بالضرورة.

عندما بدأ جوردان الحديث عن قضية عبّارة ديل نورتي الشهيرة، والتي قتل فيها المدعي عليه أربعة أشخاص رمياً بالرصاص، ثم قررت المحكمة أنه غير مذنب بسبب جنونه، كانت يوكي قد نالت كفايتها.

لقد ثبت بالقانون أن القاتل كان مجنوناً.

ولكنها كانت مضطرة لمحاكمته على عدد من قضايا القتل. لقد كانت تلك وظيفتها.

أجبرت يوكي نفسها على الابتسام، وقالت للرجل البارح الجالس أمامها: "يا إلهي! رويدك يا زاك. لطالما بذلت قصارى جهدي، كما أنني ترقيت عدة مرات. أنا حقاً لا أفهم لماذا طلبت رؤيتي. هل أحضرتني فقط لكي تتمكن من استجوابي ومضايقتي؟".

أجابها: "لا، مطلقاً. كنت بحاجة لسماع رأيك في هذه القضايا لأننا دائماً المستضعفون. كيف تشعرين حيال الدفاع عن الفقراء، والبيائسين، واليائسين؟".

قالت يوكي: "لا أعرف"، متخفية عن خطتها في الحصول على العرض الوظيفي، لأنها إن لم ترغب فيه، يمكنها رفضه بسهولة.

قال زاك بينما ناولها ملفاً: "أخبريني إذا ما كان هذا يهمك يا يوكي. لدي قضية بحاجة ماسة إلى العمل عليها. الضحية ألقى القبض عليه خارج وكر مخدرات حيث تم إطلاق النار على بعض تجار المخدرات. كان يركض ويديه مسدس. كان لدى الشرطة سبب معقول لاعتقاله، ولكن الولد كان في الخامسة عشرة من عمره وكان معدل ذكائه منخفضاً، ولسبب ما لم يكن والداه معه. وعلى الرغم من أنه أكد أنه وجد السلاح فقط، وأنه لم يكن ملكه، أجبره رجال الشرطة على التنازل عن حقوقه، وضغطوا عليه حتى قدم اعترافاً.

بينما كان هذا الساذج المسكين ينتظر المحاكمة، وبعد أسبوع تقريباً من اعتقاله، قُتل في السجن. ربما كان سيثبت براءته إذا قدم للمحاكمة، وأنا أعتقد أنه كان بريئاً حقاً. أعتقد أنه كان ضحية رجال الشرطة الذين استجوبوه، وأنه ما كان ينبغي أن يسجن مطلقاً. عليّ أن أطلب منك شيئاً يا يوكي. فكري في هذا الأمر الليلة، واكتشفي كيف ستشعرين غداً صباحاً. أنت خيارى الأول لهذا المنصب، لكنني سأحدث إلى شخص غيرك أيضاً. عليّ أن أعين شخصاً على الفور. اتصلي بي أيّاً كان ردك، اتفقنا؟"

الفصل 14

كانت يوكي ترقد في سريرها مستيقظة منذ أن استيقظ برادي في الرابعة وبدأ في الاصطدام بالأشياء من حوله بينما كان يحاول ارتداء ملابسه في الظلام.

قالت: "يمكنك إشعال الضوء".

قال: "لا داعي. إنه جوربي. لا أستطيع أن أحدد إذا ما كان أزرق أم أسود حتى عندما يكون الضوء مشتعلًا".

ثم جاء إلى السرير، وجلس على حافته، ثم قبل زوجته، التي سألته قائلة: "ما سبب استيقاظك؟"

"انفجار في معمل للمخدرات. عودي إلى النوم، سأتصل بك لاحقًا".

فكرت يوكي: لاحقًا قد تعني متأخرًا جدًا. كان زوجها يفحص مسدسه، ويثبت حزام المسدس على كتفه.

"برادي؟"

"نعم".

"تعال لحظة".

عاد إلى السرير ووقف جوارها في الظلام، بينما يفلق سحب سترته الواقية.

قالت: "عليّ أن أخبرك بأمر مهم. سأترك مكتب المدعي العام".

"ماذا؟ عم تتحدثين يا يوكي؟"

"لديّ عرض عمل في مؤسسة غير ربحية. إنها رابطة الدفاع. الوظيفة بها مزايا رائعة، وسأحصل على نفس الراتب، لا تقلق. الفارق أنني هناك سأستطيع الدفاع عمّن لا يحصلون على تمثيل قانوني مناسب. لديهم بالفعل قضية لي لأعمل عليها".

قال برادي: "هل يمكننا التحدث عن هذا لاحقاً؟"، ثم انتزع هاتفه من الشاحن ووضعه في جيبه.

قالت: "بالتأكيد. يمكننا التحدث عن ذلك. لكن عليّ إعطاء رابطة الدفاع ردّي".

"اليوم؟"

"نعم. ويجب أن أخبر باريزي قبل أن أعطيهم موافقتي. إنه سيفادر المدينة في نهاية اليوم".

أخرج برادي محفظته من الخزانة ووضعه في جيبه الخلفي. كانت حركاته عصبية للغاية. فهمت يوكي لغة جسده؛ إنه يفكر في شيء لا يعجبه حقاً. واكتشفت أن التوقيت الذي اختارته كان سيئاً للغاية.

قال لها: "بيدولي أنك قررت بالفعل".

"لقد كان الأمر مفاجئاً. التقيت المدير بالأمس فقط، وطلب ردي خلال يوم واحد".

قال: "شكراً لثقتك بي".

يوكي تثق ببرادي وتأتمنه على حياتها، ولكن لا يتعلق هذا الأمر بثقتها بزوجها.

بعد مرور خمس ثوانٍ من الصمت، قال أخيراً: "حسنًا. أعتقد أن عليك أن تفعلي ما تريدينه. أمل أن تنجحي في مسعاك".

"برادي؟ من فضلك لا تتصرف هكذا".

"إنهم ينتظرونني يا عزيزتي. سأراك لاحقاً".

استمعت إليه بينما كان يغادر - ويفلق الباب بقوة. سمعت الباب ينغلق، وتردد صوت أمها الراحلة داخل رأسها.

لقد أذيت كبرياء زوجك يا يوكي. لماذا لم تسألني عما إذا كان يوافق على هذه الخطوة؟

لم تكن مضطرة للرد على والدتها. شعرت بالتمرد. إنها تعلم تمام العلم أن برادي كان سيضغط عليها كيلا تقبل الوظيفة، وكانت لديه أسباب وجيهة. كان سيقول إن الأفضل بالنسبة لها أن تعمل في مقر قيادة الشرطة، وبالتالي تبقى قريبة منه.

ولأنه يعمل شرطياً منذ زمن طويل، فإنه كان سيخبرها بكل أناة بأن الأفضل بالنسبة لها أن تعمل في وظيفة حكومية آمنة، حيث ستظل ترقياتها مستمرة، وسمعتها تتوطد عاماً بعد عام، بالإضافة إلى خطة معاشات تقاعدية مضمونة. كان سيقول إن ساعات عملها قد تكون طويلة لكن متوقعة، وأنه لن يتوقف عن القلق إذا اضطرها عملها الجديد إلى ارتياد الأحياء الخطرة.

وسيكون مصيباً في كل هذه النقاط.

لكنه سيكون مخطئاً أيضاً.

الأمان مطلوب، لكنها لديها أفكار أخرى بخصوص حياتها وقدراتها. لقد أرادت أن تقوم بعمل يشعرها بالرضا عن نفسها.

تطلعت يوكي إلى الساعة، ثم أعادت قناع النوم فوق عينيها.

حاولت العودة إلى النوم، ولكن ذلك كان مستحيلاً.

فبغض النظر عن موقف زوجها، لم تستطع أن تتحمل التفكير في ردة فعل رئيسها في العمل. الأمر لن يكون سهلاً.

لكن عليها أن تنتهي من هذه المسألة.

الفصل 15

رأت يوكي أن باب مكتب ليونارد باريزي كان مفتوحًا، وأنه كان بالفعل في مكتبه. كان المكتب يطل من نافذة عريضة على مشهد غير جذاب لحركة المرور بالخارج، وعلى بعض واجهات الشركات ذات الإيجار المنخفض المنتشرة في شارع براينت.

كانت مساعدة باريزي بعيدة عن موقعها، لذلك طرقت يوكي إطار باب مكتب رئيسها. تبسم باريزي لرؤيتها وأشار لها بأن، تدخل، مشيرًا إلى الهاتف على أذنه. دخلت يوكي وأغلقت الباب خلفها، واختارت المقعد الجلدي المقابل له. وحدقت في الجدار خلفه، والذي علق عليه رسمًا كاريكاتوريًا لكلب ضخم أحمر اللون يمسك عظمة بين فكيه.

فكرت فيما ستقوله له. كانت تعرف أن الأمر بطريقة ما كان بأهمية مرافعة افتتاحية أمام هيئة المحلفين. كان لين - كما كانت تسميه - على هذا القدر من الأهمية في حياتها، لكنها عرفت أنها بمجرد أن تخبره، فمن المحتمل أن يسير الاجتماع بشكل سيئ، بناء على ما يقوله لها.

كان باريزي يتحدث إلى شاهد في قضية مهمة خضع حديثًا لعملية تحويل مجرى الشريان التاجي. تركت يوكي عقلها يشرد إلى أن أنهى باريزي المكالمة. قال باريزي: "أسف يا يوكي. كان هذا جوش رينولدز. إنه ليس على ما يرام."

لقد تعرض باريزي نفسه لنوبة قلبية حادة قبل بضعة سنوات. وكانت يوكي برفقته عندما حدث ذلك، وهي من طلبت له الإسعاف على وجه السرعة. فيما بعد، أعلن باريزي أنها هي من أنقذت حياته. لم يكن هذا صحيحًا، لكنها عرفت أن هذا هو شعوره.

لقد اعتبرها صديقة مقربة بكل تأكيد، وهذا هو السبب وراء الصعوبة البالغة في إخباره بأنها ستفادر.

سألها: "ماذا يدور في ذهنك؟ أهنك مشكلة يا يوكي؟"

أمسكت يوكي بحافة مكتبه وقالت: "لين، هناك عرض عمل أريد قبوله." تبع كلماتها صمت ثقيل. سمعت يوكي صدى كلماتها يتردد في رأسها. كانت كلمات صادقة ومحترمة ومباشرة. ماذا سيفعل لين الآن؟

هل سيعانقها، أم سيخبرها أن تذهب إلى الجحيم؟

عاد بظهره فجأة إلى الورا، ثم انحنى إلى الأمام، وأراح ساعديه على سطح المكتب ثم شبك يديه، ونظر في عينيها مباشرة، وقال: "يا إلهي! يا له من توقيت شنيع. أنت تعرفين أنني مسافر الليلة ولمدة أسبوع. ليس هناك ما يكفي من الوقت كي أحصل لك اليوم على عرض مقابل، لكنني سأحاول. أعطني بعض المعلومات. ما نوع العمل؟ ما الراتب المعروض عليك؟"

قالت: "هذا كرمٌ منك يا لين، لكنني لا أريد عرضًا مقابلًا، ولا أريد الذهاب أيضًا."

"حسنًا، لا تذهبي. حُلّت المشكلة."

ابتسمت قائلة: "لكنني بحاجة للقيام بذلك. إنها رابطة الدفاع، وهناك قضية عاجلة أجد نفسي منجذبة لها. أعتقد أنني سأندم إذا ضيعت هذه الفرصة."

قال: "رابطة الدفاع. حقًا؟ هل تفضلين الذهاب إلى منظمة غير ربحية على البقاء هنا؟ لقد اعتقدتُ أن أهدافنا واحدة في هذا المكتب. أنتِ تعملين على أفضل القضايا. إنني لم أجعلك تشرفين على قضية برينكلي فقط، بل وهيرمان أيضًا. لقد خضت صراعات شرسة كي أتمكن من القيام بهذا. أريد كل مساعد للمدعي العام في هذا المكتب الحصول على هذه القضية."

قالت: "أعلم يا لين، أعلم، ولا أريدك أن تظن أنني لست ممتنة."

"يوكي، سأحدثك بناء على تجربتي الشخصية. إن تجربة الاقتراب من الموت تغير المرء. أعلم أن هذا هو ما حدث لك. ما زلت تحاولين استيعاب أنك

أوشكت على الموت، وهذا صعب بالنسبة لفتاة في عمرك. سيتغير شعورك هذا في غضون ستة أشهر. أعدك. ارفض العرض. دعيني أعمل على جعلها وظيفة أحلامك و...".

"لين، أنا مهتمة بقضيتي، قضية المراهق المقتول. لقد قبض عليه بالخطأ، وقتل في أثناء انتظاره للمحاكمة. إن عائلته مدمرة، ومعهم كل الحق. رابطة الدفاع ست...".

كان باريزي يعرف بالفعل إلى أين كانت متجهة بخطابها. لقد شعرت بغيوم العاصفة الوشيكة تتجمع.

قال: "وهل ستقاضين المدينة؟ وشرطة سان فرانسيسكو؟ هل ستقاضين يا يوكي؟".

"هذا هو التصرف الصحيح".

قال باريزي: "أسمعك، لكن لا أفهمك".

تبدت نظرة غضب على وجه صديقها. إنها نظرة رأتها من قبل، لكنها هذه المرة موجهة لها.

اهتز مقعد باريزي الجلدي مصدرًا صوتًا مزعجًا عندما نهض من فوقه في غضب. ثم عبر الغرفة وفتح الباب على مصراعيه.

قال باريزي: "سيجلب لك قسم الموارد البشرية بعض الصناديق الفارغة لوضع أشياءك، وسيصطحبك أحدهم إلى الخارج. ستسلمين بطاقتك، حاسبك المحمول، ومفاتيحك على الفور. سأطلب من الحسابات تجهيز الشيك الخاص بك".

"لين، أنا مدينة لك. أنا أعرف كم...".

قال: "وفري كلامك. سأراك في المحكمة. وأنا أعني أنني من سيقف أمامك هناك، شخصيًا".

عاد إلى مقعده وأمسك الهاتف، وضغط على بعض الأرقام، ثم استدار بمقعده بحيث صار ظهره لها، وقال "ميشيل، معك باريزي". كانت ميشيل فورست هي رئيسة قسم الموارد البشرية. غادرت يوكي مكتب باريزي، وذهبت مذهولة إلى مكتبها.

لم تكن تنوي تدمير حياتها. لقد أرادت وظيفة مختلفة فحسب. والآن زوجها مستاء منها، ولين يهدد بتدميرها في المحكمة. وهي لم تخبر زاك جوردان حتى أنها قبلت الوظيفة.

حسناً، سوف تقبل الوظيفة، وستحصل على تعويض لعائلة كورديل عن وفاة أرون-ري.

ليس هناك مجال للتراجع الآن.

الفصل 16

كنت مستغرقة تماماً في التفكير في تينا ستريشليير وأنا في طريقي إلى العمل في ذلك الصباح، فبالأمس شُقَّ جسد المرأة المسكينة بشفرة طويلة حادة. أشعر بارتباط شخصي بهذه الجريمة الشريرة، ولم أتمكن من التخلص من الشعور بأن هناك علاقة بينها وبين ما حدث للمرأتين الأخريين اللتين قُتلتا طعنًا بالسكين في الثاني عشر من مايو. السيدات الثلاث قتلن على مدار ثلاث سنوات متتالية. يتمتع برادي بعقلية استقصائية مدققة، وكنت توافقة لمعرفة رأيه حول هذا الأمر. دلفت من البوابة متجهة لغرفة القنات، ورأيت برادي في غرفته الصغيرة ذات الجدران الزجاجية في الجزء الخلفي من المخفر. كان على مكتبه، يرتدي قميصًا أزرق يبرز عضلات صدره وذراعيه البارزتين. أما شعره الأشقر الفاتح فقد كان معقودًا على هيئة ذيل حصان قصير، كاشفًا عن جزء مفقود من أذنه اليسرى. كان هذا بسبب تعرضه لطلق ناري خلال معركة شرسة تصرف فيها ببطولة وأنقذ الكثير من الأرواح.

إلا أن تركيزه بالكامل الآن كان على حاسبه.

حييت برندا، ولوحت للزملاء من المناوبة النهارية الذين رفعوا رءوسهم بينما كنت أمرُّ من أمامهم، ثم طرقت باب برادي. أشار لي بالدخول، فجلست أمامه وقلت:

" بشأن جريمة الأمس في بالمي آلي... "

قاطعني قائلاً: "نعم، مايكلز ووانج يعملان عليها".
 "أعلم، لكن هناك شيئاً مألوفاً في هذه الجريمة..."

قال: "أخبرني مايكلز. يتصل جاكوبي ثلاث مرات يومياً بشأن عصابة سترات الشرطة. أنا قلق على جاكوبي. أعلم أنه لا يريد أن يتقاعد وهو يحمل وزر عدم القبض على هؤلاء الأوغاد. والأسوأ أن نحمل نحن وزر تلك القضية بعد أن فاحت رائحة القصة ووصلت للصحافة. تنهمر عليّ الأسئلة من العديد من الصحف ومراسلي التلفزيون، بالإضافة إلى رسائل إلكترونية لا تنتهي من المواطنين القلقين".

وأشار بيده إلى حاسبه.

قلت: "أفهم هذا أيها الملازم. نحن نعمل على هذا بالفعل".

حدق في وجهي بعينيه الزرقاوين وقال: "حسناً. أخبريني بالمستجدات".
 لخصتُ مقطع الفيديو الأول للعصابة في المتجر الإسباني، وأخبرته أن الجودة كانت أسوأ من المقطع الخاص بمكتب صرافة الشيكات، لكننا مع ذلك تمكنا من رؤية ثلاثة رجال يرتدون سترات شرطة سان فرانسيسكو ويحملون الأسلحة النارية.

ثم قلت: "استغرق السطوح حوالي خمس دقائق من البداية إلى النهاية؛ وقد سرقوا حوالي عشرين ألفاً. استجوب الرقيب بيكلني صاحب المتجر الذي قال إن رجال عصابة سترات الشرطة حبسوه في الغرفة الخلفية ثم أطلقوا النار على درج النقود وفتحوه. لقد تحدثوا بالكاد، ولم يصب أحد".
 سألتني: "هل تركوا أي دليل خلفهم؟".

"كلا، مطلقاً. لقد أخذوا فوارغ الطلقات، وكانوا يرتدون قفازات. سنفحص أنا وكونكلين مكتب صرافة الشيكات الذي سُرق الليلة الماضية، وقُتل مالكة، وسنستجوب الناجي مجدداً".

"حسناً. عودي إليّ بأي جديد، اتفقنا؟".

هكذا أنهى برادي المقابلة. تركته منكباً على حاسبه، وذهبت لألتقي كونكلين في موقف السيارات في براينت.

كنا متحمسين للغاية لمقابلة بن فييرا، الشاب الذي كان يعمل في مكتب صرافة الشيكات الذي قتل صاحبه رمياً بالرصاص.

لحسن الحظ، عاش الصبي ليقص علينا ما حدث.

الفصل 17

بحذر بالغ، فتح بن فييرا بضعة سنتيمترات من باب شقته بطول السلسلة المثبته بالمزلاج. طلب الناجي من حادث السرقة والقتل بمكتب صرافة الشيكات والشاهد الوحيد عليه رؤية شارة كل منا، ففعلنا. ثم سأل عن اسمينا، ولكن بعد أن أخبرناه، أغلق الباب في وجهينا.

سمعت صوته يتحدث على الهاتف. تحدث واستمع لبضع دقائق.

ثم فتح الباب مجدداً، وإن كانت الفتحة واسعة بما يكفي هذه المرة للسماح لنا بالدخول. كان فييرا متوسط الطول والبنية، يرتدي سروالاً قصيراً مخططاً باللون الأخضر وقميصاً يحمل شعار فريق نيويورك جاينتس. قال بينما ندخل: "أتصلت بالشرطة ... للتأكد من هويتكما".

رد كونكلين: "حسناً، نتفهم الأمر".

كانت شقة من غرفة واحدة في شارع بويلار، معتمة وفوضوية، تتناثر فيها علب البييتزا والصدوا، وتملاً الأطباق المتسخة الحوض، والملابس المتسخة ملقاة على الأرض. طوى فييرا سريره الذي تحول إلى أريكة، وقدم لنا مقعدين، ثم جلس على مقعد جلدي مريح وأرجع ظهره إلى الخلف ثم قال:

"أنا أتعاطى عقار زانكس. لقد وصفه الطبيب لي. أنا أخبركما للعلم فقط".

قال كونكلين: "حسناً".

أكمل فييرا ناظرًا إلى السقف: "لقد تحدثت بالفعل إلى الشرطة ليلة حدوث... ما حدث".

قال كونكلين: "أعلم أن هذا صعب يا بن. لقد أخبرتهم بما حدث. والآن نريد منك أن تفعل ذلك مرة أخرى. ربما تتذكر بعض التفاصيل الجديدة. نحن ليس لدينا أي دليل على هوية هؤلاء الرجال. إنهم قتلة. أنت رأيتهم، وعلينا أن نقبض عليهم".
تهدد فييرا بعمق قبل أن يصف عملية السطو واطلاق النار، والتي من الواضح أنها أصابته بصدمة شديدة.

"كما قلت، كان هناك ثلاثة منهم. كانوا يرتدون سترات الشرطة، وأقنعة من اللاتكس. لقد دخلوا بسرعة. صوب أحدهم علينا عبر شباك الصرافة المصنوع من الزجاج الصناعي، وفتح آخر باب غرفة الأمن. ثم قال أحدهم للسيد دياز: "أعطونا المال ولن يتأذى أحد"

استمر الشاب في حديثه وذكر أن رئيسه كان يحمل مسدسًا لكنه لم يطلق منه النار. من أطلق النار كان أحد اللصوص المقنعين، وذلك على ذراع دياز الأيمن. الثاني أمسك بعنق فييرا، وصوب مسدسًا جهة رأسه، وأمره بفتح الخزانة. أخبرهم فييرا أن الخزانة كانت في الطابق الأرضي وأنه لم يكن يعرف الرقم السري وقال: "أقسم لكما بشرفي".

طوال رواية فييرا لهذه القصة، لم تتغير نبرته، إلا أنه كانت هناك هزة في صوته، وكنت أشعر برعبه الذي يختبئ خلف تأثير المهدي.

أكمل قائلاً: "كان السيد دياز يتدحرج على الأرض ويصرخ، لكنه لم يخبرهم بالرقم السري رغم ذلك. بعدها أطلقوا النار على ركبته. يا إلهي، كان أمرًا بشعًا. وهنا أخبرهم السيد دياز بالرقم السري وهو يصرخ من الألم.
فتحتُ الخزانة وأخذوا منها المال وغادروا. اعتقدت أن السيد دياز سيعيش.
كان دائمًا طيبًا معي. أنا لا أعرف لماذا ظلت أنا على قيد الحياة".

تناوبنا أنا وكونكلين طرح هذه الأسئلة: هل لاحظت أي شيء غير عادي في هؤلاء الرجال؟ هل تعرفت على صوت أحدهم؟ هل بدا أي منهم مألوفًا لك؟ هل من المحتمل أن يكون أحدهم قد زار المكان من قبل؟ هل أزال أحدهم قفازيه أو قناعه؟ هل قام أي من الرجال بمخاطبة رفيق له بالاسم؟
أجاب: "ربما نادى أحدهم الآخر باسم خوان".

لم تكن بالمعلومة المهمة، ولكننا سجلناها على أية حال.

أعطيت فييرا بطاقتي وأخبرته أن يتصل بي ليلاً أو نهاراً إذا تذكر أي شيء آخر. وقال: "سأفعل. يعلم الله أنني لا أستطيع النوم ولا أستطيع أن أنسى". اصطحبنا إلى الباب، وبمجرد أن أغلقه خلفنا، سمعت صوت القفل والسلسلة.

كانت محطتنا التالية هي مكتب صرافة الشيكات الذي يحمل اسم: بايدي لونز لتسييل وصراف الشيكات.

كان فريق التحقيق في موقع الجريمة ينهي عمله تقريباً، واصطحبتنا المحققة جينيفر نوينهوف. أرتنا المحققة المكان الذي ركل فيه اللصوص الباب في الجزء الخلفي من المتجر. وأرتنا بقعة الدم الهائلة في المكان الذي نزف فيه السيد خوسيه دياز حتى الموت. نظرنا إلى الخزانة المفتوحة في الطابق الأرضي، وكان الأمر يشبه النظر إلى قبر مفتوح.

قالت نوينهوف ساخرة: "ربما لا يزيد عدد البصمات هنا عن ثلاثين مليون بصمة. لن نستغرق أكثر من قرن كي نعرف هوية أصحابها".

قال كونكلين: "وفري الوقت على نفسك يا نوينهوف. لقد قال الشاهد إن القتلة كانوا يرتدون قفازات".

عندما عدنا إلى السيارة، اتصلت ببرادي وأخبرته بكل شيء عرفناه، وهي معلومات معظمها تقليدي ومماثلة لأي معلومات معتادة حول عمليات السرقة والقتل والخروج دون ترك دليل. قلت إننا سنصل في غضون ساعتين.

"هناك مكان علينا زيارته أولاً أيتها الملازمة. إنها مسألة شخصية". عندما أنهيت مكالمتي مع برادي، خلعت ربطة شعري المطاطية، وهزرت رأسي محاولة تفكيك خصلات شعري والتخلص من مزاجي العكر في الوقت نفسه. عدلت مرآة السيارة ووضعت القليل من ملمع الشفاه، وطلبت رموشي ببطيئة رقيقة من الماسكارا.

عندما صار وجهي مقبولاً، قلت لشريكي: "حسناً. الآن يمكننا أن نبدأ أيها المفتش".

سألني: "هل ترغبين في تشغيل سارينة الشرطة؟". أجبت: "قم بما عليك القيام به".

رفع يده بالتحية العسكرية، ما جعلني أضحك. وبعد قليل كنا نقف خارج مبنى العبارات.

الفصل 18

لم يكن مبنى العبّارات بسان فرانسيسكو مرسى للعبارات القادمة من وإلى الأميديا وأوكلاند فقط؛ فساحة ذا جريت نيف المذهلة تتميز بسقف مقنطر يبلغ ارتفاعه أكثر من ستمائة قدم، وهي تضم برج ساعة، وتعتبر مركزاً حيوياً للمطاعم والمحال التجارية والمكاتب وأسواق المزارعين النابضة بالحياة.

دخلت أنا وكونكلين المبنى من رصيف المرفأ الواسع الذي يبلغ عرضه ثلاثين قدماً، ومررنا بالطاولات المليئة بأشخاص يتناولون وجبات غداء سريعة، قاصدين متجر ذا بوك باسيدج لبيع الكتب بنوافذه الزجاجية الممتدة من الأرض إلى السقف والتي تطل على خليج سان فرانسيسكو.

شقت أنا وشريكى طريقنا بين الروايات الجديدة المعروضة والأرفف الطويلة التي تحمل الكتب الأخرى، حتى وصلنا إلى القسم الخلفي من المتجر، حيث جلس تسعة أو عشرة أشخاص يستمعون إلى متحدثة تقف أمام منضدة قراءة.

كانت المتحدثة هي فتاتنا الصحفية سيندي توماس.

بدت رائعة كالعادة، بثوبها الكشمير الأزرق الناعم وأمشاط الزينة المتلائة في شعرها الأشقر المجعد. كانت تتحدث عن كتابها الجديد وتوقفت للحظة عندما رأتنا. ثم ابتسمت ابتسامة عريضة واستكملت الحديث بينما كنا نجلس.

قالت: "فتاة فيشر هي القصة الحقيقية لقاتلين، رجل وامرأة: متحابين يرتكبان سلسلة من جرائم القتل. إذا كانت تذكركم بقصة بوني وكلايد، فأؤكد لكم أن هذين الزوجين مختلفان للغاية، لقد كانا مجنونين. أكثر جنونًا في الواقع، وأشد خطورة.

كان راندي فيشر وماكينزي موراليس يقتلان بشكل منفصل، ولكنهما ينفذان جرائمهما كما لو كانا يعيشان داخل عقلي بعضهما البعض".

رفعت سيندي كتابها حتى يتمكن جمهورها من رؤية صورة الغلاف المشوشة للقاتلين وهما يسيران جنباً إلى جنب، وهي الصورة الوحيدة المعروفة لفيشر وموراليس معاً. ثم أخبرت جمهورها الصغير بأنها كمراسلة لجريدة كرونكل، بدأت بتغطية قضية راندي فيشر بعد أن أدين بقتل خمس نساء في سان فرانسيسكو وما حولها.

أكملت سيندي: "كان لفيشر نوع مفضل من الضحايا. كانت ضحاياها فتيات جامعيات نحيلات داكنات الشعر، وكانت ماكينزي موراليس تنتمي إلى النوع الذي يحب فيشر أن يعذبه ويقتله.

ولكن لسبب ما، لم يقتل فيشر موراليس. في الواقع، كان يحبها وكان اسمها يتردد على لسانه بينما يلفظ أنفاسه الأخيرة، كما كانت هي الأخرى تحبه".

ومضت سيندي تقول إنه بعد وفاة فيشر بدأت في التحري عن ماكينزي موراليس، لاشتباههم في ارتكابها ثلاث جرائم قتل، ولكنها هربت من مقر احتجازها بالشرطة. وخلال هروبها، اتهمت بقتل العديد من النساء ممن ينتمين إلى النوع الذي كان يهوى راندي فيشر تعذيبه وقتله.

قالت سيندي: "التقيت مرة واحدة بموراليس، وكانت لدي معلومات من مصدر خاص حول مكان وجودها المحتمل. فكرت أنه إذا كان بإمكانني توفير مكان آمن لها لتحدث، فيمكنني حينها أن أرضي غرورها. كنت أمل أن تخبرني لماذا أصبح راندي فيشر معلمها، وحبیبها، ووالد ابنها.

قد تبدو لكم مخاطرة، أليس كذلك؟ أو قد يبدو أنه من الجنون أن تطارد مراسلة قاتلة مضطربة نفسياً كي تكتب عنها قصة صحفية.

لكنني كنت مهووسة بهذا العالم، واعتقدت أن قصة فيشر وموراليس يمكن أن تتحول إلى ملحمة خالدة عن الحب والجريمة. في أثناء إعداد الكتاب، أدركت

أننا لا نحصل دائماً على الإجابات التي نبحث عنها، لكن الأجوبة التي نحصل عليها غالباً ما تخبرنا بكل شيء. القصة بالكامل ستجدونها في هذا الكتاب".
 لقد فعلتها. حمّست سيندي جمهورها الذي صفق بحماسة، وطرح الأسئلة، ثم اصطف أمام الطاولة كي يتسنى لسيندي التوقيع على نسخة لكل واحد منهم. لم أستطع التوقف عن الابتسام. كنت فخورة جداً بها.

وقفت بجوار الطاولة، وسمعت كونكلين يقول لسيندي: "وقعي هذا لي. ولا تبخلي بإهداء مميز. ووقعي هذا أيضاً... لوالدتي".
 ضحكت سيندي وقالت: "بالتأكيد. كما تشاء أيها الوسيم".

كانت سيندي وكونكلين على علاقة عاطفية لسنوات، وإن كانت متقطعة، والآن، عاد لبعضهما كما يبدو. تمنيت أن يستمر هذا المرة إلى الأبد. وقعت سيندي الكتابين لرجلها ولمن يحتمل أن تصبح حمايتها المستقبلية. عندما تنحى كونكلين جانباً، طلبت من السيدة الواقفة خلفه أن تلتقط لنا صورة.
 قالت: "بالتأكيد".

أعطيتها هاتفي وجذبت شريكي وصديقتي العزيزة. كانت سيندي في المنتصف، ووضع كل منا ذراعه حولها، وابتسمنا للكاميرا. وأخذنا صورة إضافية.

قالت سيندي: "دعيني أر". التففنا حول تلك الوسيلة التكنولوجية الصغيرة التي استولت على عقولنا جميعاً. كنا نبسو سعادة في الصورة. كم مرة يحدث هذا؟ كانت هناك لافتة معلقة خلف المنصة، فوق رؤوسنا بالضبط، تقول:
 المؤلفة سيندي توماس، اليوم.

قالت سيندي: "رائع! هذا رائع للغاية. صورة مثالية ليوم مثالي".

الفصل 19

كان الرجل الذي سمى نفسه "واحد" يجلس في المقعد الخلفي للسيارة السيدان ذات الأبواب الأربعة، خلف السائق مباشرة. أما زميلاه الآخراَن فقد أطلق عليهما "اثنان" و"ثلاثة" لتجنب أي زلة لسان بالاسم الفعلي. عرف "واحد" أن غياب البشر كان الشيء الوحيد الذي يمكن أن يفسد هذا العمل. كل شيء آخر كان سهلاً. لم يكن هناك حراس أمن، أو كاميرا، وكان هناك الكثير من المال في الدرج وشخص واحد فقط في المتجر. على عكس البنوك، حيث يكون الأمن مشدداً ومتوسط المبلغ الذي يمكن سرقة لا يزيد على أربعة آلاف دولار، كانت مكاتب صرافة وتسييل الشيكات تحتوي عادةً على مبالغ تتراوح بين ٥٠ ألفاً و١٠٠ ألف. وبينما كانت المتاجر الإسبانية تحتوي على مبالغ أقل، كان المخزون النقدي بهذا المتجر خاصة أكبر بكثير باعتباره وكيلاً لـ ويسترن يونيون.

كان "واحد" ورفيقاه هادئين بينما كانوا يشاهدون الحركة الخفيفة للسيارات والمارة في هذا الجزء التجاري من شارع ساوث فان نيس. عندما أصبح "واحد" جاهزاً، استخدم هاتفاً غير مسجل للاتصال بالشرطة. قال بنبرة ملحّة: "قسم الشرطة؟ تعرض متجر الكحوليات في شارع جوليان للسرقة. لقد سمعت للتو صوت طلقات رصاص - الكثير منها. أرسلوا رجالكم على الفور".

أغلق الخيط عندما طلبت عاملة الهاتف اسمه، لكنه عرف أنها ستبدأ الاتصالات اللاسلكية على الفور. هذا الإلهاء سيجذب أي سيارات شرطة تقوم بدوريات في هذا الحي وسترسلها إلى موقع يبعد بنصف ميل عن هدفهم الحقيقي.

على الجانب الآخر من الشارع، كانت الفتاة في المتجر الإسباني ساطع الإضاءة تقف خلف منضدة دفع الحساب، وتتسلم النقود من زبون مسن. بدت الفتاة لـ "واحد" في منتصف العشرينيات. كانت ترتدي سترة طويلة مفتوحة على ثوب بني واسع. عندما وضعت البقالة في حقيبة الزبون القماشية المخططة، تركت المنضدة واصطحبته إلى الباب الأمامي وهي تتفوه ببضع كلمات بالإسبانية بينما كانا يقفان على الرصيف.

ثم عادت إلى داخل المتجر، وأغلقت الباب الزجاجي، وأدارت اللافتة التي صارت تقول: مغلق. شاهدها "واحد" تسير إلى الجزء الخلفي من المتجر الطويل والضيق. وعندما أصبحت بعيدة عن الأنظار، قال "اثنان": "إنها وحدها يا "واحد". هل تريد مني البقاء في السيارة وتوفير بعض الوقت؟".

سمع "واحد" صفارات الإنذار الآن، ورأى سيارات الدورية وسيارات الشرطة السرية وهي تتجه صوب شارع سيكستينث. لقد حان وقت الهجوم. "نعم، فكرة جيدة. سيكون هذا أفضل".

خرج "واحد" و"ثلاثة" من السيارة مرتديين سترتي شرطة سان فرانسيسكو، وحاملين قناعيهما في جيبيهما، وسلاحيهما في حزاميهما. استغرق الأمر منهما ثواني لعبور الطريق. وعندما وقفا في المدخل المظلم لمتجر البقالة الصغير، وضعا قناعيهما.

عدل "واحد" قبعته وطرق الباب ناظرًا للأسفل كي ترى الفتاة علامة شرطة سان فرانسيسكو على سترته البوليسية دون أن ترى وجهه المقنع.

وقف "ثلاثة" وظهره إلى المتجر ناظرًا إلى قدميه بينما كان ينتظر الباب ليفتح. فتحت الفتاة باب المتجر بصوت مسموع بينما رن الجرس المعلق فوق الباب.

هرع الرجلان سريعًا إلى المدخل. صرخت الفتاة، ولكن "واحد" أمسك ذراعها ودفعها للداخل مظهرًا سلاحه. رمى "ثلاثة" المفاتيح وأطفأ أنوار المدخل والجزء الأمامي من المتجر. صرخت الفتاة: "أخرجنا من هنا، أخرجنا!". حررت ذراعها بعنف، واستدارت محاولة الهروب من الباب الخلفي.

صاح "واحد": "قفي والا سأطلق النار! أنا لا أمزح!"

توقفت الفتاة وصرخت: "لا تؤذياني! أرجوكم!"

رد واحد: "لا أحد يريد إيذاءك، يا آنستي. هذه هي الحقيقة. الآن ارفعي

يديك، واستديري. نعم... هكذا. اذهبي الآن إلى درج النقود وافتحيه. افعلي

ذلك وكل شيء سيكون على ما يرام. فقط افعلي ما أقوله بالضبط."

رفعت الفتاة يديها في الهواء وقالت: "سأعطيكم المال. لا مشكلة". سارت

إلى الدرج، ووقفت خلفه في مواجهة المسلحين، بينما كانت أرفف السجائر

وغسول الفم ومزيلات العرق تبرز من خلفها.

تكلم "واحد" بهدوء ونعومة.

"هذا جيد. في غاية الذكاء. الآن يمكنك خفض ذراعيك وفتح الدرج. بعد

دقيقة من الآن سنخرج من حياتك إلى الأبد".

ضغطت الفتاة على بضعة مفاتيح.

أصدرت ماكينة تسجيل المدفوعات النقدية أزيزًا وانفتح الدرج بسرعة.

قال "ثلاثة": "أحسن". ومال بجسده فوق منضدة الحساب بفرض أخذ

المال من الدرج. لكنه لم يكن مستعدًا لمواجهة المسدس الذي سحبه الفتاة

من جيب ثوبها البني الفضفاض.

الفصل 20

كان لمايا بيريز ابنان؛ أحدهما ينمو داخل جسدها، وعمره أربعة عشر أسبوعًا بالضبط، وأعلى شيء في عالمها. أما ابنها الآخر فكان هذا المتجر. لقد كان مملوكًا لوالدها، الذي وضع كل ما كان يملكه ويكسبه لبقية مفتوحًا، لإعالة أسرته ولرغبته في أن يترك لها إرثًا ذا قيمة عندما يرحل. ولقد قضى السرطان عليه قبل شهر واحد.

لم يعيش ريكاردو بيريز لرؤية حفيده، لكنه شعر بأن هذا الطفل كان نعمة كبرى، وترك لمايا أوراق ملكية المتجر الذي كان اسمه ميركادو دي مايا على اسمها.

وقد أحببت هذا المكان: كل لافتة مكتوبة بخط اليد، وكل رف صنعه والدها وعمها من بقايا الخشب. كانت تعرف مكان كل صندوق وزجاجة وعلبة. والآن لأنها حامل، ووحدها، كان المتجر هو طوق النجاة بالنسبة لها. كانت قد انتقلت للعيش في الطابق العلوي بشقة والدها، وكانت تنوي إدارة هذا المكان وولادة طفلها هنا.

كان من المستحيل أن تسمح لأي شخص بأن يسرقه منها. هذا لا يمكن أن يحدث أبدًا.

وكان هناك شيء آخر.

عندما جاء الرجلان المرتديان سترتي الشرطة إلى المتجر، ظنت أنهما يرغبان في الحصول على معلومات حول عملية السطو التي حدثت الثلاثاء الماضي في مكتب صرافة الشيكات الذي يبعد عن متجرها بعدة مبان. لكن عندما شاهدت الأقنعة والأسلحة، عرفت أنهما بمجرد أن يحصلوا على المال، سيطلقان النار عليها.

مثلما فعلا مع خوسيه دياز.

شعرت مايا بأحاسيس في جسدها لم يسبق أن مرت بها: وخز، ودوار، وضربات قلب عنيفة للغاية. علمت أنها كانت ردة فعلها الجسدية خوفاً من الموت الوشيك. لم تكن هناك طريقة للهروب أو الاختباء، لكن ذهنها كان صافياً وروحها مليئة بالعزيمة والتصميم، وقالت في نفسها، مستحيل أن أسمع لهما بقتل طفلي.

كانت تحتفظ بمسدس أبيها الصغير في جيبها. وعندما اقترب أحد الرجلين من الدرج لأخذ مالها، رأت فرصتها تسنح. كان مسدسها مصوباً نحو قلبه، وإصبعها على الزناد، وقالت بوضوح وحزم شديد: "ألق سلاحك".

لم تر مايا الرجل الثاني يتحرك تقريباً. لقد كان سريعاً جداً. هبطت يده بقوة على ذراعها. وخرجت من مسدسها طلقة، لكنها عرفت أن الطلقة أصابت الأرض.

بعدها شعرت بالرصاص يخترق جسدها وأظلم كل شيء حولها فجأة.

الفصل 21

كانت الساعة قد تخطت الثامنة مساءً عندما غادرت أنا وكونكلين مقر قيادة الشرطة، منهكين تماماً. اصطحبني شريكي إلى سيارتي التي كانت في ساحة انتظار السيارات في شارع هاربيت. كنا ندردش باسترخاء عمن كان دوره لجلب وجبة الإفطار في الصباح، ثم ودعته قائلة: "سأراك غداً إذن".

فتحت زجاج نافذة السيارة وأدرت المحرك وكنت على وشك الانطلاق عندما طلبني برادي على الهاتف. ضربت بيدي على النافذة، وأشارت إلى ريتشي بالبقاء.

بدا برادي منفعلًا وهو يقول:

"بوكسر، أبلغ مجهول عن إطلاق نار قادم من متجر ميركادو دي مايا بشارع ساوث فان نيس. لقد رأى رجلي شرطة يخرجان من المتجر مسرعين. تبدو عملية سطو جديدة لعصابة سترات الشرطة. تحققنا من الأمر".

أعطاني العنوان وقلت: "نحن في طريقنا".

كان ريتش لا يزال واقفًا بجانب سيارتي.

قال: "في طريقنا إلى أين؟".

توجهت بسيارتي نحو ساوث فان نيس، وشغلت صفارة إنذار الشرطة وأضواءها بالكامل، بينما اتصل ريتش بـ جو وسيندي لإخبارهما بأننا سنغير وجهتنا. في

غضون خمس دقائق كنت أوقف سيارتي بجوار رصيف يبعد نحو عشرين ياردة عن متجر صغير علقت على نافذته لافتة مكتوب عليها "ميركادو دي مايا".

توقفت سيارة شرطة وراءنا. خرجت من سيارتي وطلبت من الشرطيين أن يستكشفا الجزء الخلفي من المتجر. ثم تقدمت أنا وكونكلين نحو المدخل الأمامي لمتجر البقالة الصغير.

هذه دائماً هي أسوأ لحظة، تلك التي لا تعرف فيها إذا ما كان مسرح الجريمة لا يزال ساخناً، إذا ما كانت هناك رصاصات ستنتطلق، وإذا ما كان الضحايا يُستخدمون كدروع بشرية.

كان الباب الأمامي للمتجر مفتوحاً على مصراعيه بينما كنت أقرب أنا وشريكي ممسكين بسلاحينا. كان مقبض الباب سليماً، والأنوار مطفأة بالداخل. لكن رائحة الرصاص تملأ الأجواء. ناديت في المدخل: "شرطة. لا يتحرك أحد". سمعت أنيماً ثم صوت امرأة تقول: "هنا".

دخلنا المتجر. أشعل كونكلين الضوء وحَمَى ظهري بينما تتبعت الصوت وصولاً إلى أرضية المتجر خلف منضدة الحساب على بعد بضعة ياردات. أدخلت مسدسي في جرابه وجثوت بجانب الضحية. كانت تتلوى من الألم وتترزف بما بدا أنها عدة جروح ناجمة عن طلقات نارية. قالت لي: "لقد أطلقوا النار عليّ، أطلقوا النار عليّ". كان درج النقود مفتوحاً، وهناك عدة زجاجات سقطت من فوق الرفوف. لقد دار عراك هنا.

سمعت كونكلين يتحدث في جهاز اللاسلكي، وكان الشرطيان الآخران قادمين من الباب الخلفي. قلت للضحية: "تحلمي. المسعفون في الطريق. ما اسمك؟".

"مايا بيريز".

قلت: "سيارة الإسعاف ستكون هنا في أية لحظة يا مايا. ستكونين على ما يرام. هل تعرفين من أطلق النار عليك؟".

قالت: "أنا حامل. عليك أن تنقذي طفلي".

"لا تقلقي. سيكون الطفل بخير".

لقد قلت ذلك، لكنني كنت أرى أن مايا نزفت الكثير من الدماء. كانت الدماء تتجمع في بركة على الأرض، نتيجة لجرح في فخذهما ينزف دمًا غزيرًا. خلعت حزامي وربطته على فخذهما فوق الجرح.

لم يساعد هذا مطلقًا.

سألته مرة أخرى: "مايا، هل تعرفين من فعل هذا بك؟"

قالت: "شرطيان".

سعلت دماء، بينما كانت الدموع تتدفق على وجهها. وتأوهت بينما كانت تمسك ببطنها فوق ثوبها الفارق في الدماء، وقالت: "رجاء. لا تدعي طفلي يموت".

الفصل 22

أمسكت يد مايا بيريز وهمست بكلمات مطمئنة لم أكن أصدقها تمامًا.

أين المسعفون؟ ماذا يؤخرهم؟

قلت لها: "هذا الشرطي الذي أطلق النار عليك .. هل سبق أن رأيته من قبل؟ هل حدث أن دخل متجرك؟"

هزت رأسها من جانب إلى آخر وقالت: "كانا يرتديان .. سترات الشرطة .. أفقعة .. وقفازات .. من اللاتكس".

"هل هناك شخص يمكنني الاتصال به يا مايا؟ هل تريدني أن أتصل بصديق أو قريب؟"

ومضت أضواء سيارة الإسعاف عبر واجهة المتجر الزجاجية، وتوقفت السيارة خارج المتجر.

صاح كونكلين: "إنها هنا!".

وقفت لأفسح المجال للمسعفين.

قلت: "اسمها مايا بيريز. انتبهوا فهي حامل".

تحدث المسعفون بعضهم إلى بعض، ثم إلى المريضة، ثم رفعوها على نقالة وحملوها للخارج، فمضيت خلفهم.

كان قلبي يتألم لوضع مايا، متخيلة خوفها على طفلها الذي لم يولد بعد. وقفت أشاهد وهج المصابيح الخلفية يتضاءل بينما كانت السيارة تمضي بسرعة نحو مستشفى متروبوليتان.

ثم اتصلت بـ برادي.

سألني: "أهذه عملية سطو جديدة لعصابة رجال الشرطة؟"

قلت: "أخشى ذلك. كان السارقان يرتديان سترات بوليسية وأقنعة وقفازات، ولكن الضحية لم تتعرف على من أطلق النار عليها".

وبينما كنت أتحدث إلى برادي، كنت أجول بعيني باحثة عن أي مكان يحتمل وجود كاميرا أمنية به. كنت أمل في واحدة على الباب الأمامي أو عند ماكينة تسجيل المدفوعات النقدية. لكنني لم أجد شيئاً. خرجت من المتجر بينما لا يزال برادي معي على الهاتف، باحثة عن كاميرات في متاجر أخرى ربما التقطت ما حدث عند واجهة المتجر المنكوب على الأقل.

ثم قلت: "برادي. لا أرى كاميرات أمنية في أي مكان".

سبَّ برادي ساخطاً، وظللنا نتحدث حتى لم يعد بإمكانني سماعه مع تعالي أصوات صفارات إنذار الشرطة القادمة من كل مكان. أغلقت أنا وكونكلين المتجر ووقفنا منتظرين فريق التحقيق الجنائي عندما وصلتني مكالمة أخرى من برادي.

سمعتة يقول: "لم تنج مايا بيريز للأسف".

صحت: "اللجنة أقتلت المرأة وجنينها من أجل سرقة محتويات ماكينة

تسجيل المدفوعات النقدية. هل هذا معقول يا برادي؟"

"كلا. عودي إلى المخفر. سأنتظرك".

الفصل 23

كان الوقت يقترب من منتصف الليل عندما عدت أنا وكونكلين إلى مقر قيادة الشرطة. كان برادي في مكتبه، وعلى الرغم من أننا كنا على اتصال دائم خلال الساعات الأربع الأخيرة، فقد أراد التحدث إلينا.

سلطت المصابيح الفلورية في السقف ضوءًا باردًا على الضباط المناوبين لهذه الليلة والجالسين خلف مكاتيبهم، ما جعل بشرتهم تبدو شاحبة كبشرة الزومبي. برادي أيضًا بدا نصف ميت، ولم أكن بحال أفضل لا أنا ولا شريكي. اتخذنا أنا وكونكلين المقعدين المواجهين لمقصورة برادي. مال شريكي بظهره إلى الخلف واضعًا قدمه على حافة المكتب، الأمر الذي يكرهه برادي، لكنه تفاضى عنه هذه المرة.

قال كونكلين: "أسلوب العصاة لم يتغير عن المرتين السابقتين. لم يترك الجناة أي شيء خلفهم عدا فوارغ الرصاصات في جسد مايا بيريز. سيرسلها الطبيب الشرعي إلى المختبر".

قال برادي: "علينا أن نبحث في كل مكان متوقع وغير متوقع".
فقلت: "على افتراض أنهم الجناة أنفسهم، فعلينا أن نعرف أنهم في غاية المهارة والذكاء يا برادي".

أخبرته أننا في الصباح كنا نراجع سجلات الشرطة مجددًا باحثين عن الدافع: ربما يكونون رجال شرطة طموحين لم يحصلوا على التقدير الذي

يتطلعون إليه، أو رجال شرطة ساخطين، أو موقوفين، أو محالين للتقاعد المبكر. ثم قلت: "لكن حتى لو كانوا من رجال الشرطة فعلاً، فإنهم قد لا يكونون تابعين لقسمنا، أو حتى مدينتنا".

أوماً برادي موافقاً، ثم قال:

"سأجد أشخاصاً إضافيين لهذه القضية".

كنت أركز على العمل الذي ينتظرنى، وجاء تعليق برادي ليفاجئني بالكامل. قلت: "فريق آخر؟".

"لقد أعارني قسم مكافحة جرائم السرقة المحققين سوانسون وفاسكيز، بالإضافة إلى الرجال الأربعة الذين يعملون تحت إمرتهم".

كان تيد سوانسون وأوزوالدو فاسكيز معروفين بمهارتهما كشرطيين، لكن تكليفهما هما ورجالهما بهذه القضية بدلاً من محققين من قسم جرائم القتل كان إخلالاً بسلم القيادة. لم أكن سعيدة بهذا، وقرأ برادي تعبير وجهي.

قال: "هذا هو كل ما نعرفه حتى الآن: خلال ستة أيام تمت ثلاث عمليات سطو كبيرة، بالإضافة إلى قتيلين. لا يوجد دليل واحد، مع اهتمام إعلامي موسع، وضغط من القيادات العليا.

لذا، لا تغضبي يا بوكسر. سوانسون خبير بجرائم السرقة والقتل. وفاسكيز نشأ في الشارع. سواء كان الفاعلون من رجال الشرطة أو مجرد مخادعين متكرين في زبهم، فلن يهم. إذا لم تقبض على هؤلاء الأوغاد، ستكون جميع وظائفنا مهددة. أفهمت؟".

أنا أحترم برادي، بل وأشعر نحوه بالمحبة في بعض الأحيان. لكنه كان يثير غيظي الآن. لم يكن سوانسون أو فاسكيز أفضل مني أو من كونكلين في أي شيء.

تابع قائلاً: "تواصل مع سوانسون وفاسكيز. أريد منكم جميعاً أن تمشطوا المكان جيداً إلى أن تصلوا لأي معلومة أو أي شخص. يجب أن تتوقف هذه الجرائم، ولا أبالي أي شخص منكم سيوقفها".

قال كونكلين: "سنتولى الأمر يا سيدي".

قلت وأنا أصر على أسناني: "نفهم هذا تماماً أيها الملازم". شعرت بأن النوم سيجافيني هذه الليلة.

الفصل 24

تقع البناية السكنية المشيدة من القرميد في نهاية شارع مسدود إلى جوار بقية البنايات المكونة من ثلاثة طوابق عند تقاطع شارع تايلور مع شارع إيدي، وهي أسوأ منطقة في حي تيندرلوين.

دفعت يوكي البوابة الخارجية، وضغطت على زر الاتصال الداخلي الذي يحمل اسم "كورديل".

دوى صوت الجرس وصعدت يوكي ثلاثة طوابق قذرة تمتلئ جدرانها برسومات الجرافيتي، ودقت على الباب الواقع في نهاية الردهة. فتح الباب وظهرت امرأة من خلفه.

"أنا يوكي كاستيلانو. أرسلني السيد جوردان من رابطة الدفاع. هل اتصلوا بك؟"

"نعم، نعم، تفضلي بالدخول".

كانت السيدة كورديل امرأة أمريكية من أصل أفريقي، شديدة النحول، وتبدو في الأربعين من عمرها. كانت ترتدي ربطة رأس حمراء فوق شعرها بينما أطلت قفازات مطاطية صفراء من جيب سروالها.

سارت يوكي خلفها في رواق طويل وضيق ودخلت غرفة معيشة مزدحمة بقطع متباينة الطراز من الأثاث. كان هناك رجل مسن يجلس على مقعد وثير، بينما ترتاح يده على عربة أطفال كان يهزها بلطف.

قدمت السيدة كورديل لها جد آرون-ري الذي كان يدعى نيل كورديل، ثم أخبرتها أن زوجها في العمل.

قالت: "زوجي محطم تمامًا. إنه لا ينام، ويتكلم قليلاً. لقد دمره موت آرون-ري".

جلست يوكي على أريكة بنية اللون، بينما جلست السيدة كورديل في مقعد كبير باللون نفسه. وعلى الطاولة بينهما رُصت صور آرون-ري كورديل. كان مبتسماً في هذه الصور.

قالت يوكي: "فلنتحدث عن ابنك".

التقطت أم الصبي إحدى الصور من فوق الطاولة واحتفظت بها في يدها في أثناء حديثها: "كان آرون-ري في الخامسة عشرة. كان كبير الحجم، وبدا أكبر من عمره الحقيقي، لكنه كان يمتلك عقل طفل".

أومأت يوكي برأسها. لقد أخبرها ذلك أن آرون-ري كان متأخرًا ذهنيًا، ولكنه لم يتورط في أي نوع من المشكلات قبل حادثة سجنه وقتله.

أكملت والدة آرون: "كان يذهب إلى المدرسة كل يوم، أو هكذا ظننا. لقد اكتشفنا مؤخرًا أنه كان يتردد على أماكن مشبوهة".

علقت يوكي: "كان هذا بعد حادث إطلاق النار في وكر المخدرات؟".

أومأت السيدة كورديل، ثم أكمل الجد القصة:

"ما حدث هو أن آرون-ري رأى تجار المخدرات الثلاثة يُقتلون رميًا بالرصاص، ففر إلى الشارع، لكن رجال الشرطة طاردوه وألقوا القبض عليه بتهمة قتل هؤلاء الرجال. كانت مزحة. آرون-ري كان لديه عقل طفل في الخامسة من عمره. لم يكن يعرف حتى كيف يطلق النار من مسدس".

ثم بدا أن السيد كورديل أدرك أنه كان يهز الرضيع بشدة، فقال متوجهاً ببصره إلى العربية: "عذراً يا صغيري"، وشبك يديه بحزن. كان مضطرباً وحزيناً على حفيده.

قالت يوكي للرجل المسن: "بحسب ما أفهم، عثرت الشرطة على المسدس مع آرون-ري".

"نعم، هذا صحيح. لقد أخذ السلاح فعلاً. غالباً لم يرف فيه أكثر من مجرد لعبة. قبضت الشرطة عليه واستجوبوه لساعات ولم يتصلوا بنا حتى".

أكملت السيدة كورديل قائلة:

"إذا لم يلق القبض على آرون-ري بالخطأ، إذا لم تتلاعب الشرطة به وتخبره أنه فتى رائع لقتله تجار المخدرات الأشرار، لم يكن ابني سيتنازل عن حقوقه، أو سيعترف بجريمة لم يرتكبها، أو سيقتل في السجن في أثناء انتظاره المحاكمة. كان ابني سيظل على قيد الحياة".

شعرت يوكي بالألم الشديد الذي يعانیه أحياء آرون-ري. وأمكنها أن ترى أنها تنتمي الآن إلى رابطة الدفاع، وبالتالي أصبح العمل على مثل هذه القصص المرعبة بمثابة زاده في الحياة.

مضت السيدة كورديل تقول: "على الشرطة أن تدفع ثمن ما فعلته، أليس كذلك يا سيدة كاستيلانو؟ يجب أن يدفعوا كيلا يفعلوا هذا بابن شخص آخر". أجابت يوكي: "أوافقك. لقد رفعنا بالفعل قضية ضد المدينة ومركز شرطة سان فرانسيسكو. سيكون الأمر صعباً يا سيدة كورديل؛ فسلطات المدينة ستدافع عن نفسها. قد تضطرين إلى الشهادة. سيطرحون عليك أسئلة صعبة، وسيحاول محامو المدينة تشويه صورة آرون-ري بقدر الإمكان".

قالت السيدة كورديل: "نحن معكم".

وقالت يوكي: "ونحن معكم".

في الواقع، بدأ الانضمام إلى رابطة الدفاع بمثابة فكرة متهورة ومجنونة للغاية. هل كانت مؤهلة لهذا حقاً؟

ثم عانقت يوكي الأم والجد مودعة.

كانت تتمنى أن تكون قد اتخذت القرار الصحيح.

فقريباً سيبدأ باريزي وشركته القانونية المكلفة من قبل المدينة في تمزيقها إرباً، وربما تتعدم رغبتها - حينئذٍ - في ممارسة القانون مرة أخرى.

الفصل 25

بعد مغادرة منزل آل كورديل، قادت يوكي سيارتها لمسافة أربع بنايات وأوقفتها أمام وكر المخدرات الذي بسببه دُمرت حياة آرون—ري قبل ثلاثة أشهر عند تقاطع شارعي تورك ودودج. وكما قالت والدة آرون، كان حي تندرلويين مكانًا سيئًا لتربية الأطفال. ولم تكن تمزح؛ إنه الأكثر سوءًا.

كان ذلك الحي الفقير عالمًا سفليًا مليئًا بالوحشية والفوضى واليأس، يسكنه سكارى ومدمنون عدوانيون، بالإضافة إلى المشردين واللصوص وبائعات الهوى والخارجين على القانون. وأفضل ما يمكن أن تصف به أهل هذا الحي هو أنهم كانوا في حال يرثى لها؛ فمعظمهم كان مصيرهم الهلاك.

كانت يوكي أعقل من أن تترجل من السيارة.

لقد كانت هنا لمعاينة المكان الذي بدأت فيه مأساة آرون—ري، ولتوثيق الصورة في مخيلتها؛ كي تتمكن من كتابة مرافعة قضائية تهز مشاعر المحلفين. حدقت في المبنى المتهالك المشيد من الخشب الذي تقشر طلاؤه، وفي المطعم الصيني الكائن في الطابق الأرضي. كان الطابق الثاني وفقًا لمعلومات يوكي مهجورًا، ويتألف من وكر ضخّم للمدمنين. أما الطابق الثالث فكان خاصًا بعمليات المقايضة، حيث يقبض تجار المخدرات أموالهم من المدمنين المساكين مقابل مساحيقهم المدمرة.

شاهدت الباب المعدني المشوه الذي كان مفتوحاً على الشارع. كان واضحاً من أعداد الرجال والفتيان الذين كانوا ينظرون في كلا الاتجاهين قبل الدخول من هذا الباب أن وكر المخدرات كان في أوج نشاطه.

تخيلت يوكي آرون-ري كورديل وهو يقضي وقته في هذا المكان ظناً منه أن هذا هو ما سيجعله مواكباً لشباب جيله، وتصورت صدمته وحيرته عندما بدأ إطلاق النار. تخيلته وهو يلتقط المسدس - ذلك الشيء اللامع والقيم - ثم يجري هارباً.

إذا كانت هذه هي الحقيقة - وذاك جوردان يعتقد أنها كذلك - فإن آرون-ري مات دون ذنب، وتستحق عائلته العدالة التي لا يمكن أن تتحقق سوى بتعويض بملايين الدولارات تقدمه المدينة وشرطة سان فرانسيسكو.

كانت يوكي تفكر في العمل الذي عليها القيام به إلى أن سمعت شخصاً ينقر على نافذة سيارتها. التفتت مندهشة، فرأت ضابطاً يرتدي الزي الرسمي، ويشير لها كي تفتح نافذتها.

"نعم يا حضرة الضابط؟"

"أهناك مشكلة في سيارتك، آنتي؟"

"لا، على الإطلاق."

"أنت تعرفين أن الحي ليس آمناً، أليس كذلك؟ قُتلت امرأة بشارع هايد قبل بضع ساعات. انتظري لحظة..."

انحنى رجل الدورية لإلقاء نظرة أفضل على وجهها، وقال:

"ألسنت زوجة الملازم برادي؟"

"نعم، أنا يوكي كاستيلانو."

قال مبتسماً وهو يشير إلى سيارته: "أنا كلارك، جون كلارك، وهذا هو مكتبي. هل أنت في مهمة عمل يا سيدة كاستيلانو؟ لأنني لو كنت مكان زوجك لما رغبت أن تكون زوجتي جالسة في سيارة في هذا المكان."

قالت: "أنا بخير أيها الضابط. أعمل على جريمة قتل وقعت قبل شهرين، وأشارت إلى وكر المخدرات.

فقال: "نعم، صحيح. تجار المخدرات الذين قتلوا هناك. لقد أقيت القبض على المسكين الذي فعل ذلك."

"آرون-ري كورديل؟"

قال كلارك: "نعم. كان يعمل ساعياً، فكان يجلب لهؤلاء المجرمين القهوة والسجائر وما شابه. لا أعلم لماذا أطلق النار عليهم، لكنه أسدى المدينة خدمة".

سألت يوكي: "وماذا قال لك عندما اعتقلته؟".

أجاب كلارك: "قال إنه لم يفعلها. سألته ما الذي لم يفعله، فأخبرني أنه لم يطلق النار على الرجال في الطابق العلوي. فصعدنا إلى الطابق العلوي ووجدنا الجثث".

شكرت يوكي الضابط، ثم قادت سيارتها عبر الشارع المزدهم المتفرع إلى ثلاثة أزقة. لن يسهل إقناع المحلفين بتلك القصة. ربما تكون قضية يستحيل الفوز بها.

الفصل 26

عند وصولها مكتبها الجديد برابطة الدفاع، تجرعت يوكي نصف زجاجة ماء، ثم ركلت حذاءها، ووضعت حقيبة يدها في درج مكتبها. شغلت حاسبها وفتحت ملف آرون—ري كورديل الذي أعدّه زاك جوردان.

كان رجال الشرطة اللذان استجوبوا آرون—ري بعد اعتقاله هما المحققين ستان ويتني وويليام براند من قسم مكافحة المخدرات والرذيلة بشرطة سان فرانسيسكو.

استطاعت يوكي العثور بسهولة على الوثائق التي تبين أن آرون—ري قد احتجز في الطابق السادس بمقر قيادة الشرطة، الزنزانة رقم ٢، منتظرًا محاكمته. ووجدت شهادة وفاة يعود تاريخها إلى ما بعد احتجاز المراهق بيوم تُظهر سبب وفاته، وهو "تمزق شديد" بالكبد، كما قال ضابط السجن المناوب في تقرير موجز أن عراكًا كبيرًا قد نشب في الحمامات.

أدرج المحقق في تقريره الخاص بمقتل آرون—ري ثمانية أشخاص مشتبهًا بهم، لكن تقريره خلا من أي دليل أو اعتراف، ولم يقدم أي شخص معلومة واحدة مفيدة. قيدت جريمة قتل آرون—ري ضد مجهول في وقت لاحق، ولم يتم اتخاذ أي إجراء بعدها.

لم تجد نص استجواب ويتني وبراند لـ آرون—ري كورديل في الملف، لكن زاك جوردان أدرج مقطع الفيديو.

وضعت يوكي الأسطوانة في مكانها بالحاسوب. واقشعر بدنهما منذ البداية مع مشاهدتها للاستجواب الذي خضع له مراهق أسود متأخر ذهنياً على يد فريق من المحققين الخبراء.

ظلت تشاهد لمدة ساعة تقريباً، ثم اتصلت بجينا مساعدتها الجديدة، وأخبرتها أنها تريد إرسال طلب استدعاء للمحققين ستان ويتني وويليام براند من شرطة سان فرانسيسكو.

الفصل 27

قابلت أنا وكونكلين إدوارد سوانسون، أو "تيد" كما ينادونه، وأوزوالدو فاسكيز من فرقة مكافحة السرقات عند تقاطع شارعي ميشن وتوينتي ثيرد، وذلك في الحي الذي يضم متجر ميركادو دي مايا، الذي صار مغلقاً الآن.

خرج سوانسون وفاسكيز من سيارتهما الشيفروليه التي لا تحمل أرقاماً وصافحانا. كان سوانسون ممتلئ الجسم، بوجه لطيف وشعر أشقر بلون الرمل، وعينين رماديتين فاتحتين. كما كان في نفس طولي، الذي يبلغ خمس أقدام، وربما نفس عمري أيضاً.

أما فاسكيز فكان قوي البنيان، وأقصر وأصغر سنّاً من شريكه، وذا قبضة يد قوية. بدا كأنه كان ملاكماً محترفاً.

قام أربعتنا، بالإضافة إلى بقية فريق قسم مكافحة السرقات، بالانتشار في الشوارع المجاورة للمتجر، مستجوبين أصحاب المطاعم والمخازن والشقق الموجودة في المنطقة.

اخترت تفتيش شقة مايا الكائنة فوق المتجر، باحثة عن أي شيء يشير إلى أن موتها كان لسبب قوي، وليس مجرد عمل متهور قامت به عصابة من المجرمين. لم أجد سوى منزل صغير أنيق وغرفة صغيرة أعدتها مايا لطفلها الذي لم يولد. كان هذا مفاجئاً بالقدر الذي يمكنك أن تتخيله.

كانت الجدران مطلية باللون الأصفر كأشعة الشمس في غرفة لم تكن الشمس تصل إليها. كان المهده مصنوعاً باليد، وكذلك كانت زينة قوس قزح التي تعلوه. كان الأمر مؤثراً وعذباً للغاية، لكنه كان مفاجئاً أيضاً.

أجريت مقابلة مع جيران مايا بيريز، الذين أخبروني كم كانت فتاة طيبة، وبكى بعضهم متأثر. عدت أنضم إلى زملائي من جديد شاعرة بالكثير من الألم والغضب. كنا ثمانية، لكننا لم نتوصل ولو من بعيد لمعرفة هوية من سرقوا المتجر وأطلقوا النار على مايا بيريز.

لم يذكر أحد أنه رأى حادث السرقة، وهذه المرة لم تكن هناك لقطات فيديو مسجلة، فلم تكن هناك كاميرات مراقبة.

عندما انتهت نوباتنا، تناول ثمانيتنا الطعام في مطعم صغير، ثم عدنا لتمشيط المنطقة مرة أخرى، بادئين التحقيق مع من كانوا في العمل نهاراً وعادوا إلى منازلهم.

لم نحظ بمعلومة واحدة مفيدة.

ثم تلقيت مكالمة من كلابر، رئيس قسم الطب الشرعي.

"لقد فحصنا الفوارغ المستخرجة من جسد مايا بيريز."
"جيد. ماذا لديك؟"

"رصاصتان عيار ٣٨. السلاح الذي أطلقنا منه غير مرخص. كنت أتمنى لو كانت هناك أي معلومة أخرى، أي اسم، أو حادثة إطلاق نار من السلاح نفسه، لكن هذا هو كل ما لدي."

هناك أيام يكون فيه عمل الشرطي ممتعاً ويستحق الجهد المبذول، وأيام أخرى يبعث فيها العمل على الضجر أكثر من مشاهدة قطرات ماء تتساقط ببطء من صنوبر. اليوم لم يكن لا هذا ولا ذلك. كانت مهمة الاستجواب الفجائي مرهقة وخطرة، لكن غير مثمرة. كان الوضع محبطاً تماماً.

عدنا أنا وكونكلين إلى مقر قيادة الشرطة وأخبرنا جاكوبي وبرادي بأننا لم نصل إلى شيء. لم يستغرق هذا الاجتماع أكثر من خمس دقائق، بما فيها ملخص الاستجابات التي أجريناها.

سرت مع ريتشي إلى موقف السيارات.

حاول أن يرفع معنوياتي قائلاً: "سيرتكب أحدهم خطأ ما. الأشرار دائماً ما يفعلون".

لقد قلت الشيء نفسه لريتشي. وجو قال لي الشيء نفسه. إنها نسخة رجال الشرطة لعبارة "كل شيء سيكون على ما يرام".
لكن هيهات.

بغض النظر عن كانوا، فإن هؤلاء الأوغاد الذين يرتدون سترات رجال الشرطة منظمون، ومنضبطون، ويحملون أسلحة لا يمكن تعقبها، كما أن جرائمهم تحدث على فترات متقاربة. كم من الوقت سيمضي قبل أن يتم السطو على متجر جديد صغير به الكثير من الأموال السائلة وقتل من فيه، على يد رجال يتوهمون أنهم أفضل عصابة في سان فرانسيسكو؟
ودّعت شريكي، واستقل كل منا سيارته، وغادرنا الموقف.

عندما وصلت إلى براينت، شخّصت ببصري إلى مبنى مقر قيادة الشرطة، فرأيت ضوء مكتب جاكوبي مشتعلًا. شعرت بالشفقة عليه. كان عمل شريكي السابق هو حياته كلها.

كان علينا أن نقبض على هؤلاء الجناة لعدة أسباب، لكن من المؤكد أنه كان علينا أن نفعل ذلك من أجل جاكوبي، قبل أن يتقاعد كرئيس للمحققين.

الفصل 28

كانت الحال جيدة في بيت عائلة موليناري. كانت مارثا كلبتنا المخلصة تغط في النوم على الأريكة بجوار زوجي العزيز، وعلى الرغم من أنه كان يتحدث في الهاتف، فإن الروائح الرائحة القادمة من المطبخ أخبرتني بأن العشاء كان جاهزاً.

قال زوجي وهو يغطي سماعه الهاتف: "أهلاً شقراي الحسنة". أرسلت له قبلة في الهواء وعرجت على غرفة الطفلة.

كانت جولي نائمة على ظهرها، وقد أزاحت غطاءها بعيداً. اقتربت منها ورفعته حتى ذراعها. كانت لا تزال نائمة، لكنها لوحت بقبضتها الصغيرة في الهواء. انحنيت وقبّلتُ جبينها، فوجدتها تدفني بعيداً. اعتبرت هذه علامة على أن طفلي الصغيرة قوية الشخصية، حتى في أثناء نومها. أحسنت يا جولي. لكن رؤية طفلي الجميلة ذكرتني بما رأيته في شقة مايا بيريز. رأيت بعين خيالي الغرفة الصغيرة الخالية من النوافذ التي حولتها الأم إلى عش أصفر زاه لطفلها الذي لن يولد أبداً.

راقبتُ جولي وهي تتنفس لبضع دقائق. ثم خلعت ملابسها وأخذت حماماً طويلاً منعشاً استغرق خمس عشرة دقيقة. عندما عدت إلى غرفة المعيشة في منامتي المخططة، كان جو يضع الدجاج في الأطباق. ذهبت إليه وعانقته عناقاً طويلاً، ثم حبيت مارثا بمرح.

قلت: "يا لي من فتاة محظوظة"، وكنت أعني ذلك فعلاً.
 سألتني جو: "أترغبين في بعض الشراب؟"
 قلت: "بالطبع. ماذا فعلت اليوم؟"
 "لقد قمت ببعض العمل في الواقع."
 "حقاً؟"

"كان عملاً حراً. كنت أجري أبحاثي على قضية ج.ع.م.ك."

بدا جورائق المزاج. سحب مقعدين لي وله وجلسنا على منضدة المطبخ لتناول العشاء.

"وما هي قضية ج.ع.م.ك إن جاز لي السؤال؟"
 ملاً كأسين بالعصير الطازج وأوضح: "جرائم عيد ميلاد كبير."
 قلت: "حقاً؟ وهل توصلت إلى شيء؟"

أجاب جو: "أعتقد ذلك. هي بداية خيط على أية حال."

أعجبني ما كنت أسمعه، ولكن في الوقت نفسه، شعرت ببعض الأسى على هذا العميل الفيدرالي الماهر الذي يقوم الآن بعمل غير مدفوع الأجر لأجلي أنا. لكنه لم يكن يشكو.

قلت له: "فلتخبرني بالمزيد."

قال: "سأفعل. هيا تناول العشاء قبل أن يبرد."

وفي أثناء تناول الطعام مال مقترباً مني وقال: "عدت بالزمن خمسة أعوام إلى الوراء، فوجدت كل جريمة وقعت في الثاني عشر من مايو في سان فرانسيسكو. لقد حدثت مصائب يا ليندسي."

"أخمن أنها خمسون أو ستون جريمة قتل في العام."

"ثمان وستون العام الماضي."

تقابلت أعيننا وابتسمنا. كنت أحب العمل مع جو. كنت أحسده قليلاً لأنه

تسنى له الوقت للتركيز على القضية والعمل عليها من المنزل.

"على الرغم من أن هذه الجرائم لم ينقصها العنف، فإن القليل منها يشبه جريمة القتل التي حدثت في بالمي آلي. بالإضافة إلى حالات الطعن القاتلة الثلاثة في هذا العام والعامين السابقين له، هناك حالتا طعن بالسكين أفضيتا إلى الموت خلال العامين السابقين لهذه الأعوام الثلاثة. لم أجد أي حالات طعن قاتلة تسبق الحادثة الأولى التي وقعت قبل خمس سنوات."

"أخبرني عن حوادث الطعن في العامين الأول والثاني".

ابتسم جوقائلاً: "بالتأكيد".

ثم حمل الأطباق الفارغة إلى الحوض وأحضر قطعيتين من فطيرة التفاح، وتوقف لوضع الحلوى المثلجة فوقهما. نظرت إليه مندهشة.

قال: "كلا، لم أصنع الفطيرة، ولكن عذري أنني كنت مشغولاً في قضية شائكة ومشوقة للغاية".

ضحكت، وحملت طبقي وبدأت في الأكل.

قلت: "أخبرني بكل شيء من فضلك".

قال جو: "سأفعل أيتها الرقيبة".

الفصل 29

قال جو: "لقد سافرت قليلاً عبر الزمن. كانت الضحية في العام الأول سيدة أرستقراطية تدعى أليسيا تومسون. كانت قد غادرت لتوها متجر نيمان وفي طريقها إلى سيارتها".

سألته: "وكيف عرفت هذا؟"

أجاب: "أكياس التسوق والمفاتيح في يدها. لقد قُتلت على بعد مربع سكني من مرآب يونيون سكوير، الذي أوقفت سيارتها فيه".

"أكان هناك شهود؟"

"كلا. أجري تحقيق كامل في قضية السيدة تومسون. كان تشي هو المحقق الرئيسي".

عدت أسأله: "وكيف سارت القضية؟"

أجاب: "الأمر لم يقتصر على عدم وجود شهود، أو لقطات فيديو، أو أي شيء. حتى السكن لم يعثروا عليها. والمعمل الجنائي لم يجد شيئاً. لاحظي أيتها الرقيبة الجميلة أن اختفاء السكن عامل مشترك".

قلت: "صحيح".

أردف قائلاً: "حسنًا. الضحية التالية كانت مختلفة للغاية عن السيدة تومسون".

قلت: "أخبرني".

أخذت طبقي الحلوى الفارغين ووضعتهما في غسالة الصحون، بينما توجه جو وبرفته مارثا إلى غرفة المعيشة. جلسنا جميعاً على أريكة جلدية كبيرة الحجم، ووضعت مارثا رأسها على حجري مسترخية.

قال جو: "الضحية الثانية، واسمها كريستا تومي، كانت امرأة مشردة في الخامسة والعشرين من عمرها، وفي حال بالغة السوء حتى بالنسبة لمدمنة مخدرات. قتلت بينما كانت نائمة في زقاق في حي تندرلوين بشارع أوليف. لم يكن هناك شهود، ولكن الكثير من الناس كانوا يعرفونها".

"وهل قدموا أية معلومات؟"

"لا شيء مفيد. لقد عثرت على تقرير التشريح. مثل ضحيتك التي طُعنَت من الخلف خارج مطعم والدها، طُعنَت هذه الفتاة أيضاً من الخلف. كانت الضربتان الأولى أو الثانية قاتلتين، لكن القاتل استمر يطعن ظهرها وذراعيها. وبلغ عدد الطعنات في النهاية خمساً وثلاثين طعنة.

واستناداً إلى شكل وعمق الطعنات، كان السلاح سكين تقشير في الغالب، إنما لم يتم العثور عليه. ومجدداً لا يوجد شهود أو أدلة. ولأنه لم تكن هناك أدلة، ولعدم تقدم أصدقاء أو أقارب للضغط على الشرطة، ومع وجود الكثير من القضايا المفتوحة في ذلك الوقت، قيدت القضية ضد مجهول".

لقد فهمت. ربما حتى سمعت بهذه الجريمة. يجب العمل على جميع قضايا القتل وحلها. ولكن ليس هناك ما يكفي من الكوادر، أو الوقت: لذلك تظل بعض القضايا بلا حل.

قلت: "من قتل هؤلاء النساء هو شخص ذكي، يعي وجود الكاميرات والمارة، وكل ما يعد دليلاً جنائياً. جميع الضحايا كن من النساء، ويبدو أن النساء الخمس اللاتي عُثر عليهن قتلن على يد شخص واحد لا يخلّف سكينه وراءه أبداً".

"أتفق معك يا ليندسي. أضيفي إلى كل هذا التاريخ الذي قُتلن فيه جميعاً، وهو الثاني عشر من مايو. هذا هو السبب في أنني أشتبّه في أن شخصاً واحداً قتل الضحايا الخمس".

"إذن، ماذا تستنتج عن القاتل؟"

قال جو: "إذا كنت محقاً، فإن هذا الرجل لم يكن يعرف ضحاياها. لقد اختار هؤلاء النسوة لأن الظروف كانت مواتية لا أكثر. ومهما كان دافعه وراء القتل،

فإنه كان مدفوعاً إلى القتل بعنف وغل. هذا مجرد تخمين، لكنني أقول إنه كان مشتعلًا بالغضب. كان يقتل نساء لا يعرفهن بغضب جامح".

قلت: "نعم، أستطيع أن أرى ذلك. وبما أنه يقتل في وضح النهار، ولا أحد يراه، فكانه لديه عباءة الإخفاء".

قال: "لقد قررت أن أترك لك شيئاً لتكتشفيه وحدك".
"حقاً؟ شكراً لك يا عزيزي".

ربت زوجي كتفي قائلاً: "أعتقد أن عملي هنا انتهى. دعينا نذهب إلى النوم".

الفصل 30

في الثامنة إلا الربع من صباح اليوم التالي، تقابلنا أنا وشريكي في غرفة الاستراحة وأعددتنا القهوة. كانت علامات النوم لا تزال على وجه كونكلين، وكنت متأكدة أن إرهاق عدم النوم كان بادياً على وجهي. عندما لم تكن جولي مستيقظة تطلب شيئاً، كانت مارثا تدفعني من فوق السرير طيلة الليل.

بالإضافة إلى ذلك، طاردتني كوايبس مزعجة رأيت فيها مايا بيريز تتوسل إليّ ألا أتركها تموت. كنت أعرف ما يكفي من الثقافة والموروثات الشعبية في تفسير الأحلام لأفهم أنني كنت مايا في هذا الحلم، وأنتي كنت أعبر عن خوفاً من الموت أو من حدوث مكروه لطفلتي.

قمت أنا وكونكلين بتحلية قهوتنا وجلسنا كلٌّ أمام حاسبه. قسمنا العمل، فكان عليّ فحص ملفات قسم الموارد البشرية من الحروف (أ) إلى (ص)، وعليه فحص الملفات من (ض) إلى (ي). كنا نبحث عن أي مشتبه به من العاملين بالشرطة، عن أي شرطي محبط لديه مبرر لارتكاب مثل تلك الجرائم، على سبيل المثال من تم خفض رتبته أو سُرح من الخدمة أو حُرم من الترقي. هؤلاء الشرطيون الساخطون الذين قد يخاطرون بأن يزوج بهم في سجن فيدرالي دون فرصة إطلاق سراح مشروط مقابل الحصول على المال السهل.

وجدنا الكثير من هؤلاء، لكن لا أحد منهم كان اسمه خوان. كل واحد منهم كان يملك السلاح والسترة البوليسية التي نقش على صدرها وظهرها بأحرف بيضاء: قسم شرطة سان فرانسيسكو.

في الثامنة والنصف دعانا برادي إلى مكتبه. من نظرة واحدة عرفت أنه كان يومًا صعبًا، تمامًا كما كانت جميع أيام هذا الأسبوع. كان برادي عابسًا. كدتُ أقول: "ماذا حدث الآن؟"، لكنني أبقيت فمي مغلقًا. قال برادي: "أسف لأنني كنت وغدًا معكما".

ماذا؟ قل هذا مجددًا.

ثم أضاف: "يعتقد جاكوبي أن القسم بأكمله في طريقه إلى الانهيار. لكن هذا بينما نحن الثلاثة".

قال كونكلين: "حسنًا. ماذا حدث بالضبط؟".

قال برادي: "خلال العام الماضي، تم إطلاق النار على ستة تجار مخدرات في أوكار المخدرات في جميع أنحاء المدينة. النقود والمخدرات تختفي، ولا يمكن العثور عليها أبدًا مرة أخرى. الشائعات تقول إن الفاعلين من رجال الشرطة".

لا عجب أن برادي كان غاضبًا. كان هذا يسري كالوباء، وكنا آخر من يعلم. قلت: "هل تظن أن رجال الشرطة الذين يسطون على أوكار المخدرات هم أنفسهم رجال الشرطة المارقون الذين نبحت عنهم في قضية مكتب صرافة الشيكات؟".

"ربما، وربما لا. ليس لدينا لقطات فيديو للجناة، ولم يوجه أحد اتهامات. لكن ضعنا هذا في الاعتبار".

عندما عدت إلى مكنتي، وجدت ورقة على مقعدي، مكتوبة بخط اليد، ومقطوعة من مفكرتي الخاصة التي تحمل اسمي. كانت الرسالة مكتوبة بحروف كبيرة:

احذري أيتها الحمقاء. تذكرني من هم أصدقاؤك.

إنهم من يرتدون الأزرق.

نظرت حولي في جميع أرجاء غرفة طاقم الشرطة.

كان رجال النوبات الليلية يستعدون للمغادرة، ورجال النوبات النهارية يستعدون للعمل. رأيت حوالي عشرين رجلاً عملت معهم لسنوات. كنت أحب بعضهم، الكثير منهم في الواقع. لكن أحدهم الآن يحذرني من التمادي. حتى لو كان القبض على رجال شرطة أشرار يعني القبض على قتلة، فإن الولاء الأعمى كان مبدأ متجذراً في عمل الشرطي. برغم ذلك كنت أتساءل عما إذا كانت هذه الرسالة من شخص ينتمي إلى عصابة سترات الشرطة. أيمن أن يكون واحد - أو أكثر - منهم ضمن هذه العصابة؟ أم كانت الرسالة من أحد رجال الشرطة المتواجدين في هذه الغرفة، والذي كتبها عندما رأى ملف التحقيق الذي تركته مفتوحاً ببساطة على حاسبي؟

عرضت الرسالة على كونكلين، الذي نظر إليّ متسائلاً. هزرت كتفي، ووضعت الورقة في حقيبتي.

سأكون حذرة، لكنني كنت مهزوزة قليلاً. في أول فرصة تسنح لي، سأضطر لإبلاغ برادي بهذا.

الفصل 31

في الثامنة والنصف من صباح ذلك اليوم، كان ريتشارد بلاو يمسك مفاتيحه في يده، وعلى وشك فتح البوابة المعدنية لمكتب صرافة الشيكات الخاص به عند تقاطع شارعي ماركت وسيكستينث. كان بلاو رجلاً حريصاً. لقد نجح هو ودونا في إدارة مشروعهما لأكثر من ثلاثين عاماً، وكانا على وشك التقاعد الآن. لقد سمع أن مكاتبين آخرين مثل مكتبه تعرضا للسرقة الأسبوع الماضي، ولكن ما طمأنه هو وجود جهاز إنذار بمكتبه يرتبط بقسم الشرطة، بالإضافة إلى سلاح ناري داخل المكتب.

كانت زوجته قد ذهبت لركن السيارة في موقف السيارات القريب الذي يقع تحت الأرض. كان بلاو هو من يفتح المتجر دائماً. فتح القفل أولاً، وكان على وشك رفع البوابة المعدنية عن الواجهة الزجاجية عندما رأى ثلاثة رجال يخرجون من سيارة سيدان رمادية تقف قريبة من مدخل المكتب. كان الرجال الثلاثة يرتدون سترات وقبعات الشرطة، ما جعله يتوقف، ثم رأى أنهم جميعاً يرتدون أقنعة اللاتكس.

كانت أقنعة لاتكس على شكل رأس كلب. ولم يكن هناك مجال لإنكار هذا. فكر الرجل المذعور أنه إذا استطاع الدخول إلى المتجر وإغلاق الباب خلفه بطريقة ما، فإنه يمكن أن يتجنب هذا الكابوس المخيف. فكر في الاتصال

بالشرطة، لكنه سرعان ما صرف ذهنه عن الفكرة. آخر شيء كان يريده هو أن تقترب دوننا من المتجر فيطلقون النار عليها.

كان الرجال المقنعون يتقدمون نحوه بسرعة. توقيتهم كان جيداً؛ فالطريق كان خالياً من المارة، ولم يكن هناك سوى بضعة سائقين لا يركزون سوى على عبور إشارة المرور التالية. رأى بلاو أن كل واحد منهم كان يحمل سلاحاً. كان عليه أن يكون أذكى منهم – أن يستخدم دهاءه. فرجع بلاو يديه.

وعندما صار الرجال على بعد مترين منه، قال بلاو: "لست مسلحاً. سأعطيكم ما تريدون. فقط لا تؤذوني".

قال أحد اللصوص: "حسناً تفعل يا رجل، فنحن لا نريد إيذاء أحد". كان يبدو أنه هو المسئول. وبدا أنه شاب صغير. كان صوته يقول هذا.

حاول بلاو التفرس في الرجل كي يتمكن من تقديم تقرير جيد عن السرقة بعد انتهائها. رأى أن طول الرجل الذي يتحدث معه كان حوالى خمس أقدام، وعرف من يديه أنه كان أبيض البشرة، لكنه لم يتمكن من تحديد بنية الرجل الجسدية بسبب السترة الواقية، لكنه اعتقد أنه سيتمكن من التعرف على صوت الرجل إذا سمعه مرة أخرى.

قال بلاو: "ماذا تريدون؟ محفظتي في جيبي الخلفي. خذوها. معي مئة دولار، وساعتي لا تزال جديدة. خذوها أيضاً".

كان بلاو لا يزال يحمل المفاتيح في يده. لم يكن هناك شيء يمكنه فعله حيال ذلك.

قال رجل آخر من الثلاثة: "دعنا ندخل المكتب يا سيد بلاو". إنهم يعرفونه! إنهم يعرفون من هو. شعر بلاو بالدوار. لم يصوب أحد سلاحاً نحوه من قبل. كاد يقول: "هل أعرفك؟"، لكنه صرف الفكرة عن ذهنه. إذا اعتقد الرجل أن بلاو يعرفه فربما... فكر في دوننا، ودعا ربه ألا تظهر الآن. فلن تكون قادرة على التعامل مع هذا.

قال بلاو: "حسناً. سأفتح الباب الآن، ودعنا نفعل هذا بسرعة قبل أن يأتي أحد العملاء".

قال أحد الرجال المقنعين: "تقدم الطريق يا سيد بلاو. هيا بنا".

الفصل 32

كانت يدا بلاو تهتزتان بينما كان يحاول فتح الأقفال المزدوجة. كان يشم رائحة عرقه المتفصد، شاعراً أن هذه هي غالباً لحظاته الأخيرة على الأرض. لكنه استطاع فتح الباب أخيراً، والذي أصدر صريراً بينما ينفتح على وسعه. أشعل بلاو الأضواء كي تستطيع زوجته أن ترى من خلف النافذة الزجاجية عملية السطو التي يتعرض لها.

أرجوك يا دونا، لا تدخلني إلى هنا.

قال أحد اللصوص الملعونين: "لسنا بحاجة إلى ضوء قوي يا رجل".

فأجاب بلاو: "يجب أن أرى كي أتمكن من فتح الخزانة. صدقتي، أنا أريدكم أن ترحلوا بأسرع ما يمكن. سأكون سعيداً بإعطائكم المال، اتفقنا؟ فقط ثقوا بي. أنا لست ضدكم".

لم ينتظر بلاو الرد. كان يسير بشكل سريع ومدروس متجاوزاً صفوف المقاعد القابلة للطي، قاصداً الجزء الخلفي من المتجر حيث رسمت خطوط على الأرض تحدد أماكن الوقوف أمام نوافذ الصرافين. وبجوار تلك النوافذ، كان باب حجرة الأمن ظاهراً في أقصى اليمين، يقسم المكان إلى قسمين: مكان استقبال العملاء، ومكتب بلاو الخاص.

كانت الخزانة في مكتبه الخاص بالخلف. أدار بلاو ظهره إلى اللصوص لفتح الباب، قائلاً: "بعد أن أعطيك المال، يمكنكم الخروج من الباب الخلفي. سيكون هذا أكثر أماناً".

كان الرجال – أو الصبيان ربما، بما أنهم كانوا سريعي الاهتياج – متكدسين في مكتبه. كان الوغد الأصغر فيهم يشعر بالقلق، واستمر ينظر حوله قائلاً: "هيا، هيا، هيا".

حول بلاو عينيه بعيداً عن الصوان الذي يحتفظ فيه بسلاحه، وأشار إلى دولاب خشبي قائلاً: "الخزانة هنا".

صار الشخص الذي كان يقول "هيا بنا" يقول الآن: "أسرعوا. أسرعوا. أسرعوا".

كانت يدا بلاو ترتجفان بشدة. كان يحمل المفتاح بالكاد، وكان هذا المفتاح صغيراً وكذلك قفل الصوان. حاول مراراً وتكراراً إلى أن أدخل المفتاح أخيراً، وأداره، وفتح الصوان الذي يُبقي فيه خزائنه الحديدية القديمة. وبسرعة مال بجسده بحيث يتمكن الصبية من رؤية الخزانة بوضوح، قائلاً لأحدهم: "أنت تحجب الضوء عني".

حاول ألا ينظر إلى الصبي، أو يشعره أنه يحاول أن يعرف من هو، إلا أنه كان يسترجع ذاكرته ويفكر في وجوه جميع المراهقين البيض والسود واللاتينيين الذين قدموا إلى هذا المكان لصرف شيكات نقدية. كان صرافوه هم من يتحدثون إليهم، والمعاملات كانت تتم في وقت قصير. لم يكن يتحدث مع العملاء سوى عند حدوث مشكلة فقط.

قال شاب يحمل رشاشاً: "أسرع أيها العجوز".
رد بلاو: "أنا أسرع بالفعل".

مد كلتا يديه إلى الخزانة، واستطاع في اللحظة الأخيرة أن يضغط على زر الإنذار الصامت، الذي كان يقع تحت حافة الصوان، ثم أدار مقبض الخزانة. كان يعرف الرقم السري كما يعرف تاريخ ميلاده، لكنه أخطأ في الرقم الثاني، وكان عليه البدء من جديد.

وضع الصبي الذي يقف بالقرب منه فوهة مسدسه على صدغ بلاو، وقال: "أمامك حتى ثلاثة".

واحد...".

وهنا حدثت أشياء كثيرة في الوقت نفسه.

سُمعت طقطقة القفل، وفتُح باب الخزانة، وتحول تركيز الصبية المرتدين
سترات الشرطة إلى مظاريف المال داخلها. وفتح باب المكتب الأمامي بقوة.
اقتحم رجال الشرطة المكان، وصاحوا: "مكانكم! ارفعوا أيديكم!".
جثم بلاو وراء منضدة الدفع وغطى رأسه بيديه. كان يهتز مع كل عيار ناري
ينطلق، وكان هناك الكثير منها.
أخذ يتضرع قائلاً: "أتوسل إليك يا إلهي أن تجعل كل هذا يتوقف".

الفصل 33

بحلول الوقت الذي وصلت فيه أنا وكونكلين إلى مكتب كاش أند جو، كان شارع ماركت أشبه بمعرض لبيع السيارات المستعملة في يوم التخفيضات الكبرى. أحصيت عشرين سيارة شرطة بأضوائها التي كانت تومض في كل مكان، بالإضافة إلى سيارتي إسعاف متوقفتين في شارع سيكستينث. كانت سيارة الطبيب الشرعي تتوقف جانباً، بينما وقفت شاحنة وحدة التحقيق في موقع الجريمة أمام المكتب تحجب واجهته تماماً.

لا بد أن هذا أصاب معظم المارة المتكدين خلف الشريط الحاجز بالإحباط. ولكن فجأة ظهرت إحدى المروحيات التي كانت تصور الأحداث لبثها على الهواء مباشرة على قنوات التلفاز المحلية.

كان عنوان الأخبار كالتالي: عصابة سترات الشرطة تضرب من جديد.

تركنا أنا وشريكي سيارتنا على الحاجز الحجري الذي يفصل بين صالة جيليز جيم الرياضية ومتجر ثيرد هاند روز، وتوجهنا نحو سوانسون وفاسكيز، شركائنا المجندين من فرقة مكافحة السرقات للعمل معنا على هذه القضية. كانا يقفان خارج مكتب صرافة كاش أند جو. بعد قضاء بضعة أيام بصحبتهما أثناء تمشيط المنطقة المحيطة بمتجر ميركادو دي مايا، اكتشفت أن سوانسون رجل كفاء وودود، أما فاسكيز فكان لطيف المعشر، وكان كلاهما في غاية الاحتراف.

كان عليّ الاعتراف بأن خيار برادي كان صائبًا بالنسبة لهذين الشرطيين هما والرجال الأربعة التابعين لهما. تجلى الارتياح على قسّمات فاسكيز، وقال مبتسمًا: "الشاهدان معي في السيارة. سأصطحب السيد والسيدة بلاو إلى المخفر للإدلاء بشهادتهما. وبعدها سأخرج مع سيدتي للاحتفال".

استطاع فاسكيز الانطلاق بعربته بعد بعض المناورات المحترفة، ثم قال لنا سوانسون: "هناك ثلاثة مجهولين داخل المكتب، وجميعهم يرتدون سترات الشرطة، ولم يبق أحد منهم على قيد الحياة".

انحنينا أنا وكونكلين من تحت الشريط الحاجز خلف سوانسون ودلفنا إلى المكتب. كانت المقصورة الداخلية لمكتب كاش أند جو مبطنّة بألواح خشبية مضغوطة، وكانت مناضد الدفع على مستوى المرفق من الجانبين بحيث يستطيع العميل توقيع الشيك وملء البيانات. كانت هناك العشرات من المقاعد المعدنية القابلة للطي في منتصف المكتب، وكلها مبعثرة. وكانت الخطوط البيضاء المرسومة على الأرض تحدد موقع ثلاث نوافذ للصرف، أما باب حجرة الأمن في نهاية الغرفة فكان مفتوحًا.

كانت هناك جثتان ممددتان على الأرض بين المقاعد، والدماء تتجمع في بركة على مشمع الأرضية. استطعت رؤية جثة الثالث الذي سقط على عتبة باب حجرة الأمن. أحدثت الطلقات ثقبًا في الألواح، بينما كانت فوارغ الرصاصات مبعثرة على الأرض.

قال كونكلين لسوانسون: "مشهد عنيف حقًا. ما الذي حدث بالضبط؟". نادى سوانسون أحد الرجال في فريقه، تومي كالهون، وهو شاب رأسه أخذ في الصلح، ومدخن شره دليل آثار النيكوتين الواضحة على أصابعه. قدم لنا كالهون ملخصًا لهجوم العصابة على مكتب صرافة الشيكات، بما في ذلك استخدام المالك للإنذار الصامت.

في الوقت الذي أطلق فيه بلاو جرس الإنذار، كانت زوجته تشاهد عملية السطو عبر الواجهة الزجاجية. أبلغت المرأة الشرطة، ثم وجدت سيارة شرطة فاستنجدت بمن كان فيها كذلك.

قال كالهون بحماسة وهو يشكل يديه على هيئة مسدس: "ووصلت الشرطة وبدأ ضرب النار. يوم! يوم! يوم!".

"وأظن أن المجرمين كانوا يحملون محافظ، أليس كذلك؟".

ابتسم سوانسون ابتسامة عريضة قائلاً: "ألن يكون ذلك لطيفاً؟ لا ليست هناك محافظ، ولكن المحققين في مسرح الجريمة بدأوا للتو. سنعرف من هم هؤلاء الأشخاص خلال ساعة واحدة".

هل انتهى الكابوس فعلاً؟

كنت مستعدة لتنفس الصعداء في راحة. بدأت أسير متفادية الدماء، ومحققي مسرح الجريمة الذين يلتقطون الصور، كي ألقى نظرة على أحد القتلى.

لقد تلقي رصاصتين في الصدر وأخرى في الوجه مرت عبر قناعه، وهو قناع على شكل كلب. كان هذا جديداً. فعصابة سترات الشرطة في مقطع الفيديو الذي رأيته كان أفرادها يرتدون أقتعة وجه بلا ملامح. كما لاحظت أن الفاعل لم يكن يرتدي قفازاً. نظرت إلى الرجل الثاني، الذي أوقع معه مجموعة من المقاعد القابلة للطي عندما أُطلق عليه النار، ووجدت أنه يرتدي نفس القناع، ولم يكن يرتدي قفازاً أيضاً.

لماذا قام المسلحون الذين رأيتهم في لقطات كاميرا المراقبة بتغيير طريقة عملهم من السطو الليلي إلى السطو الصباحي، برغم أن المال في الخزينة يكون أقل واحتمال دخول عملاء يكون أكبر؟

لماذا قد يصيرون بهذا التهور؟

دق هاتف سوانسون، وبدأ يجيب بكلمات مثل: "نعم" و "أها".

همس كونكلين قائلاً: "مجموعة من الهواة".

فقلت مؤمنة: "أوافقك".

استمر سوانسون في حديثه على الهاتف قائلاً: "نعم، أعتقد أننا وجدنا الجناة يا سيدي، ويمكنك أن تخبر الصحافة بأننا قبضنا على الأشرار بعد انتهاء عمل محققي مسرح الجريمة".

لم أكن أعتبر سوانسون من المتفائلين، كنت أمل أن يكون محقاً، لكنني عرفت أنه مخطئ. فالصيبة القتلى المفترشون أرضية مكتب كاش أند جو ليسوا من نبحث عنهم.

إنهم مجرد مقلدين.

وأراهن بشارتي على صحة ذلك.

الفصل 34

دخلت يوكي قاعة المؤتمرات الفخمة بمكتب مورهاوس أند روجرز للمحاماة. جلس ستة من محامي المكتب حول الطاولة الضخمة المصنوعة من خشب الماهوجني، وكذلك فعل الشرطيان اللذان قدما للشهادة من قسم مكافحة المخدرات.

كان المحقق ويليام براند قوي البنية مفتول العضلات، وبدأ أنه لم يحلق لحيته منذ يومين. عرفت من مشاهدته على مقطع الفيديو بوجود وشم على جانب عنقه لأول حرفين من اسمه (وب)، ويبدو كما لو أنه موسوم بالحديد الساخن.

ابتسم لها عندما دخلت الغرفة، وكأنه يقول: كيف حالك يا عزيزتي؟ كانت هذه مشكلة النساء صغيرات الحجم، ذوات الملامح الدقيقة. قدم المحامون المشهورون الذين وكلتهم مدينة سان فرانسيسكو أنفسهم، وبدأت سلسلة مصافحات طويلة. عرض أحدهم القهوة عليها بينما سحب آخر مقعداً لها. حتى ذلك الحين، كان كل هذا يوافق توقعاتها، بما في ذلك اللوحات الزيتية على الحائط التي تصور الشركاء المؤسسين.

ما لم تكن مستعدة له هو الشخص الذي خطا إلى الداخل بعد أن دق الباب، لين باريزي بلحمه ودمه. اهتزت الأرض قليلاً بينما كان يخطو فوقها، وليس لأنه كان يزن ثلاثمائة رطل فحسب.

كان لين باريزي مثل قوى الطبيعة.

كانت تظن أنه سيظهر في المحكمة في اللحظة الحاسمة، لكن من الواضح أن قضيتها وقضيته كانتا معلقتين كلياً على استجواب ويتني وبراند للصبى آرون-ري كورديل.

تبادلت هي وباريزي أقصر التحيات، وعندما انتهى ذلك أخيراً، طلبت يوكي عرض مقطع الفيديو.

بعد انتهاء المشاهدة، قالت للمحقق براند: "لقد رأيت المقابلة التي أجريتها مع آرون-ري كورديل. أنا فقط بحاجة إلى بعض المعلومات الإضافية. ما الدافع الذي كنت تظن أنه كان لديه ليطلق النار على تجار المخدرات الثلاثة؟".

قال براند: "الدافع؟"، ثم رفع حاجبيه مندهشاً وتراجع للخلف قليلاً. وقال: "لقد كان سطوًّا مسلحًا. ربما أراد المال، أو المخدرات، أو كليهما".

"وماذا كان بجوزته عندما أقيمت القبض عليه؟".
أجاب ويتني: "لم يعثر رجال الشرطة الذين اعتقلوه سوى على السلاح. فيما أنه ترك المسروقات في مكان أمين، أو أخذها أحدهم منه".

سألت يوكي: "وهل أكد كورديل هذه الشكوك؟".
قال براند: "لقد نفى كل شيء. وبما أن الضحايا ماتوا، لم يكن لدينا أي دليل آخر".

قالت يوكي: "فهمت. يعني هذا أنه باعتراف آرون-راي حُلَّت القضية".
قال براند: "لقد فعلنا كل ما بوسعنا، ولكنه ظل ينفي كل شيء حتى لم يعد يستطيع الإنكار، واعترف في النهاية أنه وجد السلاح، وأطلق النار على الرجال، ثم فر هاربًا".

قالت يوكي: "وصدقتموه؟ لقد كان عمره خمسة عشر عامًا، وذكاؤه أقل من الطبيعي، وبلا سوابق".

أجاب براند: "لقد أخبرنا أنه في الثامنة عشرة من عمره، وكان ذكيًا بما يكفي لإطلاق النار على ثلاثة أوغاد. إنه يستحق التكريم على فعلته. من المؤسف أنه قُتل؛ فقد أسدى المجتمع خدمة ثلاثية".

"هل تم فحص يدي آرون-ري وملابسه لمعرفة إذا ما كانت هناك آثار للبارود؟".

"كلا، فقد احتجزناه مباشرة بعد اعتقاله لحمل السلاح. كنا نظن أنه سيترف على الفور، لكن الأمر استغرق وقتًا أطول، ونسينا مسألة فحص آثار البارود".

قالت يوكي: "لكن هل لديك أي شك حتى يومنا هذا في أن آرون-ري كورديل هو من أطلق النار؟".

قال براند: "مطلقًا. ليست لدي ذرة من الشك".

الفصل 35

كان المحقق ستان ويتني أكثر تهديبًا من شريكه. كان رجلًا وسيماً ذا لحية قصيرة، يرتدي نظارة رفيعة الإطار وقميصًا من الجينز الأزرق تحت سترته الجبردين الزرقاء.

سألت يوكي ويتني الأسئلة نفسها التي سألتها لـ براند وحصلت على الإجابات نفسها. قبض على آرون—ري كورديل بسبب حملته سلاحًا أطلق منه الرصاص حديثًا. قال الفتى إنه لم يطلق النار على أحد، لكن تفسيره لسبب حملته السلاح كان ضعيفًا، وكان هو المشتبه به الرئيسي. بعدها اعترف بارتكابه جريمة القتل الثلاثة.

سألت يوكي ويتني عن سبب عدم وجود محام يمثل آرون—ري في التحقيق، فأخبرها المحقق أن المشتبه به تنازل عن حقه في الحصول على محام. ولأنه لم يكن لديه سوابق، وكذب بشأن سنه، ولم يتصل بوالديه، فلم يتم إحضار والديه.

خلال الاستجواب، لم يقل باريزي شيئًا، ولم يسأل عن شيء، فقط ثبت نظره على يوكي طوال الوقت. لقد كانت نظرة عابسة بعيدة كل البعد عن نظره الودودة المعتادة، وكان هذا مخيفًا. عندما انتهت يوكي من استجواب ستان ويتني، سألتها المحامي المشارك لـ باريزي بمكتب مورهاوس أند روجرز قائلًا:

"أهناك شيء آخر يمكننا مساعدتك به يا سيدة كاستيلانو؟".
قالت يوكي: "لا. شكرًا على وقتكم".

لم تشعر بأنها استطاعت الخروج من غرفة المؤتمرات بالسرعة الكافية. كان براند شرطياً مخيفاً، أما أسلوب ويتني المباشر فإنه يوهم من يحدثه بنيتة الطيبة. ولكن بعد الاستماع لشهادتهما ومشاهدة مقطع فيديو الاستجواب، ستمكن أي هيئة محلفين متفتحة من إدراك تلاعب رجال الشرطة بصبي لم يكن يستطيع مقاومتهم.

في الدقائق القليلة الفاصلة بين مغادرة مكتب المحاماة والوصول إلى سيارتها، تسلل الشك إلى عقل يوكي.
باريزي.

إنها ستقف ضد باريزي أمام القاضي وهيئة المحلفين. باريزي الذي حظي بخمسة عشر عاماً من الخبرة في الدعاوى القضائية قبل أن يبدأ العمل في مكتب المدعي العام منذ ثماني سنوات.

سيفعل باريزي ما بوسعه لدعم ويتني وبراند فيما يتعلق بالاستجواب القانوني والاعتقال الذي سيتبعه. كل ما كان عليه القيام به هو إظهار أن الاستجواب الذي أدى إلى اعتراف آرون-ري كان قانونياً تماماً.

إذا استطاع إقناع هيئة المحلفين بذلك، فإن آل كورديل سيخسرون قضيتهم، وستذل هي أمام الجميع. وهي لا يمكن أن تسمح لهذا بأن يحدث.
لا يمكن.

الفصل 36

غادرت سيندي مبنى جريدة كرونيكل، وبمجرد أن رفعت يدها لطلب سيارة أجرة توقفت أمامها واحدة على الفور. إنها ضربة حظ في ساعة الذروة. أعطت السائق عنوان كوينس، وهو مطعم رائع في منطقة جاكسون سكوير. جلست سيندي تفكر كم كان ريتشي غامضاً عندما اتصل بها وطلب منها مقابلته لتناول العشاء. لم تكن قادرة على فهم أي شيء منه، لكنه كان في مسرح الجريمة وبالتالي غير قادر على التحدث.

إلا أنها كانت تفكر متسائلة عما لم يقله لها.

كعادتها، راحت تسترجع ذكرياتها معه. فكرت في علاقتهما المذهلة، وحياتهما الرائعة في أثناء فترة خطبتهما. تأثرت هذه العلاقة كثيراً بخلافاتهما، إلى أن تلاشى سحر حبهما مع احتدام هذه الخلافات.

لقد انفصلا، وعانى كلاهما بطريقة أو بأخرى. ولكن الظروف وضعتهما في طريق بعضهما مجدداً، وبدأ يتواصلان على مستوى أعمق. والآن عادا يحبان بعضهما مجدداً، وكانت سيندي خائفة.

لم تخش سيندي التقارب أو سحر الحب. ما أخافها هو أنها كانت ترى كم يحبها ريتشي ويقدر علاقتهما. كانت تشعر بأنه سيرغب في تجديد التزامهما بالعلاقة، وسيطلب يدها مجدداً، وهذا - للأسف - سيعيدهما للأسف إلى

نقطة النزاع الرئيسية، وهي رغبة ريتشي في إنجاب أطفال، أطفال كثيرين وفي أقرب وقت ممكن. وكانت سيندي ترى أن هناك وقتاً لكل هذا، ولكن فيما بعد. ففي الأسابيع الثلاثة الأخيرة، على سبيل المثال، كانت تعمل على قصة صحفية بشعة عن رجل قتل زوجته وحماته وابنيه الصغيرين. كانت قد أجرت بحثها، وكتبت قصتها المكونة من خمسة آلاف كلمة ونقحتها، وأرسلتها إلى تايلر قبل ثلاث دقائق من موعد إغلاق الجريدة. وفي الغد كانت أمامها جولة لعشرة أيام للترويج لكتابها.

وكان كتابها مصدرًا رائعًا للسعادة، وليس هذا بسبب دورها الرئيسي في حل جريمة رهيبة فحسب، فقد ألقت كتابًا عنها، واستطاعت نشر هذا الكتاب، الذي بدأ يحقق نجاحًا ملموسًا. كما طلب منها محررها منح الناشر أفكارًا لكتب جديدة، وكان هذا مذهلاً بحق. الكثير من الأشياء العظيمة كانت تتحقق، أشياء عملت على الوصول إليها لسنوات. سنوات طويلة!

لكن في الوقت نفسه، لم تكن تريد أن تفقد حبيبها ريتشي. لقد أحبته كثيرًا، وافترقته كثيرًا، وأحبت العودة إلى المنزل، والجلوس بقربه وضمه إليها طويلًا، إلى أن يتبدد توتر اليوم كله.

أرجوك يا ريتشي، أرجوك لا تضغط عليّ. أرجوك لا تكرر أخطاء الماضي. سألها السائق: "أهذا هو المكان الذي تريدينه يا أنستي؟"
أجابت: "نعم، تمامًا. شكرًا لك".

أعطت سيندي السائق أجرته، ودخلت المطعم. اصطحبها رئيس النادل الذي يدعى أرنولد إلى الجزء الخلفي الأكثر خصوصية من المطعم، وهو مكان رائع للغاية بجدران ذات الديكور المميز وثرياته الزجاجية ذات الطراز الفينيسي، وكانت رائحة الطعام اللذيذ تعبق الجو.

جلست سيندي وطلبت كأسًا من الشراب، وكانت تحتسيه حينما رأت أرنولد قادمًا يصطحب ريتشي إلى طاولتهما. انحنى ريتشي ليقبل يدها، ثم ارتاح في مقعده. حمل الهواء البارد القادم من الخارج رائحة حبيبها النظيفة، والتي كانت خليطًا من الشامبو ومنعم الأقمشة. بدا رائعًا بحق.
قال مشيرًا إلى كأسها: "وما المناسبة؟".

هزت كتفيها وقالت: "لقد كنت متوترة طوال اليوم. استطعت إرسال قصتي إلى تايلر قبل انتهاء الوقت المحدد. والآن أفكر في الجولة التي تنتظرني ...".

"أعلم. ستقضين أسبوعين تقريباً بعيداً عن المنزل. لهذا السبب أردت تناول العشاء في مطعمنا المفضل، والتمتع ببعض الوقت وحدنا".
 "حقاً؟".

"بالتأكيد. الوضع سيئ يا سيندي. أنا أفتقدك من الآن".
 نَحَّت سيندي الكأس بعيداً، وأمسكت يد ريتش قائلة:
 "أنت أفضل رجل عرفته في حياتي. حقاً".
 جذبها نحوه وعانقها.

قالت: "يا إلهي، وأنا سأفتقدك أيضاً يا ريتشي".

الفصل 37

التقيتُ يوكي لتناول الغداء في جراوتشي لين في حي دوجباتش، وهو مطعم صغير مصمم بنظام المقصورات التي تكفي لشخصين، ويزين جدرانه ورق حائط مخطط، وكان المطعم يقدم أفضل أنواع البطاطس المقلية في المنطقة بأسرها. طلبتُ كلوب ساندوتش مع جميع الإضافات، وبدأتُ ألتهم شطيرتي ناظرة إلى يوكي التي كانت تعبت بشوكتها في طبق السلطة بشرود.

لطالما كانت يوكي مزاجية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، ما يعني أنها يمكن أن تكون مركزة وجادة في لحظة، وفي اللحظة التي تليها تنطلق ضاحكة وتحسن مزاج أي شخص يحادثها على الفور. ولكن منذ مرت بتجربة الاقتراب من الموت خلال شهر عسلها قبل بضعة أشهر، هي ومئات الأشخاص الآخرين، لم أعد أسمع ضحكتها سوى بالكاد.

وهي لم تكن تضحك الآن عندما أخبرتني أنها اتخذت قرارًا مصيريًا سيغير حياتها.

وضعتُ بعض الكاتشب على البطاطس المقلية في طريقي، ثم قلت: "أي قرار؟"

قالت يوكي: "قبلتُ الوظيفة".

وضعت شوكتها على المائدة، تاركة السلطة التي لم تمسها، وأخبرتني عن مؤسسة غير ربحية تسمى رابطة الدفاع، وأنها الآن تدافع عن موكلها الميت. "ومن هذا الموكل الميت؟ وما الذي يفترض أن تقدميه له؟".

"اسمه آرون-ري كورديل، وأرى أن الشرطة أجبرته على الاعتراف بجريمة قتل ثلاثية لم يرتكبها. وفي أثناء انتظاره للمحاكمة في السجن، قتل في حمام السجن على يد مجهول".

صدرت عني زمجرة خافتة. إن أساس عملنا هو الحصول على الاعترافات، وقد يُسمح لرجال الشرطة بالكذب، ومن المنطقي أن يجبر المتهم أحياناً بحيلة ما على الاعتراف بأمور لم يفعلها، ولكن هذا لا يحدث كثيراً، على حد علمي.

كانت يوكي تقول: "ليندسي، إذا كانت هذه القصة صحيحة في الواقع، إذا أُجبر كورديل على الاعتراف فعلاً، ثم قُتل في أثناء انتظاره للمحاكمة، سأقف في هذه القضية ضد سلطات المدينة، وشرطة سان فرانسيسكو، وربما ضد الشرطيين اللذين استجوباه، مقابل مقدار لا أعرفه من الملايين".

توقفتُ عن الأكل.

لا شك في أن دعوى قضائية ضد الشرطة ستكون كارثة لكل شخص فيها – كارثة حقيقية. باعتباري صديقة يوكي، كان عليّ أن أكون صوت العدالة. لكن كفى كلاماً عني.

قلتُ: "زوجك ملازم بشرطة سان فرانسيسكو".

"أعرف ذلك يا ليندسي".

"ما رأيه؟".

"إنه غاضب. نحن نتحدث بالكاد".

"يا إلهي. أنت متأكدة من براءة كورديل؟".

"لقد قبض عليه وهو يحمل سلاح الجريمة. كان في الخامسة عشرة، وبمعدل ذكاء منخفض. كان من السهل جعله يعترف. لقد شاهدت فيديو الاستجواب. كان الشرطيان مخادعين كاذبين يا ليندسي. كانا يحتالان عليه بقولهما: أخبرنا بما فعلته وبعدها يمكنك العودة إلى البيت. ثم أخبراه بما اعتقدا أنه فعله".

استمرت يوكي تقول: "قد يساعدي أن أعرف لماذا قُتل آرون-ري. هل أغضب شخصاً في السجن مثلاً؟ أم أنه قُتل انتقاماً لمصرع تجار المخدرات؟ لأن هذا سيؤكد أنه مذنب".

قلت: "أمل ألا أندم على هذا يا يوكي، لكنني سأبحث عنم كان محتجزاً في الوقت نفسه الذي كان كورديل فيه في السجن. سأرى ما يمكنني معرفته، لكنني لا أعدك بشيء".

قالت يوكي: "عديني فقط بأنه مهما حدث سنظل صديقتين".
قلت: "هذا يمكنني أن أعدك به".

الفصل 38

قبل الخامسة من مساء ذلك اليوم، تبعت يوكي الضابط كريد ماهوني عبر عدة أبواب فولاذية إلى السجن الكائن في الطابق السادس من مقر قيادة الشرطة. ومن هناك، تم اصطحابها إلى إحدى غرف الزيارة شديدة الضيق ذات النوافذ العالية المكسوة بالقضبان، والمخصصة للمقابلات بين السجناء والمحامين.

انتظرت عشر دقائق تقريباً قبل أن يفتح الباب ويدخل توني ويليس "الصغير" الغرفة مكبلاً من الرسفين إلى الكاحلين. كان يرتدي بذلة السجناء البرتقالية، وذراعاها تغطيهما الوشوم، وشعره مجعداً، وملامحه يكسوها التمرد. قال توني الصغير بينما كان ماهوني يصل قيوده بالخطاف المعلق في الطاولة: "ذكريني. من أنت مجدداً؟".

قال ماهوني: "خمس عشرة دقيقة، اتفقنا يا سيدة كاستيلانو؟ سأعود بعدها".

ثم أقفل الباب وأغلقه بالمفتاح.

قالت يوكي لتاجر المخدرات الصغير الجالس أمامها، والمتهم بالعنف الزوجي، والذي يحتمل أنه قاتل أيضاً: "أنا المحامية يوكي كاستيلانو. أحتاج إلى معرفة أي معلومات تخص مقتل أرون-ري كورديل. ما الذي لديك؟".

قال: "هل تمزحين معي؟ أتسألينني هل قتلته أم لا؟ لأنني لم أفعل. هل معك سجائر؟".

قالت: "تمنيّت أن تكون قادرًا على إخباري بمن قتل كورديل. سيكون هذا مفيدًا حقًا".

"مفيدًا لمن؟ ليس لديّ شيء لأخبرك به لأنني لم أفعل شيئًا لهذا المعاق. إذا كان هذا كل شيء، فوداعًا يا سيدة كاسيلاندرو".

"ما أعرفه أنك قدمت معلومات تدين خورخي سيررا". كانت يوكي تشير إلى إمبراطور المخدرات المتوحش بجنوب كاليفورنيا الذي كان يعرف باسم كينج فيشر. لم تكن الشرطة تعرف مكانه، وحتى هويته الحقيقية كانت لغزًا. "كنت واحدًا من مقربيه، أليس كذلك يا توني؟ لا تحاول الكذب. أعرف رجال شرطة كثيرين، وأعرف أنك تعاونت مهم. إذا اكتشف سيررا، سيحول حياتك القصيرة إلى عذاب مقيم".

بدا الصبي خائفًا للمرة الأولى. دار بعينيه في الغرفة الصغيرة، بحثًا عن كاميرا في الغالب.

ثم قال: "من قال هذا؟ من أخبرك بأنني وشيت بالملك هو كاذب يا سيدتي. أنا لست أحمق".

قالت يوكي مستمرة في الضغط: "دعني أكن واضحة معك. أنا لا أريد اتهامك بقتل كورديل. ما أريده هو معرفة سبب مقتل هذا الصبي".

قال توني ويليس: "لن نختلف. حسنًا، اسمعي، أنا لم أفعل هذا، ربما من فعلها سجينان هنا يعملان لحساب الملك. لكن كي أكون صادقًا معك، فإنه رغم تردد اسم كينج فيشر، فأنا لا أعتقد أن له علاقة بهذا. أنا أخمن فقط يا سيدة كاسيلاندرو؛ فأنا لا أعرف شيئًا عن قتل آرون-ري. هذا هو كل ما لديّ، وأقدمه لك مجانًا عن طيب خاطر".

قالت يوكي: "سأجلب لك سجائر من المقصف".

فقال: "أهذا كل شيء؟".

"هذه بطاقتي. إذا تذكرت أي شيء جديد حول مقتل آرون-ري، اتصل بي". بعد أن تم اقتياد توني ويليس لمحبيه، استقلت يوكي المصعد ثم انطلقت إلى الشارع، واتجهت إلى المرآب تحت الأرض، وعثرت على سيارتها. ثم ذهبت

إلى مكتبها، وعقلها شاردا فيما أخبرها به توني الصغير، والذي لم يكن شيئاً يذكر.

اللعنة. فكرت في آرون-ري، تلك النظرة اللطيفة على وجهه في الصورة التي كانت تحملها أمه. لم تستطع أن تتخيل أن هذا الصبي قتل ثلاثة تجار مخدرات كانوا من أصدقائه.

مهما فكرت في الأمر، كانت فكرة قتل آرون-ري لثلاثة تجار مخدرات غير منطقية على الإطلاق.

الفصل 39

يفترض أن ويكر هاوس كان معرضًا لبيع أثاث الخيزران والروطان المستورد بسعر الجملة. كان يقع على أطراف حي بيرنال هايتس بشارع كورتلاند، وهي منطقة للصناعات الخفيفة متوسطة الإيجار، والتي أصبحت مأهولة بالسكان بعد تشييد الطريق الصاعد إلى التل.

كان هذا المبنى بعينه يقع في منتصف المربع السكني، ويتماشى مع بقية المباني الرمادية المكونة من دورين أو ثلاثة، بعضها به ألواح خشبية مثبتة تحت الأفاريز، والعديد منها به مخارج للطوارئ، لكن ليس هناك مبنى واحد منها يشعرك بالترحيب.

كان الجزء الخلفي من المكتب مفتوحًا على مرآب يمكن دخوله عبر طريق الخدمات. كان الباب الخلفي مصنوعًا من الصلب المقوى، وعلقت عليه لافتتان، كانت الأولى تقول: للتجار فقط، والثانية: الدخول بموعد مسبق. لم يكن اسم المتجر أو رقم الهاتف المذكورين في اللافتتين.

في الثالثة صباحًا، كان المرآب الذي يقع عند الباب الخلفي لويكر هاوس يأوي سبع سيارات، سيارة مالك ويكر هاوس ناثنان رويس المرسيدس إس إل، بالإضافة إلى سيارات بقية الموظفين.

كما كانت هناك شاحنة متوقفة في المرآب، ليس بعيداً عن الباب الخلفي للمعرض، لكن خارج نطاق كاميرا المراقبة في الوقت نفسه. كانت شاحنة فوردي بيضاء لا تحمل أرقاماً، وكان الرجل الذي يدعى "واحد" جالساً خلف عجلة القيادة. كان "واحد" يحفظ مخطط مبنى ويكرهاوس عن ظهر قلب بمساعدة من أحد الوشاة. كان الجزء الأمامي من الطابق الأرضي للمبنى عبارة عن صالة عرض تقتقر إلى الأناقة. أما الجزء الخلفي منه فكان عبارة عن معمل سري يمكن الوصول إليه من الباب الخلفي، ما يجعله ملائماً لنقل المواد الكيميائية والمنتجات بسرعة.

كان فنيو المعمل يصنعون العقاقير الاصطناعية: الكاينونات، المعروفة بين العامة باسم أملاح الاستحمام، والكاناينويدات، أي الماريجوانا الاصطناعية. وكان الطابق الثاني من ويكرهاوس عبارة عن مخزن مؤقت للمنتج المنتظر شحنه. كما كان هناك مخزون كبير من الهيروين في ذلك الطابق، وفي أوقات معينة، كان يتم تبادل مبالغ كبيرة من الأموال السائلة داخل المبنى.

وقد أخبره الواشي بموعد انتقال الشحنات من ويكرهاوس إلى مقر الشركة الأكبر، وإن لم تكن الوجهة النهائية معروفة. إجمالاً، كانت الغنيمة تزيد قيمتها على خمسة ملايين ونصف المليون.

كان الرجال داخل المبنى مسلحين ومتيقظين، ما جعل هذا العمل أكثر خطورة من قتل بعض المدمنين في وكر مخدرات.

قال "واحد" لرجليه: "عشر دقائق، اتقننا؟ دعونا لا نضيع الوقت".

عم التوتر الشاحنة بينما كان الرجال الثلاثة يرتدون السترات الواقية للرصاص، وسترات الشرطة، وأقنعة الغاز، والقبعات التي تحمل رمز شرطة سان فرانسيسكو. أعد الرجال بنادقهم الآلية طراز إم-١٦، وحشوها بالرصاص، وعندما صاروا جاهزين، خرج "واحد" من الشاحنة وأطلق النار على الكاميرا المثبتة فوق الباب الخلفي. لم يُسمع صوت الرصاصة بسبب كاتم الصوت.

خرج "اثنان" و"ثلاثة" من الشاحنة، وذهبا باتجاه الباب الخلفي المصنوع من الفولاذ. ثبتا عبوات ناسفة صغيرة على القفل والمفصلات، ثم وقفا بعيداً بينما ضغط "اثنان" زر التفجير عن بُعد. لم يسمع صوت الانفجار المنخفض في المنطقة التي كانت شبه مهجورة في الليل.

أخرج "واحد" و"اثنان" الباب من إطاره، ثم دخل "ثلاثة" إلى الممر القصير الذي يقود إلى المعمل، وبدأ في إطلاق النار بينديته الآلية المزودة بكاتم الصوت. حُطم الزجاج، وتناثرت الدماء، وبمجرد سقوط جميع المتواجدين، هرع الرجال الثلاثة المرتدون سترات الشرطة إلى الباب المغلق الذي يقود للطابق الثاني.

بعد تحطيم القفل بالرصاص، حطم الجناة الباب وهرعوا نحو الطابق الثاني.

لكنهم قوبلوا بوابل عنيف من الرصاص.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل 40

كان "اثنان" في المقدمة، بينما أدى وابل الرصاص إلى تحطيم الألواح، وتناثر بقايا الجص وفوارغ الرصاص فوقه هو وزميليه. كان إطلاق النار شيئاً متوقعاً.

أصق الرجال الثلاثة أجسادهم بالحائط، وصاح "واحد": "شرطة! ألقوا أسلحتكم!"

صوب "اثنان" قاذفة القنابل، ورمى قنبلة فلفل قوية أعلى الدرج.

سمعوا صوت فرقعة قوية، ثم سقطت القنبلة على أرضية المخزن وصدر عنها أزيز بينما كانت تطلق الغاز الحارق. وبعد لحظات، تعثر رجلان في الطابق الثاني باتجاه الدرج، وأيديهما على عيونهما الدامعة، وبدأ يسعلان بشدة دون توقف، ثم قالوا: "ليست لدينا أسلحة. لا تطلقوا النار!"

قال "واحد": "أسف، لكن ضعوا أنفسكم مكاني".

ثم أطلق رصاصتين من بندقيته طراز إم-١٦، ثم تنحى عن طريق الجثث بينما كانت تتدحرج نحو أسفل الدرج.

صعد الجناة إلى الطابق الثاني، وجال "واحد" بعينه في المخزن، فوجده كما وصفه الواشي. كان المخزن يحتل الطابق الثاني بأكمله.

في الجزء الأمامي، أمام الجدار المواجه للشارع، كانت هناك أكوام من أثاث الخيزران. في الخلف، حول المكان الذي كان يقف "واحد" فيه هو

ورجاله، كانت معدات المكاتب مرصوفة على مختلف الطاولات والرفوف. كانت هناك آلات تصوير، ولفائف من الشرائط اللاصقة، وموازين، وعدادات نقود، وعلب من الكرتون، وحاسوب محمول تعرض شاشته ما تسجله كاميرات المراقبة داخل وخارج المعرض، بما في ذلك الصورة المشوشة التي تعرضها الكاميرا التي أطلقوا النار عليها عند الباب الخلفي.

كما أمكنهم رؤية خزانة للأسلحة في الزاوية، وكانت أبعادها ٢٥×٢٧×٢٨ قدم. كانت الخزانة مفتوحة، ما وفر عليهم عناء تفجير الباب. وجدوا الخزانة مليئة بأكياس الهيروين، وبجوارها تراكت العديد من العلب الكرتونية الصغيرة، وست حقائب خضراء من القماش. فتح "ثلاثة" الحقائب وأعلن: "نقود بلا عدديا واحد".

سمع "واحد" سعالاً قادماً من إحدى الخزائن. فصوب بندقيته، وفتح الباب، فوجد رجلاً يجلس داخلها، ويغطي عينيه بذراعيه. نظر الرجل إلى أعلى، ووجهه متورم من قنبلة الفلفل، وصرخ باكياً: "لا أستطيع أن أرى".

سأل "واحد": "أين دوني؟ أين راسكال؟".

سعل الرجل في الخزانة وقال لاهتاً: "غادرا".

فقال "واحد": "حسنًا. آسف، لكن لا بد لي من القيام بذلك يا أخي".

صوب سلاحه على الرجل في الخزانة وأطلق النار. صرخ الرجل، ثم انهيار. سأل "واحد": "أنتم بخير يا رفاق؟".

بعد أن أخبره "اثنان" و"ثلاثة" أنهما بخير، اتجه "واحد" إلى العلب

الكرتونية المكسدة على الأرض، ثم مزق الشرائط اللاصقة بشيء من العنف، لتظهر طرود بحجم ٨×٦×٤ بوصة مغلفة بعناية بالورق اللامع، والتي تحمل أسماء مثل "الموجة الزرقاء"، و"الخيال الجامح"، و"التنين الخارق".

كان هناك مئات الكيلوجرامات من الحشيش الاصطناعي في هذه الأكياس، بالإضافة إلى الهيروين الموجود في خزانة الأسلحة. وبما أن حقائب المال كانت معبأة بالفعل، فإنهم كانوا جاهزين للانطلاق. تحرك الرجال الثلاثة صعوداً وهبوطاً على الدرج، الذي تناثر فيه الجثث وفوارغ الرصاصات، ثم حملوا حقائب النقود والصناديق الكرتونية وأكياس المخدرات، والحاسوب المحمول إلى الشاحنة.

بعد وضع آخر جزء من الغنيمة بأمان، عاد "واحد" إلى المعرض، للتأكد من موت الرجال المغدورين جميعاً. ثم أطفأ الأنوار وأغلق الباب. كان ويكرهاوس قد أفلس، لكن "واحد" ورجليه صاروا قريبين للغاية من التقاعد المبكر. لقد أحسنوا عملاً اليوم.

الفصل 41

رن جرس الهاتف في وقت أبكر من اللازم بكثير.
قال جو وهو نصف نائم: " سأذهب لتفقد الطفلة".
لكني همست: " استرح أيها العميل، سأتولى الأمر".
التقطت هاتفني من على طاولة السرير ولاحظت أن الساعة كانت ٥:٥١، وأن
المتصل كان برادي. كنت خارج الخدمة على حد علمي، لكني أخذت الهاتف
وذهبت إلى الحمام، وأجبت قائلة: " ما المشكلة يا برادي؟ مسألة شخصية أم
خاصة بالعمل؟".

أجاب: " بل خاصة بالعمل".

حمدًا لله، فلم أكن أريد سماع أنه هو أو يوكي كانا في مشكلة. بمجرد أن
اطمأنتت على ذلك، كان عليّ أن أعرف سبب اتصال برادي في الفجر بحق السماء؟
عدت أقول: " ما الخطب؟".

دخلت مارثا الحمام وظلت تلف في دوائر حول ساقي حتى نجحت في جلبي
إلى المطبخ. كان وعاء الطعام الخاص بها فارغًا.
قال: " أنا في حيك السكني".

" هل تعني أنك تريد المرور علينا؟ الساعة لم تبلغ السادسة حتى".

قال: " لقد جئت للتو من مسرح جريمة. إنها مجزرة".

قلت: " سأعد القهوة".

بحلول الوقت الذي أخذت فيه حماماً وارتديت ما وجدته على المقعد بغرفة النوم، كان برادي على الباب. بدا شاحباً، ولم يكن هذا بسبب الإضاءة. قلت: "اجلس"، مشيرة إلى مقعد في منتصف المطبخ. تأكدت مرة أخرى من أن بابي غرفتي النوم كانا مغلقين، ثم صببت القهوة ووضعت الحليب والسكر. تراجعت إلى الخلف مستندة إلى الموقد، وعقدت ذراعياً، وانتظرت أن يتكلم.

قال: "لماذا رفضت الترقية إلى ملازم؟ أعني، كان بإمكانك الحصول عليها بسهولة قبل أن تتنازلي، وكان بإمكانك الحصول عليها بعد ترقية جاكوبي. لكنك رفضتها مرة أخرى".

أجبت: "لم أستطع تحمل فكرة العمل المكتبي المكثف، والاجتماعات، وكل سخافات الإدارة الوسطى. كنت أرغب في العمل على القضايا، كل قضية على حدة".

قال برادي: "حقاً؟ أشعر كأنني أتحوّل إلى وغد تسعين في المائة من الوقت". وبدأ يحتسي قهوته، لكن الفضول كان يقتلني.

"ماذا حدث يا جاكسون؟"

"كانت فرقة مكافحة المخدرات تراقب منزلاً في حي بيرنال هايتس لبضعة أشهر. إنه مصنع يعمل تحت ستار صالة عرض للأثاث. كانوا يراقبون المكان، لكنهم لم يعرفوا ما حدث حتى انتهى الأمر".

هز رأسه وأكمل قائلاً: "المشهد داخل المكان أشبه بمنطقة حرب". سألته: "أهناك قتلى؟"

أجاب: "بالطبع. سبعة على ما أظن".

سألته مجدداً: "ماذا كان هذا؟ عملية سطو؟"

قال برادي: "هذا ما يبدو عليه الأمر. الرجال الموتى يشبهون الموظفين. نعتقد أن المهاجمين هربوا. وجدت فرق مكافحة المخدرات مقطعا مدته أقل من ثانية يظهر ثلاثة رجال في شاحنة بيضاء تغادر مرآب ويكر هاوس، وكان أحدهم على الأقل يرتدي سترة شرطة سان فرانسيسكو".

قلت: "غير معقول!".

أكمل برادي: "إذا كان هذا بفعل العصابة نفسها، فإنهم يترقون من سرقة أوكار المخدرات والمتاجر الصغيرة إلى الفنائم الكبرى كهذه. ربما وجدنا الآن فرصتنا".

ثم استغرق برادي في التفكير.

"ماذا يا برادي؟ أي نوع من الفرص؟"

انتبه لي وأجاب: "لدينا لقطات لوغدين يغادران المكان في وقت مبكر من الصباح، قبل أن يبدأ الهجوم. إنهما لا يشبهان الجناة، لكن لا بد أنهما يعرفان شيئاً، وقد تعرفنا عليهما. مجرد وغدين كما قلت".

ثم أردف: "اتصلي بكونكلين، وسأتصل أنا بسوانسون وفاسكيز. كلابر في مسرح الجريمة الآن" وكان يقصد بكلابر صديقي مدير معمل الطب الشرعي. حدق برادي في قذح القهوة ثم قال: "اسمعي يا ليندسي. أعلم أنني كنت وغداً معك في الآونة الأخيرة. أنا متوتر بسبب هذه العصابة التي ترتدي زي الشرطة، ولم أقصد أن أسئء إليك. أنا آسف".

ثم تحشرج صوته. كانت هذه هي طريقة برادي في الاعتذار.

قلت له: "لا بأس. أتفهم هذا تماماً".

قال: "أنا في صفك دائماً".

ابتسمت له، ورد الابتسام. أحياناً أكره برادي وأحياناً أحبه حقاً. وفي هذه اللحظة كنت أحبه. وقبل أن يبدأ أحدنا في البكاء، أعطاني تفاصيل مسرح الجريمة وطلب مني معاينته والاتصال به كل ساعة. عندما ذهب، أرسلت رسالة نصية إلى كونكلين. ووصلني رده على رسالتي.

وصل كونكلين إلى ويكر هاوس بعدي بعشر دقائق. بعد جولة في حمام الدم، قال شريكلي: "لا أستطيع أن أصدق أن شرطيين هم من فعلوا هذا".

كان أربعة من القتلى السبعة غير مسلحين، وكانت فوارغ الرصاصات تكسو الأرضية على الدرج وداخل كل طابق.

كنت أنا وسوانسون وفاسكيز وكونكلين نراقب عمل المحققين في مسرح الجريمة عندما جاء كلابر وقال لي: "لدينا بصمات لا حصر لها. أما بالنسبة للفوارغ، فلدينا كل الأنواع. من وضع الجثث، يبدو لي أن الرماة استفادوا من عنصر المفاجأة، كما أنهم استخدموا كاتم الصوت".

ثم أخبرنا كلابر بلطف بأننا نعطله عن القيام بعمله قائلاً:

"بمجرد أن أعرف أي شيء، سأتصل بكم".

الفصل 42

كانت الساعة الخامسة صباحًا عندما أوقف دوني وولف سيارته في مكان مجاني مخصص لوقوف السيارات في شارع سكاني بحي إنر صن سيت.

كان يقف مستندًا إلى غطاء محرك سيارته الشيفروليه كامارو الحمراء طراز ٢٠٠٣. انتشرت المنازل على جانبي الجادة الثانية عشرة، بسلاسلها القصيرة التي تفضي إلى الأبواب الأمامية، ومنحدراتها التي تقود إلى المرائب. كان المنظر كله يوحي بالدفء العائلي عمومًا.

لقد ظل بالخارج طوال الليل، وكان يتحدث إلى فتاته على الهاتف قائلاً: "كنت أعمل لوقت متأخر يا تامرا. قومي فقط بحزم ما تحتاجين إليه لبضعة أيام ولا تتحدثي مع صديقاتك، أو مع والدتك، أو مع هذا الغبي بالطابق السفلي. أمامي اجتماعان ثم سأعود إلى البيت للنوم. بعدها سنخرج من هنا".

كانت تامرا حاملاً في الشهر الخامس. لم يطلعها دوني على طبيعة عملة، وتقبلت هي هذا. لكن من الواضح أنها لم تحب الهروب من المدينة متسللة، دون أن تعرف أين هما ذاهبان، ودون أن تخبر أمها.

قال: "سيكون الأمر رائعاً يا تام. ثق بي. لا تتكلمي. احزمي متاعك، وابقى هادئة".

كانت سيارة الفورد الرمادية تقترب منه، وتوقفت خلفه تمامًا. جذب دوني أطراف قميصه، وتأكد من تغطية السلاح الذي يضعه في حزامه. ثم خرج من سيارته وسار نحو الرجل الذي كان يعرفه باسم "واحد".

سأل دوني: "كيف سار الأمر؟ أكل شيء بخير؟". كان الرجل ممتلئاً ويرتدي نظارة شمس ضخمة، وقبعة خفضها بحيث كانت تخفي عينيه.

قال "واحد" لواشي ويكر هاوس: "لا تقترب أكثر من هذا". توقف دوني عن السير وأظهر يديه الفارغتين.

سأل "واحد": "أين صديقك؟".

"راسكال بخير. إنه يبقي نفسه بعيداً عن الأنظار".

أوماً "واحد" وقال: "إليك حقيبتك"، منحنيًا على مقعد الراكب. ثم ألقى من النافذة المفتوحة حقيبة من القماش النايلون.

التقط دوني الحقيبة، ووضعها على الرصيف، وفتحها. كانت هناك لوحتا سيارة تابعة لولاية كولورادو في أحد أركان الحقيبة، التي كانت مليئة بأكوام من رزم النقود.

تفقد الشاب المال، وبدا المبلغ مرضياً بل ويزيد على المائة ألف المتفق عليها - حصته هو وراسكال.

قال لـ "واحد": "أعتقد أن هذا هو الوداع".

"طالما بقيت صامتاً. لا تجعلني آتي لأبحث عنك".

قال دوني: "لكن الزعيم...".

"آخر مرة رأيت الزعيم فيها كان فمه محشواً بقطع من قماش السجاد".

قال دوني: "لا أتحدث عن السيد رويس، بل أتحدث عن رئيسه يا رجل.

الملك. إن لديه فكرة عمن تكون. فلا تلمني على هذا".

قال "واحد": "أعلم من هو أيضاً، وأعلم أين يقطن".

قال دوني: "ليس رئيسي وليست مشكلتي. أنا بخير. سأغادر هذا المكان، فلدِّي خطط".

قال "واحد": "يجب أن تكون خطتك الأولى هي التخلص من تلك السيارة

المبهرجة. كن حذرًا يا دوني".

أجاب دوني: "وأنت أيضاً يا سيد واحد. وداعاً. اعتن بنفسك".

وصل دوني إلى سيارته، وشاهد "واحد" من المرأة إلى أن قاد سيارته بعيداً. ثم أخذ الحقيبة القماشية وسار قليلاً، حتى عبر الشارع قاصداً متجر تصليح السيارات في شارع جودا، والذي لن يفتح قبل ثلاث ساعات أخرى. ذهب إلى الخلف واختار سيارة هوندا سيفيك زرقاء، ليست جديدة، وليست قديمة، بل السيارة المناسبة ببساطة. لم تكن السيارة مقفلة، ولم تكن هناك مفاتيح، لكنه كان يسرق السيارات منذ كان يستطيع المشي. كان هذا غاية في السهولة.

شغل سلك المحرك، ثم خرج من السيارة وغير لوحات الترخيص باستخدام إحدى لوحات كولورادو التي أعطاه إياها "واحد". مر دوني أمام سيارته الكامارو المبهجة في الشارع، ولوح بيده مودعاً إياها، ثم قاد سيارة الهوندا شرقاً باتجاه جسر سان فرانسيسكو.

الفصل 43

بعد أن قام تشارلي كلابر بإخراجنا من مسرح الجريمة، عدت أنا وكونكلين إلى مكتبنا في قسم مكافحة جرائم القتل، حيث قضينا الصباح في استعراض اللقطات التي أمدنا بها قسم مكافحة المخدرات الخاصة بالشارع أمام ويكر هاوس.

في تمام الساعة الثانية وأربع وثلاثين دقيقة صباحًا، قبل بدء إطلاق النار، غادر رجلان ويكر هاوس من الباب الأمامي. كانا يرتديان ملابس شبابية: ارتدى أحدهما بنطالاً من الجينز، وسترة داكنة، والآخر سترة فاتحة اللون. كان أحدهما طويلًا عريض المنكبين، والآخر نحيفًا ضئيل البنية.

دخن كلا الرجلين سيجارة سريعًا قبل أن يحيي أحدهما الآخر ويركب كل منهما سيارته.

استقل النحيف سيارة كامارو حمراء طراز ٢٠٠٣ مسجلة باسم دونالد فرانسيس وولف، بينما استقل ممثل الجسم سيارة بويك بنيتة طراز ١٩٩٧ مسجلة باسم رالف فالدين. كان كلا الرجلين في العشرينيات من عمره، لكن وولف كان لديه سجل إجرامي يتراوح ما بين محاولات السطو على المنازل وحياسة المخدرات والاعتداء. كما قضى عقوبة بالإصلاحية لاتهامه بسرقة سيارات.

وكما قيل لنا، في تمام الثالثة واثنيتي عشرة دقيقة صباحاً، استطاعت كاميرا المراقبة التقاط مقطع مدته أقل من ثانية لشاحنة بيضاء صغيرة بها ثلاثة مجهولين، وتمكنوا من رؤية أحدهم في مقعد الراكب، غالباً كان يرتدي سترة شرطة سان فرانسيسكو. أسرعت الشاحنة أمام واجهة ويكر هاوس، وبدأ كأن لوحة الشاحنة قد لُطخت بالطين.

لقد شاهدنا ذلك المقطع من الأمام إلى الخلف، ومن الخلف إلى الأمام، كما كبرنا الصورة، وحاولنا تحسينها، واستخدمنا الإيقاف المؤقت، ورغم كل هذا لم نجد طريقة واحدة تمكننا من تحديد هوية أي من الرجال الثلاثة الذين رأيناهم في الشاحنة، غالباً بسبب الضوء الخافت. أهي عصابة سترات الشرطة؟ ربما؛ فقد رأيت ما يشبه الأحرف البيضاء على قماش أزرق داكن أو رمادي أو أسود.

ذكر كلابر أن كاميرا المراقبة في الجزء الخلفي من ويكر هاوس أطلقت النار عليها، وأنه لم يتم العثور داخل المتجر على محرك أقراص صلبة أو جهاز حاسوب.

في حوالي التاسعة والنصف من صباح هذا اليوم، قدمت شكوى ضد سيارة دونالد وولف الكامارو الحمراء التي كانت تشغل الطريق بأحد الشوارع على بُعد مربع سكني من ورشة إصلاح سيارات. وأبلغ رجل كان يعمل في ورشة التصليح بسرقة سيارة هوندا سيفيك زرقاء وأن لوحتيها تركتا في الفناء الخلفي، الذي كان خالياً من كاميرات المراقبة.

وهذا يعني أن وولف تخلى عن الكامارو ويحتمل أنه يقود سيارة هوندا سيفيك زرقاء بلوحة مسروقة.

أرسلنا بلاغاً لجميع الوحدات بالبحث عن سيارتي الهوندا والبويك، وكان ذا جدوى، حيث أبلغنا بأن السيارتين شوهدتا على الطريق ١٠١ السريع بعد الساعة الثالثة.

استطعت أنا وكونكلين - بمساعدة قسم المرور التابع لشرطة سان فرانسيسكو - العثور على السيارتين في موقف سيارات ملعب إيه تي أند تي بارك في الثالثة والنصف. كان فريق نيويورك جاينتس يلعب ضد سانت لويس كاردينز، وكان الجو جميلاً مشمساً اليوم، وبالتالي كان الموقف ممتلئاً بالسيارات عن آخره.

أظهرت أنا وكونكلين شارتينا، ودخلنا الملعب عبر بوابة ويلي ميز. حتى أسوأ المقاعد في ملعب كرة القدم كان يطل على جسر سان فرانسيسكو، ومن حيث نزلنا سلالم المدرج، خلف دائرة وسط الملعب مباشرة، كان بإمكاننا رؤية الملعب بالكامل.

في وسط الملعب، كان يقف مات هوليداي، أفضل ضارب بفريق سانت لويس، وكانت النتيجة التعادل بين الفريقين. كانت جميع العيون على الرامي تيم لينسكوم، جميعها عدا عيوننا أنا وكونكلين. كان لدينا صور لكل من وولف وفالدين في جيبي سترتينا. كل ما كان علينا القيام به هو تحديد موقع هذين الوغدين بين أربعين ألف متفرج.

رمى لينسكوم كرة سريعة باتجاه هوليداي، لكنه استطاع صدها باتجاه الركن الأيسر للملعب. هلل المشجعون في انسجام تام، واقفين على أقدامهم، لكن لم يكن انتباهنا منصّباً على اللعبة أنا وشريكي.

وجدت كونكلين يشير إلى اليمين فوقنا بحوالي ستة صفوف. كان يشير إلى مجموعة من الرجال يقفون أمام كشك تري مكسيكيان كيتشن.

"هذا هو دونالد وولف، الرجل المرتدي سترة داكنة، والقبعة ذات شعار فريق جاينتس".

"نظرك ثابت أيها الشرطي".

لم أكن متأكدة، ولكن في الوقت الذي تحركنا فيه في الممر المقدس بالمتفرجين، رأيت أنه وولف فعلاً، ودون أدنى شك.

اقتربت من وولف من الخلف ونقرت على كتفه. وعندما استدار قلت: "دونالد وولف. أنا الرقيبة بوكسر، من قسم شرطة سان فرانسيسكو. نحن بحاجة للتحدث معك حول حادث سرقة سيارات وقع مؤخراً".

دفعت وولف باتجاه الحائط وفتشته جيداً، لكن فالدين وجهه لكمة قوية إلى كونكلين، الذي تفادها، فوجه إليه لكمة أخرى واضعاً وزنه كله فيها. هذه المرة انحنى كونكلين، ثم لكم ذقن فالدين بقوة جعلته يندفع إلى الورا حتى اصطدم بكشك دوجي داينر.

اهتزت جدران الكشك المصنوعة من الصفيح، وصاح البائع معترضاً. جذب كونكلين يدي فالدين وراءه وسلسلها بالأصفاذ، قائلاً: "رالف فالدين، أنت رهن الاعتقال بسبب اعتدائك على ضابط شرطة".

كنا جميعاً نعرف أن وولف وفالدين ليسا ضمن الجناة الذين هاجموا ويكر هاوس، ولكن كان هناك احتمال كبير بمعرفتهم مَنْ قتل الرجال السبعة في الداخل. إذا كان الجناة تابعين لعصابة سترات الشرطة، فإنهما قد يخبراننا بشيء ربما يساعدنا على حل قضايا السطو المسلح على مكثبي صرافة الشيكات والمتجرين الإسبانيين، وأوكار المخدرات، بالإضافة إلى حوادث إطلاق النار على تجار المخدرات في جميع أنحاء المدينة.

كنت أتوق بشدة للتحقيق مع هذين الوغدين.

أمرت وولف: "ضع يديك خلف ظهرك".

كان هذا عندما قرر الهرب.

الفصل 44

كان رالف فالدين قد صار مكبلاً وطيعاً تماماً.

لكن دونالد وولف استغل الفرصة، ودس حقيبته تحت ذراعه، وركض بسرعة الصاروخ، متخطياً كشك دوجي داينر، وكشك بورت ووك بيتزا، بالإضافة إلى عربة القهوة، وارتطم في طريقه بالعديد من المشجعين، وأوقعهم مثل قارورات البولنج.

كان وولف صغير الحجم إلا أنه كان سريعاً. بينما وقفت مع فالدين واتصلت طالبة قوة داعمة، أجهد وولف كونكلين؛ حيث كان يقفز فوق المقاعد، ويركض مزيحاً المشجعين بينما كان يبحث بجنون عن مخرج.

كان وولف بالقرب من الصفوف السفلية من الملعب عندما وصل كونكلين إليه. هتف المشجعون تحية لشريكي بينما كان يجذب وولف ليصل به إلى حيث كنت أقف أنا وفالدين بجوار كشك الهوت دوج.

قال كونكلين لـ وولف: "يحق لك التزام الصمت، أي شيء ستقوله يمكن أن يُستخدم ضدك في ...".

قاطعته وولف: "يجب أن أتصل بفتاتي. هل ستستخدم هذا ضدي في المحكمة؟".

يمكن أن نطلق على وولف بسهولة وصف متحذلق. لم يظهر الخوف على وجهه على الإطلاق، وكان ينبغي أن يخاف. لقد كان في ورطة. جذبت حقيبته

القماشية وفتحتها وكان بداخلها مبلغ هائل من المال، ربما خمسين ألفاً من الدولارات المرصوصة بدقة في رزم مرتبة.

قلت لـ وولف: "سأحمل هذه الحقيبة عنك، بينما تقدم لي مستند إثبات على ذلك".

في غضون هذا الوقت، كنا قد جذبنا المزيد من الانتباه من حولنا. كان المشجعون يهللون، وبدأ بعضهم يهتفون ضدي أنا وشريكي. كم أحببت صوت الرجل المخمور الذي صاح: "اسمعوا! إنهما لم يرتكبا خطأ. هذا بلد حر، أليس كذلك؟ نحن نشاهد مباراة ليس إلا. فما هي المشكلة بالضبط؟".

كانت قوة الدعم التي اتصلت لطلبها في الطريق، وكان أمن الاستاد يهرول نحونا مباشرة. قلت للمعارضين: "أريد أي شخص الانضمام إلى الحفل؟ لأن مساحة السجن كبيرة بما يكفي ويفيض".

قال شاب صغير كان يستعرض أمام حبيبته: "رجال شرطة متوحشون. هذا هو ما عليه الأمر. أنا شاهد وسأبلغ عنكما. ما رقم شارتك؟".

بدأت حبيبته وبعض المجاورين لها يرفعون هواتفهم ملتقطين صوراً لوجهي وشارتي. فأصابني هذا بغضب شديد.

صحت مخاطبة حراس الأمن: "قيدوا هؤلاء بالأصفاد. هذا. وهذين. وهذه. سأعتقلكم جميعاً بتهمة تعطيل عمل الشرطة، والسكر، وإحداث الفوضى".

تراجع المهاجمون، ولكن ليس قبل تقييد أربعة منهم بالأصفاد واصطحابهم إلى عربات الشرطة عند البوابات.

بعد ساعتين، في منتصف وقت العشاء، كان المناوبون الليليون على مكاتبهم في قسم مكافحة الجريمة. كان رالف "راسكال" فالدين محتجزاً في الغرفة المجاورة، بينما أعدنا أنفسنا أنا وكونكلين للتحقيق مع دونالد فرانسيس وولف في غرفة الاستجواب رقم ١.

الفصل 45

لم أتناول شيئاً سوى شطيرة برجر وبعض المقبلات منذ زيارة برادي المفاجئة في السادسة من صباح ذلك اليوم. كنت أشعر بالضيق والإحباط، والآن كنا أنا وكونكلين نستجوب دونالد وولف، الذي لم يكن يتصرف كرجل قبض عليه في جناية.

سأله كونكلين: "هل تفهم أنك متهم في جناية؟"
"لم أفعل شيئاً. أنت من قبضت عليّ، وهذا اعتداء. كما أنه كان بجوزتك سلاح قاتل. لديّ شهود. لم أكن أعلم أنك شرطي وهذا هو السبب في أنني ركضت".

تساءب كونكلين في ملل، ثم قال: "للعلم، فإن الرقيبة بوكسر أعلنت أنها ضابطة شرطة وأظهرت لك شارتها، وأنا شاهد. أيتها الرقيبة، سأعود بعد قليل".

نهض كونكلين عن مقعده وغادر غرفة الاستجواب. كان كونكلين يلعب دور الشرطي "الطيب" في العادة، ولكنه لم يكن سيفعل هذا مع وولف. وهكذا توليت استجواب وولف.

قلت: "دونالد، أيمكن أن أدعوك دوني؟"
"لا بأس في ذلك".

كان في الخامسة والعشرين، ووصل للصف السادس في التعليم، ثم قضى بعض الوقت في السجن، ولهذا يحظى بخبرة معقولة في مثل هذه المواقف. قلت له: "اسمع يا دوني. لقد عثرنا عليك بينما كنا نبحث عن سيارتك الهوندا. وقبضنا عليك وبحوزتك المال المسروق. سأخمن أنك لم تجد حقيبة المال الكبيرة هذه تحت مقعد في محطة الترام".

"هذا مضحك أيتها الشرطة؛ لأن ما قلته صحيح، عدا أنه كان مقعدًا بالخارج على رصيف العبّارات. هل جاءك بلاغ بأن هذه الأموال سرقت؟ لا، أليس كذلك؟ إذن هذا المال ملكي".

أكملت كما لو أنه لم يقل شيئاً.

"قضية سرقة السيارات الكبرى ستبقيك وراء القضبان من اثنتي عشرة إلى خمس عشرة سنة".

قال: "مقابل هذه السيارة البالية؟ إنني حتى لم أسرقها".

قلت له: "هل وجدتتها على رصيف العبّارات؟".

قال: "نعم يا سيدتي. طلب مني رجل غريب أن آخذ هذه السيارة قائلاً إنه لا يستطيع تحمل كلفة إصلاحها. أعطيته مبلغاً كبيراً نقداً وشكرني بحرارة".

التقطت ملف دونالد وولف الإجرامي الضخم المليء بالجرائم الصغيرة وجرائم الأحداث، وألقيته على الطاولة بقوة. صدر عن هذا صوت اصطدام أطرب أذني.

قلت بعدها: "كفى هراء. أتريد تخفيف عقوبة سرقة السيارة؟ أمامك دقيقة واحدة فقط لمساعدتي. بعدها سيكون شريكي قد حصل على ما نحتاج إليه من فالدين. إنه يبدو جباناً يا دوني. أراهن أنه سيخبرنا بكل شيء".

نظر وولف لأسفل وبدأ يهز رأسه متمماً: "لا، لا، لا".

"لا، ماذا يا دوني؟".

"ما الذي تريد من معرفته بالضبط؟".

"ماذا تعرف عن السطو المسلح الذي تم على ويكر هاوس هذا الصباح؟".

"لا شيء. عندما تركت العمل، كان كل شيء بخير. أتفهمين؟ أنا وراسكال نعمل في المخزن، ونفرغ الصناديق، ونشحنها، ونضع الملصقات اللازمة،

ونتحقق من المخزون، وأحياناً نأتي بالقهوة إلى مهندسة ديكور أو ما شابه. لا أعرف شيئاً عما تقولينه".

"هل كنت تعلم بعملية السطو على ويكر هاوس؟"

"وأنى لي أن أعرف شيئاً عن هذا؟".

"تم إطلاق النار على سبعة أشخاص، وماتوا جميعاً. كنت تعرف هؤلاء الرجال يا دوني - لقد عملت معهم. هل تريد لقتلتهم أن يفلتوا من العقاب؟"

"أمل أن تقبضوا على من فعل هذا حقاً"

نظر إليّ وكأنني يفترض أن أصدقه.

سألته: "هل تعرف أي شيء عن رجال يرتدون سترات الشرطة ويسطون على المتاجر الإسبانية، وأوكار تجار المخدرات؟"

"ماذا؟ الشرطة تأخذ المخدرات والمال من التجار، وتحفظ به لنفسها؟ لم أسمع عن شيء كهذا من قبل."

ضحك، ثم مال على الطاولة، وقال بنبرة جادة: "اسمعي أيتها الرقيقة، سيعتني أشخاص آخرون بالمشكلة التي حدثت في ويكر هاوس، اتقنا؟ إنهم أفضل منكم بكثير في هذا الأمر."

فاجأني هذا، فسألته بدهشة: "ماذا تعني؟ من سيعتني بها؟ وكيف؟"

هز وولف كتفيه، وتحدث بأسلوبه الأحمق المتحذلق من جديد.

فقال: "اتبعي المال أيتها الرقيقة".

قلت: "أشرح ما تقصده بذلك".

قال: "أيمكن أن أجري الاتصال الهاتفي الآن؟ زوجتي قلقة عليّ، ولا بد أنها تتساءل عن سبب غيابي. هل أخبرتك أننا ننتظر مولوداً؟"

قلت: "وهذا الابن لن يتسنى له تقبيل أبيه قبل أن يصبح في الخامسة عشرة. أليس كذلك؟"

تركت الغرفة ودخلت غرفة الاستجواب رقم ٢ المجاورة لها، ونظرت عبر الزجاج، فشاهدت كونكلين يستجوب رالف فالدين دون نتيجة على الإطلاق. إنه عامل مخزن آخر لا يعرف شيئاً.

لقد مات سبعة رجال، وإذا حدثت تلك المذبحة بسبب أثاث الخيزران،
 فستكون هذه السابقة الأولى من نوعها. على الأرجح، تمت السرقة بسبب كمية
 الأموال السائلة الضخمة بالإضافة للكثير من المخدرات.

فكرت في عبارة وولف الصريحة التي أفلتت منه. سيعتني أشخاص آخرون
 بالمشكلة – أشخاص أفضل منا، "اتبعي المال"

ارتجفتُ حينما فكرت في عملية الانتقام التي يمكن أن يشنها هؤلاء
 الأشخاص ردًا على مذبحة ويكر هاوس. واعتراني شعور يعبر عنه الأيرلنديون
 بقولهم: "لقد سار أحدهم للتو على قبري".

الفصل 46

كانت سيندي تُعامل معاملة المشاهير بمتجر بوك ريفو لبيع الكتب في لونغ آيلاند بنيويورك.

إنها لم تتخيل نفسها توقع الكتب، أو تقف أمام جمهور يصفق لها ويحييها خلال السنوات التي أمضتها تفكر في تأليف كتاب.

كي يخرج هذا الكتاب إلى النور، راقبت القاتلين المختلفين في كل مكان، وترددت على أماكن خطيرة، واضطرت إلى قضاء ليل في فنادق رديئة أو في سيارتها، وعملت ليلاً ونهاراً وخلال العطلات، وأزعجت الكثير من رجال الشرطة المحنكين، حتى أولئك الذين أحببتهم، كي تتمكن من الحصول على معلومات تثري بها قصتها المنتظرة. كانت تطلع على السجلات الجنائية متمنية دوماً العثور على منظور لم يخطر للشرطة ببال، شاعرة ببهجة عميقة في تحويل الحقائق الملموسة إلى أدب مؤثر.

لقد كدحت كثيراً، والآن تعيش هذا الحلم.

في الوقت الذي بدأت فيه متاجر بيع الكتب في التحول إلى متاجر افتراضية، كانت هذه هي مكتبة أحلامها النموذجية. كانت الأرضية منقوشة بالمربعات الزرقاء والبيضاء، وعلى الجدران تمتد آلاف من رفوف الكتب، وفي أرجاء

المكان تنتشر زوايا مريحة ليجلس الزوار فيها للقراءة، بالإضافة إلى مكان خاص بالمؤلفين يمكنهم فيه القراءة على جمهورهم وتوقيع الكتب.

رأت بوب كلاين مالك المتجر قادمًا للتحدث معها. كان بوب رجلاً حسن المظهر في الخمسينيات من عمره، وكان يرتدي نظارات، وقميصاً مُنشى، وبذلة سوداء أنيقة.

قال: "سيندي، ستجدين تحت طاولتك صناديق مفتوحة مليئة بنسخ الكتاب. سأختبر الميكروفون من أجلك عندما تصيرين مستعدة".

كان هناك حبل يؤدي إلى طاولة مخصصة لها، وخلفها صورة كبيرة مثبتة على حامل، وصورة لفلاف كتابها على حامل آخر. كما كانت هناك كومة من الكتب على الطاولة مع عدة أقلام. كان الناس يتوافدون إلى المتجر استجابة للإعلان، ويملأون المقاعد. وكانت هناك عشرون امرأة على الأقل، أضاءت وجوههن جميعاً عندما رأينها وعرفنها من صورتها.

كانت تتحدث مع بوب عندما رن هاتفها.

أجابت سيندي قائلة: "أنا في متجر بوك ريفويا ريتشي".

"أهلا يا حبيبتي. انتظري لحظة".

ثم سمعته يقول: "سأعود بعد قليل يا سيد فالدين. اجلس وانتظر".

سمعت باباً يفلق، ثم عاد ريتشي يقول:

"أسف. لديّ وغدان أستجوبهما للحصول على معلومات بخصوص حمام

الدم الذي حدث في معمل المخدرات".

قالت سيندي: "أتريد التحدث لاحقاً؟".

قال: "لا، لا مشكلة. إذن، كيف جرى الأمر؟ أعني خطابك".

"سألقيه في غضون بضع دقائق".

قال ريتشي: "ستكونين رائعة. أنا متأكد من هذا".

أرسلت سيندي حبها وقبلاؤها إلى أحبائها في سان فرانسيسكو، ثم سمعت

بوب يقول: "جمهورك ينتظر".

وقفت سيندي أمام منصة صغيرة ورأت الجالسين يصفقون لها مشجعين.

كان الحضور اثنين وعشرين شخصاً، أكبر جمهور تحدثت أمامه. اقتربت من الميكروفون.

قالت: " أهلا بالجميع. أنا سعيدة للغاية برؤيتكم هنا. معكم سيندي توماس، وأود أن أحدثكم عن كتابي *فتاة فيش*. بغض النظر عن الطريقة التي يمكن أن تروا بها الحب بين الرجل والمرأة، فإنه لن يخطر ببال أغلبكم أبداً أن القتل التسلسلي يمكن أن يربط شخصين بوثاق الحب.

أنا هنا لأحدثكم عن راندي فيش وماكي موراليس، القاتلين المتوحشين، وزواجهما الذي أثمر عن طفل، والرابطة القوية التي جمعت بينهما".

الفصل 47

بحلول منتصف الليل، قاد "واحد" شاحنته البيضاء المقدسة بصناديق المخدرات الاصطناعية وأكياس الهيروين باتجاه المكان الذي كان سيقابل فيه رجلاً يدعى سبات.

لم تكن هذه أول مرة يتعامل فيها "واحد" مع سبات. كان سبات رجلاً في منتصف العمر، خبيراً محنكاً وخطيراً للغاية، ويعمل وسيطاً بين موزعي المخدرات في الغرب الأوسط الأمريكي.

كان هدف "واحد" الوحيد الليلة هو التخلص من معظم المخدرات التي يحملها وأخذ ثمنها نقدًا. وكلما فرغ من هذا أسرع، سيكون أكثر سعادة.

تحددت المقابلة في منطقة سكنية في غرب أوكلاند، تحديدًا في منطقة بخليج سان فرانسيسكو معروفة بانتشار الفقر والجريمة.

بعد أن عبر "واحد" جسر سان فرانسيسكو باتجاه أوكلاند، تبع الإشارة إلى غرب ووسط أوكلاند، دون أن يتعدى حدود السرعة المسموح بها أو يخالف القواعد المرورية؛ فأخر شيء كان يريده في العالم هو أن يوقفه رجل المرور. لقد ارتكب ما يكفي من جرائم القتل لهذا اليوم، حتى إن يديه كانتا تهتزان من فرط إطلاق النار.

كان نظام تحديد المواقع يوجهه نحو المنعطفات المطلوبة، وكان من السهل العثور على شارع سيكامور، والمجمع السكني المهجور هناك. كانت المنازل

مغطاة بالقطران، وفي كل مكان تنتشر القمامة والحفر، ورأى في إحدى الزوايا بعض الأشقياء يقفون، ويضايقون بعضهم بعضاً، بحثاً عن مشاجرة. أوقف "واحد" الشاحنة، ثم أخرج البنديقية طراز إم-١٦ من أرضية السيارة ووضعها على المقعد المجاور له. مر بإصبعه تحت ياقته ليخدش الحكمة التي خلفها رذاذ الفلفل الذي تسلس أسفل قناعه.

مر الزمن بطيئاً. لقد تأخر سبات، وأوشك "واحد" على الانصراف والترتيب لمقابلة أخرى في مكان آخر، عندما شاهد شاحنة صغيرة سوداء تتجه نحوه. وقفت الشاحنة على الجانب الآخر من الشارع وأشعلت المصابيح الأمامية مرتين قبل أن توقف المحرك.

رن هاتف "واحد"، فأجاب قائلاً: "تأخرت". قال سبات: "نعم، لكنك ستشكرني على هذا. أنا قادم لرؤيتك الآن". أغلق "واحد" الهاتف، وشاهد سبات يخرج من شاحنته الصغيرة حاملاً حقيبة قماشية كبيرة.

تحدث سبات إليه عبر النافذة المفتوحة. "ما رأيك في هذا؟ لقد أحضرت صبيين معي لحمل البضاعة. لن يستغرق هذا وقتاً يذكر. انظر".

أخذ "واحد" حقيبة المال عبر النافذة المفتوحة، وقال: "هذا لا يعني أنني لا أثق بك".

قال سبات: "لا مشكلة يا صديقي. سأنتظر هناك". عندما عاد سبات إلى شاحنته، فتح "واحد" الحقيبة وانهمك في فحص رزم المال. إن التعامل بالأموال الزائفة انتشر هذه الأيام، وكان من الشائع في عمليات تبادل كهذه أن يتم تزيف معظم النقود ودسها بين أوراق المال الحقيقية.

فتح بعض الرزم، وفحص المال بداخلها تحت ضوء الأشعة فوق البنفسجية، بحثاً عن علامات قد تدل على أن المال مزيف. وفي الوقت نفسه، عدّ المال عدداً مبدئياً، ووجد المبلغ ٢, ١ مليون دولار، وهو المتفق عليه.

عد " واحد " المال مرة ثانية، ثم أعاد ملء الحقيبة، وهاتف سبات. تبادل الرجلان بضع كلمات، ثم رأى " واحد " الشاحنة الصغيرة تتحرك، وتستدير ثم تقف خلف شاحنته البيضاء.

فتح " واحد " قفل السيارة، ليتمكن سبات من فتح الأبواب الخلفية وفحص المخدرات بالطريقة نفسها التي فحص بها " واحد " المال.

عندما اقتنع سبات بجودة البضاعة، قام الشابان اللذان جلبهما معه بنقل الصناديق إلى الشاحنة الصغيرة بكفاءة، ثم عادا إلى داخلها.

انتهت المقايضة بسرعة. ذهب سبات باتجاه مقعد السائق، وقال لـ " واحد " :
 " هناك حديث منتشر عن فوضى في معرض للأثاث "

قال " واحد " : " حقاً؟ لم أسمع شيئاً "

" حسناً يا صديقي. ليكن الرب معك "

قال " واحد " : " ابق على اتصال "

كانت ليلة باردة، لكن " واحد " كان يتعرق بغزارة. لقد قبض ثمن مخدرات ويكرهاوس والآن هي في طريقها إلى كينج فيشر. كان يتوقع أن تنتشر أخبار ما حدث، لكنه لم يكن يبالي بما يقال أو مدى انتشاره طالما أنه لا أحد يعرف من هو.

صاح الأشقياء المتسكعون في الشارع بشيء ما بينما كان يمر بسيارته من أمامهم.

فأشار لهم بحركة بذيئة قبل أن يدرك أنهم كانوا ينبهونه إلى الكشافات الأمامية، فأطفأها، وانطلق على الطريق السريع، متوجهاً إلى منزله.

إنه يستحق ليلة نوم هانئة.

أو على الأقل كان يأمل في هذا.

الفصل 48

جلس رجلان في سيارة مظلمة بشارع تكساس، على بعد منزلين من ناصية شارع ١٨، ومربع سكني من مركز الخدمات. كانت بوتريرو هيل منطقة جميلة تطل على الخليج من أعلى التل، ولكن كل ما كان يمكنك رؤيته في الأسفل هي واجهات المنازل ذات الطراز الفيكتوري المتداعية، وصفوف الأشجار غير المنتظمة، وأسلاك الهواتف المتشابكة في الأعلى.

كان الرجلان في السيارة يراقبان منزلاً بعينه، وهو منزل جذاب ينتمي إلى الطبقة المتوسطة، طلي بالأخضر الفاتح مع أفاريز باللون الأخضر الداكن، وأمامه ممر من الإسمنت يقود إلى الباب الأمامي المصنوع من الخشب غير المطلي.

في منتصف الليل، توقفت سيارة كامري فضية في بقعة مظلمة بين شجرتين متهاكتين، وخرج من السيارة رجل أبيض البشرة داكن الشعر وإن كان الصلع بدأ يزحف على مؤخرة رأسه. كان يرتدي سترة زرقاء داكنة تابعة لشرطة سان فرانسيسكو. وبينما كان يغلق سيارته، رن هاتفه. فمال متكئاً على سيارته وأجاب الاتصال.

بعدها، وضع هاتفه في جيبه، وسار إلى الباب الأمامي، ودخل مستخدماً مفاتيحه. اشتعلت الأضواء في مدخل الطابق السفلي ثم المطبخ. ثم انطفأت، لتشتعل أضواء الطابق العلوي، في الغرفة الأمامية تحديداً، والتي هي على

الأرجح غرفة النوم. خلال نصف الساعة التالية، كان الضوء الوحيد في المنزل هو الضوء الأزرق المنبعث من التلفاز.

ثم انطفأ هذا الضوء أيضاً.

قال أحد الرجلين الماكثين في السيارة لرفيقه: "أنا لا أحب هذه المنازل القديمة. كلما نظرت إليها لا أرى سوى ما تتطلبه من أعمال صيانة".

قال الآخر: "عندما تكون لديك عائلة، سترغب في وجود شرفة في فناء منزلك الخلفي، وحديقة غناء تحيط به، ومكان لإقامة حفلات الشواء. يا إلهي. منذ متى ونحن ننتظر هنا؟".

قال الرجل الأول: "لا تتعجل. بعد أن نرسل تحييتنا للمحقق كالهون وعائلته، يمكننا أن نذهب لتناول الطعام".

قال الرجل الثاني: "أنا مستعد تماماً".

"أمتأكد أنك لا تريد الجلوس هنا وعدّ النجوم؟".

نخر الرجل الثاني ساخرًا. كان على أحدهما تولي الباب الأمامي بينما يتولى الآخر الباب الخلفي.

قال الأول: "أراك في الداخل".

فأجاب الثاني: "لا تلوث ملابسك".

أمسك كل منهما بسلاحه وخرجا من السيارة.

الفصل 49

استيقظت من نوم عميق على صوت زوجي وهو يقول: "ليندسي. حبيبتي. استيقظي".

لكن لماذا؟ لم أكن أسمع صراخًا أو إنذارًا أو نباحًا، ولم تكن هناك أصوات صافرات أو أية أصوات مخيفة أخرى. كنت في السرير وكان الضوء في غرفة النوم يشبه ضوء الفجر، فلماذا كان جو يوقظني؟

فتحت عيني على اتساعهما.

قلت: "أين جولي؟"

"جولي بخير. كل شيء على ما يرام يا عزيزتي".

رقدت على جانبي وتأملت وجه جو محاولة أن أستنتج سبب إيقاظه لي بينما كنت بحاجة للنوم. كان يتطلع إليّ مبتسمًا.

"كم الساعة؟"

"السابعة".

سألته: "أهذا يوم السبت؟"

أجاب: "نعم هذا صحيح. سنذهب أربعتنا في رحلة. أنت، وأنا، وطفلتنا، ومارثا".

قلت: "لا أستطيع الذهاب".

"لقد زودت السيارة بالوقود، وسأذهب الآن لإطعام جولي، والقهوة جاهزة. كل ما عليك فعله هو أن تنهضي، وتركي المفاجأة عليّ".

حملت في جو، وفكرت أن معظم العاملين في المنطقة الجنوبية منهمكون في العمل على قضية عصابة سترات الشرطة الشائكة حتى خلال عطلة نهاية الأسبوع. إلا أنه كان على حق - فقد كنت بحاجة إلى بعض الوقت لإعادة شحن طاقتي.

أرسلت رسالة نصية إلى برادي أخبره فيها بأنني سأخذ إجازة للاعتناء بصحتي العقلية.

زد عليّ برسالة فورية: حقاً؟

إنه يوم واحد فقط.

حسناً، سأعمل مع كونكلين.

بعد نصف ساعة، كانت عائلة موليناري في سيارة جو المرسيدس القديمة الجميلة متجهة نحو الساحل. كان الطريق السريع يمتد بمحاذاة الشاطئ، ما ذكرني من جديد بمدى جمال كاليفورنيا. لا أزعج أنني توقفت عن التفكير في عصابة سترات الشرطة، لكنني أبعدت القضية عن ذهني بما يكفي للاتصال بشقيقتي كات.

توقفنا قليلاً في هاف مون باي، حيث تعيش أختي مع ابنتيها. وسرعان ما كانت الفتاتان تلهوان مع مارثا على الشاطئ، بينما سرنا نحن خلفهم، نرددش عن الجديد في حياتنا، ونأمل أشعة الشمس التي تتلألأ على الساحل.

سألتي كات: "أنت بخير يا ليندسي؟"

أجبت: "نعم بالتأكيد. مشغولة قليلاً كالمعتاد. ماذا عنك؟"

"عندما يظهر الأمير الضفدع، سيكون كل شيء مثاليًا".

ابتسمت كلتانا للأخرى. تذكرت عندما تزوجنا أنا وجوهنا في هاف مون باي منذ فترة ليست طويلة.

أمسكت بيدي أختي وعانقت ابنتيها مودعة، ثم عادت عائلة موليناري إلى داخل السيارة واتجهنا نحو الجنوب. جلست مارثا على حجري وأخرجت رأسها من النافذة، بينما نامت الطفلة في كرسيها خلفنا، وأخذ جويغني مع أغاني الراديو.

كان هذا مذهلاً.

وصلنا إلى وجهتنا، مطعم شادوبروك المبني على تل يطل على نهر سوكيل كريك. وأفضل ما في الأمر، والذي جعل طفلتنا السعيدة تصيح فرحاً، كان التلفريك الذي تحرك بنا من موقف السيارات إلى المطعم ومكننا من رؤية الحدائق الاستوائية والشلالات عبر الزجاج.

كان جو متحمساً للغاية خلال الغداء؛ فقد كان يعمل على القضية التي أطلق عليها "ج.ع.م.ك"، أو جرائم عيد ميلاد كلير. وقد أجرى أبحاثه منقياً في قواعد البيانات بحثاً عن أي شيء مشترك بين جرائم طعن النساء في سان فرانسيسكو يوم الثاني عشر من مايو، وكذلك بينها وبين جرائم القتل وسرقة البنوك والعنف المنزلي، والحوادث المرورية التي كانت لا حصر لها. لكنه رغم ذكائه الشديد وبراعته البوليسية واطلاعه على قواعد البيانات الخاصة بالشرطة، فإنه لم يصل لأي دليل قوي يربط هذه الحوادث بمشتمبه به حقيقي. ولكن هناك حقيقة واضحة.

نحن شريكان ذكيان. لقد أتحت لنا مساحة للتحدث عن أفكارنا، ومقارنة ما عرفناه بالفعل عن النساء الخمس اللاتي طُعنَّ حتى الموت في سان فرانسيسكو في الثاني عشر من مايو على مدار سنوات متعاقبة.

كانت هذه النسوة غريبات عن بعضهن البعض، وحوادثهن كانت بلا شهود، وقضاياهن بقيت دون حل، بل وحتى لم يتم استجواب أي مشتمبه به.

حققنا تقدماً باستخدام تقنية الاستبعاد، وصرنا أنا وجو أكثر اقتناعاً بأن الجرائم الخمس على قائمتنا تمت على يد الشخص نفسه.

لقد حدث شيء مريع لهذا القاتل قبل خمس سنوات جعله يخلد ذكرى هذا اليوم السنوية. وفيما عدا أن يكون غضبه هذا قد انتهى، فإنه كان لا يزال حراً، ومن المنتظر أن يرتكب جرائم جديدة.

الفصل 50

في طريقه إلى المنزل، أوصلني جو إلى مقهى سوزي، وهو المقهى الرسمي لاجتماعات نادي السيدات لجرائم القتل، حيث نلتقي أنا وسيندي وكليير ويوكي أسبوعياً لتبادل الأفكار حول قضاياانا، والشكوى من مصاعب الحياة، والاحتفاء بالأخبار الجيدة بالطبع، كل هذا بينما نتناول المأكولات الكاريبية الساخنة مع الصودا الباردة المنعشة.

أرسلت قبلة إلى جوفي الهواء، ثم اتجهت نحو الضوء الساطع القادم من نوافذ المقهى، وصوت قرع الطبول الخافت، الذي علا بمجرد أن فتحت الباب الأمامي.

كان الشاي الساخن في الإبريق، وحياني مرتادو المكان المعتادون بينما كنت أسير عبر البهو الرئيسي، عابرة الممر الضيق أمام المطبخ، وصولاً إلى الغرفة الخلفية حيث كانت كليير ويوكي تنتظران في مقصورتنا الجلدية الحمراء المريحة.

كانت كليير تخبر يوكي بشيء وتحرك يديها بانفعال، وكانت يوكي تستمع باهتمام بينما جلست إلى جوارها. عانقت الفتاتين، وقالت كليير: "كنت أخبر يوكي عن القضية المريعة التي أعمل عليها".

قلت: "أطلعيني عليها".

أشرت إلى لورين بأنني بحاجة إلى مياه غازية، بينما قالت كلير: "صباح أمس، جلب المسعفون فتاة في الثامنة من عمرها، وأخبرني كبيرهم أن الأم زعمت أنها كانت تحمم الفتاة في الرابعة صباحًا، وذهبت لإحضار منشفة جديدة، وعندما عادت وجدت الفتاة قد غرقت".

قلت: "حمام في الرابعة صباحًا؟".

أجابت كلير: "بالضبط. أخبرنا المسعفون أن الأم زعمت أن الفتاة مفرطة النشاط، وأن الحمّام يهدئها أحيانًا. فحصت الفتاة المسكينة، ولم أجد رغوة في فمها، ولا تجاعيد في أصابعها، ولا سوائل في رئتيها. ولكن شعرها كان مبللًا. فحصتها بدقة ولم أجد كدمات، أو أي شيء".

جاءت لورين بكأس وإبريق من الصودا، وقالت: "أوصيكِ بطبق الجمبري مع صلصة جوز الهند والأرز يا ليندسي".

طلبت طبقًا، فقالت يوكي وكلير في صوت واحد: "ونحن أيضًا"، ثم واصلت كلير قصتها.

"فحصتها بالأشعة السينية على كامل الجسم ولم أجد شيئًا، كل عظامها كانت سليمة. فأرسلت عينة من دمها إلى المختبر، وعادت سلبية، لا مخدرات أو سموم".

قالت يوكي: "بحق السماء. هل كانت تعاني عدوى فيروسية مثلًا؟".

قالت كلير: "كلا. فحصتها لأجل هذا أيضًا، ولكن في أثناء الفحص الداخلي، وجدت بيتزا في معدة الفتاة الصغيرة".

تأملنا هذه المعلومات لبضع لحظات قبل أن تحضر لورين الطعام، فتراجعنا للخلف كي ترص الأطباق، ثم قالت يوكي: "لا تتوقفي يا كلير. استمري".

قالت كلير: "حسنًا. انتظري"، وتناولت قليلًا من الجمبري والأرز، وابتلعت بعض الصودا، ثم مسحت فمها وقالت: "لذلك هاتفت وين يوفراد. أنت تعرفينه يا ليندسي، إنه نائب المنطقة الشمالية. ومنه عرفت أن الأم تعمل في مجال مناف للآداب. وجدنا ثغرات عديدة في قصة الاستحمام في الرابعة صباحًا والبيتزا، لكننا لم نتوصل لسبب وفاة هذه الفتاة الصغيرة.

طلبت من يوفراد أن يحضر الأم ويحقق معها، وأخبرني بعدها أنها حضرت مرتدية زيًا جديدًا، بشعر مصفف، ووجه مصبوغ بمساحيق التجميل. سألتها يوفراد عما حدث لطفلتها، وكان متأكدًا أنها ستقول إنها غرقت.

لكنها بدلاً من ذلك أخذت نفساً عميقاً وأخبرته بما حدث. قالت الأم: كان لديّ عمل بالخارج. كان عميلاً منتظماً، وكنت بحاجة إلى المال. كانت أنيتا تعاني الصرع ولكن نوباتها قلت كثيراً، وعندما كانت تحدث، كنا نتركها على الأرض إلى أن تنتهي النوبة من تلقاء نفسها.

ثم أخبرت الأم يوفراد أن أنيتا ربما نهضت وأكلت شيئاً ثم تعرضت لنوبة، لأنها كانت راقدة على الأرض ميتة عندما عادت هي من عملها. رأت الأم أنها إذا تركتها هناك واتصلت بالشرطة، فإنهم سيحرمونها من بقية أبنائها، لذلك وضعت طفلتها في حوض الاستحمام، واتصلت بالإسعاف.

فكرت لحظتها أنه من حقهم أن يسلبوها أطفالها: إنها أم غير مسؤولة. هذه قضية إهمال جنائي. وسألت يوفراد: وهل حدث أن قالت: "لو كنتُ بقيت في المنزل، كانت ابنتي ستظل الآن على قيد الحياة، أو شيئاً كهذا؟".
لكن يوفراد أجاب: "كلا. لا شيء من هذا القبيل. لم تبد أي ندم على الإطلاق".

وهكذا كتبت في تقريرتي أن أنيتا طفلة مصابة بالصرع، وأن الوفاة تمت بطريقة طبيعية".

قلت: "وهل ستركون هذه المرأة تفلت من العقاب؟".
أجابت كلير: "الأمر متروك للمدعي العام، لكن المحقق يوفراد احتجزها بتهمة إهمال أدى إلى موت".

طعننت كلير قطعة جمبري بشوكتها، ورفعته قائلة بسخرية: "وهذه هي الطريقة التي نغلق بها القضايا في مصلحة الطب الشرعي".

كان عرض كلير ممتازاً، حتى إن يوكي سعلت من شدة الضحك. وبرغم أنها كانت قصة محزنة، فإنه كان من الجيد سماع رنين ضحكات يوكي مجدداً، والتي لم نسمعها منذ فترة طويلة. وهنا رن هاتفها كالعادة.

قال كونكلين: "أسف لمقاطعتك في يوم عطلتك".
"ما المشكلة؟"

"توم كالهون".
"الذي عمل معنا على قضية الهجوم على المتجر الإسباني؟".

أجاب كونكلين بصوت حزين: "نعم. كالهون وعائلته كلها - لقد قتلوا".

الفصل 51

اعتذرت لصديقاتي وحاولت دفع الحساب، لكنهن اعترضن وعانقنني وتركنني أذهب لمهمتي.

التقيت كونكلين على الرصيف في سيارته الفورد برونكو. جلست إلى جواره ووضعت حزام الأمان، بينما شغل هو صافرة الإنذار. وانطلقنا إلى بوتريرو هيل ونحن نقطع منحدراته بأقصى سرعة.

كانت الشمس قد أوشكت على المغيب عندما وصلنا إلى بوتريرو هيل، لكنني أعرف هذا الحي في الظلام. أعرفه جيداً؛ فقد عشت على بعد بضعة شوارع من منزل آل كالهون، وظللت هناك حتى وقوع الحادث الذي احترق فيه منزلنا تماماً قبل بضع سنوات.

انعطفنا من شارع ١٨ باتجاه شارع تكساس، والذي كان مزدحماً وكأن اليوم مهرجان أو عيد. كانت الأضواء تومض من جميع النوافذ في المنطقة، بالإضافة إلى وميض كشافات العشرات من سيارات الشرطة المتكدسة في الشارع. بعد أن أوقفنا سيارتنا بين شاحنتين تتبعان وحدة البحث الجنائي، أظهرنا شارتينا لرجال الشرطة الذين يقفون عند الحاجز الذي يفصل بين الشارع والفناء، وانحنينا تحت الشريط الحاجز، وسرنا باتجاه المنزل الأخضر ذي الطراز الفيكتوري.

عندما وصلنا إلى السلاالم الأمامية، رأيت قبيًا يلوث أضيص النباتات، كما اكتشفنا أنه قد تم إطلاق النار على مقبض الباب وقفله.

قابلنا تشارلي كلابر على عتبة الباب. حتى خلال عطلة نهاية الأسبوع، كان كلابر أنيق الملبس، وكان شعره ممشطًا، وسرواله مكويًا، وبدت سترته وكأنها أتت للتو من المغسلة.

بدا تشارلي مصدومًا تمامًا.

قال: "الوضع شديد السوء".

كلابر هو مدير وحدة الأدلة الجنائية في هانترز بوينت، ولكن قبل أن يرأس فريق البحث الجنائي، كان محققًا في جرائم القتل - بل كان محققًا شديد المهارة في الواقع. كان الأفضل في فحص مسارح الجريمة، دونما استعراض أو إعاقة لعملنا بأية صورة.

كنت على وشك أن أسأله عما اكتشفه عندما رأيت تيد سوانسون يخرج من المطبخ. كان يهز رأسه ويبدو شاحبًا ومصدومًا كما لو أن إحدى ذراعيه قد تم اقتلاعها.

قال متأوها: "هذا شنيع حقًا".

ارتدينا أنا وكونكلين القفازات، والأحذية الواقية فوق أحذيتنا، ودخلنا المطبخ، فرأينا توم كالهون الشرطي السابق بقسم مكافحة السرقات. كان كالهون عارياً، ومقيدًا بالشريط اللاصق بأحد مقاعد المطبخ، وقد تعرض للضرب الشديد، حتى إنني لم أكن سأعرفه لولا رأسه الآخذ في الصلغ. لم يراودني أدنى شك في أنه تعرض للتعذيب لفترة طويلة وعلى يد محترفين. تم كسر جميع أصابعه، وحرق أعضائه الحساسة بالسجائر، ونزع جفنيه، وأخيرًا إطلاق النار على صدغه، وهو التصرف الرحيم الوحيد في كل هذا.

قال سوانسون الذي كان يقف خلفنا: "لم يمت بسرعة. هؤلاء الملاعين عذبوا ماري أيضًا قبل أن يطلقوا النار عليها".

قال كلابر: "وجدنا ماري ملقاة هناك بالقرب من الموقد. وهي في طريقها إلى المشرحة الآن".

سأل كونكلين عن الطفلين، فأجاب سوانسون: "كان بوتش وديفي نائمين عندما تم إطلاق النار عليهما، وغالبًا لم يشعرًا بشيء، أليس كذلك يا تشارلي؟".

"أففق معك. إنهما لم يستيقظا".

قال سوانسون: "كنت أعرف هؤلاء الناس. تناولت العشاء بصحبتهم هنا في الأسبوع الماضي. ما الهدف من كل هذا بحق السماء؟".

بدأ في البكاء، فوضعت يداً على ذراعه وأبلغته خالص عزائي. ثم دخل فاسكيز شريك سوانسون المطبخ، قائلاً: "ممنوع صعود الطابق الثاني أيتها الرقيبة. وحدة التحقيق الجنائي تفحص المكان، وعلينا جميعاً الخروج من هنا وترك أفرادها يباشرون عملهم".

الفصل 52

أخبرت فاسكيز وسوانسون بأننا سنلحق بهم في وقت لاحق، لكنني أردت التحدث مع كلابر أولاً.

فُتح الباب الأمامي وأغلق ثانية، وظللت أنا وكونكلين وحدنا في غرفة معيشة مضاءة بأنوار ساطعة بينما راح أفراد وحدة البحث الجنائي يلتقطون الصور، وينثرون مساحيقهم بحثاً عن البصمات، وأي آثار أخرى.

كان عليّ أنا وكونكلين تحويل كل هذا إلى قصة منطقية، شيء يفسر ما بدا لنا غير قابل للتفسير.

قال كونكلين: "ما رأيك فيما حدث هنا يا تشارلي؟"

قال: "رأيي؟ أتى بعض الرجال وكانوا يريدون شيئاً محدداً، وعلى استعداد لتعذيب وقتل أربعة أشخاص من أجل الحصول عليه. ماذا أرادوا؟ لا أعرف. هل حصلوا عليه؟ لا أعرف أيضاً. لم تكن سرقة على كل حال. فكل شيء في مكانه. كما أن هناك مبلغاً صغيراً ومجوهرات لا تزال على منضدة الزينة في غرفة النوم."

لم يكن عليه أن يخبرنا بأن نكون حذرين. تتبعنا خطواته، واكتشفنا أنه قد تم إطلاق النار على قفل الباب الخلفي وكذلك الأمامي، ما يعني أن من هاجم المنزل رجلاً على الأقل.

عاد الطبيب الشرعي د. جيرمانوك إلى المنزل وأخبرني أنه سيأخذ جثة توم كالهون إلى مكتب الطب الشرعي إذا كان هذا مسموحًا، فقال كلابر: "لا مانع؛ فقد حصلنا على ما نحتاج إليه".

ثم قال كلابر لنا أنا وشريكي: "لدى الزوجة بقايا شريط لاصق على معصمها وكاحليها وفوق فمها، ما يعني أنها قيدت بالشريط اللاصق فوق مقعد هي أيضًا. أظن أنهم حرروها وبدأوا تعذيبها وضربها أمام زوجها بينما كان لا يزال على قيد الحياة".

ظللت أردد: "أوه، يا إلهي"، وبدأ لي كونكلين في غاية الأسى والغضب. طلبت من كلابر أن يكمل حديثه.

قال كلابر: "إليكما كيف وقع الاعتداء في الغالب. كان أفراد العائلة في الطابق العلوي، نائمين ربما. أطلق المهاجمون النار على الأقفال ودخلوا. وربما يكون كالهون قد سمعهم ونزل إلى الطابق السفلي".

قلت له: "كان مسلحًا بالطبع".

قال: "عثرنا على مسدسه في غرفة المعيشة، وكان محشوًا بالكامل. لقد غلفناه وصار جاهزًا لفحصه في المختبر".

قلت: "إذن، نزل كالهون الدرج بسلاحه، لكنه لم يطلق النار؟"

قال: "لقد فاقت أسلحتهم سلاحه. غالبًا كان يحاول التفاوض. أتخيل أنه قال لهم شيئًا من قبيل: "أخرجوا من هنا. تستطيعون الإفلات؛ فلم يحدث شيء بعد"، وربما استدرجه المهاجمون للتفاوض معهم".

قال كونكلين: "وربما قالوا له: تعال إلى المطبخ ودعنا نتحدث، وسنترك عائلتك وشأنها".

قال كلابر: "نعم شيء كهذا. ثم ربما نزلت الزوجة الدرج".

قال كونكلين: "نعم. فأخذوا سلاح كالهون، وأدخلوه هو وزوجته المطبخ".

قلت متخيلة المشهد: "يا إلهي"، أي رعب عاشاه؟ تخيلت المهاجمين يطلبون من الزوجين خلع ملابسهما. كان عليها أن تقيد زوجها على المقعد، ومن ثم تعين على أحد المهاجمين فعل الشيء نفسه معها.

بتخيل الخطوة التالية، فهمت أن السيدة كالهون تعرضت للتعذيب لتحفيز كالهون على منحهم ما يريدون. ماذا كانوا يريدون؟ هل أعطاهم كالهون إياه؟

تبعنا كلابر إلى الطابق العلوي حيث غرف النوم، ورأينا الملاءات المنقوعة بالدماء على السرير ذي الطابقين؛ حيث أطلق المهاجمون النار على الصبيين في أثناء نومهما. كانا الآن في أكياس الجثث في الطريق إلى المشرحة مع والديهما. وقفت أنا وشريكي في المدخل الأمامي المفتوح، والأضواء تومض بالأحمر والأزرق خلفنا، وشكرنا تشارلي على الجولة.

لم يكن عليه أن يقول: "اقبضوا على هؤلاء الأوغاد"، ولم نقل: "اتصل بنا إذا جد جديد". كنا نعرف ما يجب القيام به. كانت معرفة ملابس قتل كالهون هي المهمة الأولى. كل شرطي في مقر قيادة الشرطة سيعمل على هذا إلى أن يتم العثور على قتلة آل كالهون، وسيستمرون في العمل طوال الليل حتى ينتهوا.

لكن لم يكن هناك شيء نفعله أنا أو شريكي في هذا المنزل – ليس الليلة على الأقل.

الفصل 53

عندما دخلت شقتنا وركلت حدائلي، وجدت التلفاز مفتوحاً على برنامج كوميدي لجيمي فالون، لكنني شعرت بأنني لم أعد المرأة التي قضت الصباح بصحبة كلبتها، والتي تحدثت مع أختها ولاعبت ابنتيها، والتي قضت وقتاً ممتعاً مع زوجها وطفلتها، والتي لم تتوقف عن الضحك بينما كانت تتناول وجبة إيطالية لذيذة مع الصودا برفقة صديقتها العزيزتين.

أطلعت زوجي على ما حدث من تعذيب وقتل للشرطي وعائلته، وقبلت بامتنان كأس العصير الذي عرضه عليّ وتديك الرقبة الذي قدمه لي. ثم أمسكت بالهاتف. كانت مكالمتي الأولى مع د. جيرمانوك، وتلتها مكالمة جماعية مع برادي وكونكلين. هاتفت بعدها تيد سوانسون، الذي لم يكن منغمساً في القضية عاطفياً فحسب، بل كان أحد أفراد فرقة مكافحة السرقات، وعمل مع فاسكيز وكالهنون على قضية عصابة سترات الشرطة.

عندما حصلت على جميع المعلومات المتاحة، اتصلت بجاكوبي، رئيسي وصديقي العزيز وشريكي السابق، وأطلعته على المستجدات. كان يعرف بالفعل بعض تفاصيل مأساة كالهنون، فأخبرته بما تبقى.

قلت لجاكوبي: "وجدنا مجموعة من أكياس القمامة على طاولة المطبخ. أعتقد أن القتلة غيروا ملابسهم وأخذوا الملابس الملوثة بالدماء معهم، بالإضافة إلى أعقاب السجائر التي دخنوها، وفوارغ الرصاص، والأدوات الحادة".

قال جاكوبي: "وأظن أنه ليست هناك بصمات أو عينات حمض نووي".
قلت: "لا شيء حتى الآن".

انطلق من فم جاكوبي سيل من الشتائم التي لم أسمعها من قبل. وكان يقول إن برامج الجريمة التليفزيونية هي التي علّمت المجرمين كيف يتصرفون وعرفتهم بما لا ينبغي فعله.

قلت: "لقد تعلموا أيضًا من التجربة العملية. لقد كانت عملية دقيقة للغاية".
تركت جاكوبي يسب لبعض الوقت، ثم تمنيت له ليلة طيبة، لكنني عندما دخلت فراشي أخيرًا، لم أستطع النوم.

كنت أنظم القضية في ذهني، وأعد نفسي لاجتماع القسم في الصباح — راودتني كل هذه الأفكار بينما كنت أقي رأسي على صدر زوجي، وأستمع إلى غطيته الخافت وهو نائم. ذهبت أفكاري إلى منزل كالهون، حيث كان أفراد الأسرة ينامون بسلام على أسرّتهم.

تخيلت الأشخاص أنفسهم يقتحمون عشنا الهادئ في شارع ليك، وتخيلت صوت إطلاق النار على الأبواب، فأمسكت بمسدسي، ولكنه لم يطلق نارًا ولله الحمد.

أصبح النوم حلمًا بعيد المنال الآن.

عندما استيقظت جولي في الثالثة، سرت بها أهدهدها في غرفة المعيشة، ثم نظرت من النافذة لتأكد أنه ليس هناك شخص يراقبنا داخل سيارة متوقفة. في السادسة اصطحبت مارثا للخارج وركضنا لبرهة، وبحلول السابعة والرابع كنت على مكثبي في قسم مكافحة جرائم القتل.

وصل كونكلين بعد بضع دقائق. علق سترته خلف مقعده وقال: "رأيت حلمًا".
نظرت إليه. لم يكن يمزح.

"استيقظت وأنا أفكر في أن هناك علاقة بين ما حدث لكالهون وإطلاق النار على ويكر هاوس".

سألته: "وما العلاقة؟"

"ما زلت أفكر في الأمر".

"حسنًا. إن عقلك الباطن هو من أنشأ هذه العلاقة. ربما بسبب جميع تلك الجثث وكل هذه الدماء".

قال شريكى: "ربما، ولكنى أظن أن هناك رابطاً خفياً بين هذين الأمرين".
 فى ذلك الحين، تلقى ريتشى مكالمة من سيندى، ثم ظهر برادى مكفهراً،
 وقال لى: "يمكنك إطلاع الجميع على ما حدث فى تمام الساعة الثامنة،
 اتفقنا؟".
 "لا مشكلة".

كانت الغرفة تزخر بأفراد الشرطة. جلس بعضهم خلف مكاتبهم، بينما
 استقر آخرون على مقاعد إضافية، ووقف الباقون صفوفاً فى الخلف. كانت
 الغرفة مليئة بالمناوبين النهاريين من فرق مكافحة جرائم القتل، والمخدرات،
 والسرقة.

وقف سوانسون وفاسكيز فى مقدمة الغرفة معى، وقدمتهما إلى الزملاء. ثم
 أخبرت حوالى ستين شرطياً بما نعرفه عما حدث فى البيت الأخضر ذى الطراز
 الفيكتوري بشارع تكساس.
 وأخيراً، وزع برادى المهام، وذهبنا للعمل.

الفصل 54 مكتبة t.me/t_pdf

اصطحبت أنا وكونكلين سوانسون وفاسكيز لغرفة الاستجواب رقم ٢. عندما أصبحت قهوتنا أماننا، واستقرنا، بدأت بقولي: "أنفهم الشعور المرعب الذي تمران به، ولكننا بحاجة إلى كل شيء وأي شيء يمكن أن يساعدنا في حل قضية آل كالهون. أي شيء سمعتماه أو تبادر إليكما حول احتمالية وجود أعداء، أو خلافات، أو مشكلات مع المخبرين، أو معاملات تجارية مشبوهة، أو حتى مجرد عراق على مكان ركن السيارة. لا يهم كم يبدو أي من هذا غير محتمل بالنسبة لكم".

منعني سوانسون عن الاسترسال قائلاً: "فهمنا يا بوكسر. اسألني وسنجيبك. نحن بحاجة إلى حل لهذه القضية، ونعتمد عليك في هذا".
تأكد كونكلين من أن الكاميرا تعمل، ثم جلس بجانبني قائلاً: "للعلم فقط. نحن نسجل المقابلة".

ضم فاسكيز قبضته وقال: "لم يكن كالهون شرطياً فاسداً. كان شخصاً طيباً، وشرطياً صالحاً".
أومأت برأسي، وقال كونكلين: "أخبرنا بما تعرفه عنه، وسنطرح أسئلتنا حين يستدعي الأمر".

تهدد سوانسون وقال: "انتقل كالهون من شرطة لوس أنجلوس إلينا منذ حوالي عامين، وكانت سمعته الطيبة تسبقه. كان شريكاً لكايل روبرتسون، الذي

انضم إلى قسم مكافحة السرقات. لا أتذكر متى حدث هذا تحديداً، ولكنه بدأ منذ قضية الطوفان تقريباً. عليكما التحقيق مع روبرتسون؛ فقد كانا مقربين".
 أومأت برأسي، كنا سنقابل روبرتسون بالفعل بعد قليل.
 قال فاسكيز: "كان كالهون شرطياً صالحاً، أراد أن يعمل بنزاهة. وإن كان هناك من عيب فيه، فربما كان الحماس الزائد".
 سألته: "ماذا تعني؟".

"يمكن أن نقول إنه كان لا يأخذ الأمور بالجدية المناسبة لشرطي ذي خبرة في العمل. ربما لم يكن صلباً أو روتينياً بما يكفي؛ لكن كالهون كان أمامه مستقبل واعد في الشرطة".

سأل كونكلين: "كيف كان مزاجه مؤخراً؟ أكان هناك شيء يضايقه؟".
 قال سوانسون: "لم ألحظ شيئاً كهذا".
 سألت: "أكان هناك من يود الانتقام منه، مثل مجرم ألقى القبض عليه مثلاً؟".

قال سوانسون: "عندما تناولت العشاء في منزله الأربعة الماضي، كان في مزاج طيب. أخبرني أنه هو وماري يدخران كل قرش لأجل مصاريف جامعة الولدين في المستقبل. كان حديثاً تقليدياً من أحاديث العشاء، حتى إننا التقطنا بعض الصور معاً".

استمرت المقابلة لمدة نصف ساعة أخرى. وبمرور الوقت تراكمت أكواب القهوة الفارغة في سلة المهملات، لكن الخيوط التي كانت لدينا كانت شبه منعدمة، كما أنه لم تكن هناك أية صلة تفسر سبب تعذيب كالهون أو توضح ما أرادته معذوبه منه بالضبط.

ثم حان وقت لقائنا أنا وكونكلين بكاييل روبرتسون، الذي ظل شريك كالهون لفترة طويلة. كنا قد التقينا روبرتسون مع كالهون خلال الاستجوابات التي أجريناها بعد مقتل مايا بيريز.

كان روبرتسون في الخمسين غالباً، لكنه بدأ أكبر سنّاً؛ فقد كان وجهه مليئاً بالتجاعيد، وشعره رمادياً وخفيفاً. كان حريصاً على المساعدة، لكن من الواضح أنه كان متأثراً بشدة بما حدث، كما قال إن كالهون لم يذكر له أي شيء على الإطلاق من شأنه أن يدفعه للتفكير بأن هناك من قد يرغب في قتله.

قال روبرتسون: "إنه لغز حقاً، ولا يمكنني تفسيره بأي شكل".

قال كونكلين: "كانت فرقة مكافحة المخدرات تعمل على بعض جرائم الشوارع، وتبحث عن بعض رجال الشرطة الذين يشتبه أن يكونوا ضمن عصابة تستولي على المال والمخدرات من تجار المخدرات. أيمن أن يكون كالهون من ضمن هؤلاء؟".

هز روبرتسون رأسه بقوة قائلاً: "كان شرطياً عادياً، وإن لم يكن شرطياً، فربما كان قد صار رجل إطفاء أو مدرباً رياضياً في مدرسة ثانوية. لم أسمع قط يتحدث عن المال. لقد كان يدخل السجائر، وكان هذا هو إدمانه الوحيد. لا أجد لحمام الدم الذي حدث أي معنى. ربما ذهب القتل إلى البيت الخطأ وقتلوا الأشخاص الخطأ؛ فقد حدثت أشياء أكثر جنوناً من قبل".

الفصل 55

ذهبت أنا وكونكلين إلى مكتب برادي بملفاتنا المكتظة ونظرياتنا الواهية. لقد أجرينا مقابلات مع جيران آل كالهون، ووجدنا أنهم كانوا نائمين الليلة الماضية عندما تعرضت العائلة للتعذيب وإطلاق النار. وهكذا لم يروا شيئاً ولم يسمعوا شيئاً، وصدموا تماماً وكانوا مرعوبين.

كما أجرينا مقابلات مع رجال شرطة عملوا مع كالهون، وكانوا كذلك في حالة عدم تصديق مطلق. كان كالهون شرطياً صالحاً، وكان يحب عمله، ربما أكثر من اللازم – لقد عزوا ذلك إلى صغر سنه وطبيعته الرومانسية. أخبرنا برادي أن أقرب رجال الشرطة إليه، وهم سوانسون وفاسكيز وروبرتسون، لم تكن لديهم أدنى فكرة عن سبب تعرضه هو وعائلته للتعذيب والقتل.

استمع برادي إلى ما أخبرناه به، ثم قال: "إليكم ما توصلت إليه: في الأسبوعين الماضيين وقعت جرائم سرقة لها علاقة بالمخدرات تفوق جرائم العام الماضي بأكمله".

ثم وضع ورقة على المنضدة وأدارها حتى أستطيع أنا وكونكلين رؤيتها. كانت قائمة كتبها بخط يده بالجرائم التابعة لقسمنا التي وقعت في الأسبوعين الأخيرين. غرز برادي إصبعه في الورقة وبدأ يقرأها بصوت عال.

"عمليتا سطو على مكتبين لصرف الشيكات. حالة وفاة واحدة".

"ثم عملية سطو على متجر إسباني، ومقتل صاحبه".

"ثم سطو آخر على مكتب لصرف الشيكات، وهذه المرة، هناك ثلاثة قتلى، لصوص يرتدون سترات شرطة سان فرانسيسكو. وتبين أنهم ليسوا من رجال الشرطة. مجرد أغبياء مقلدون سمعوا عن جرائم عصابة سترات الشرطة، لكنهم لم يعرفوا كيف ينفذون جريمتهم".

"ثم مجزرة في ويكر هاوس، بحصيلة سبعة قتلى، وغالبًا على يد العصابة نفسها".

قال برادي: "أما عن قسم المخدرات، فقد تم إطلاق النار على ستة تجار مخدرات وسرقتهم في أوكار مخدرات وفي الشارع. الشائعات تقول إن رجال الشرطة هم من يفعلون ذلك. إنه نمط عشوائي، لكنه يظل نمطًا رغم ذلك".

ظللنا أنا وكونكلين نومي برأسينا بحركات آلية.

استمر برادي قائلاً: "وغالبًا سُرقت كميات هائلة من المخدرات من ويكر هاوس، كميات تقدر بملايين الدولارات، وربما أغضب هذا أحدهم. يجعلني هذا أعتقد أن العصابة التي ترتدي سترات شرطة سان فرانسيسكو تم تشكيلها كمزحة لا أكثر.

"والمزحة ناجحة بالفعل؛ فهناك عصابة تتنكر في زي رجال الشرطة، ويبدو أنها مهتمة خصوصًا بسرقة أوكار المخدرات ومكاتب صرف الشيكات. الأمر يشبه الحرب: رجال الشرطة ضد عصابات المخدرات. واني لأتساءل عما إذا كان كينج فيشر متورطًا في هذا؛ فنفوذه لا يعرف حدودًا، ويمكن أن يصبح شديد العنف. اقرأوا ملفه. إنه يقوم بجرائم مثيرة للغثيان، ويعذب الناس لأجل المتعة، فهو شخص سادي للغاية. يجب أن تضعنا كينج فيشر في اعتباركما".

كان كينج فيشر تاجر مخدرات سيئ السمعة، يقال إنه يعيش في جنوب كاليفورنيا، على الرغم من أنه لا أحد متأكد من هذا على وجه اليقين، ولكن هناك أدلة كثيرة على إمبراطوريته الخاصة بتصنيع وتوزيع المخدرات. يمكن أن يكون حوت المخدرات هذا متورطًا بطريقة أو بأخرى في عمليات السرقة والقتل بسان فرانسيسكو؟

لم يكن برادي قد انتهى بعد. مشط شعره بأصابعه، ثم حوّل بصره إلى شاشة الحاسوب وضغط على بعض المفاتيح.

ظل هكذا لفترة حتى ظننت أنه ربما نسي أمرنا، لكنه قال فجأة: "ربما أحاول ربط الأحداث التي لا علاقة لبعضها ببعض عبر وضع القوائم، وإعادة ترتيب الوقائع، آملاً أن نجد ما يفيد، أو ربما هناك شيء يحدث ولا يمكننا وضع أيدينا عليه.

لكننا لن نتوقف حتى نفعل".

الجزء الثاني

الفصل 56

كانت قاعة المحكمة (٥) صغيرة، ومبطنة بخشب الكرز، الذي صنعت منه أيضًا جميع المقاعد والطاولات بداخلها. كان القاضي يميل برأسه متحدثًا إلى كاتبه، ومن خلفه برز ختم ولاية كاليفورنيا الذهبي، والذي كان يحيط به علمان: علم الولايات المتحدة، وعلم ولاية كاليفورنيا.

كانت الغرفة مكتظة، لكن جلسة المحكمة لم تكن قد بدأت بعد. جلست يوكي ومساعدتها ناتالي فاترمان في المكان المخصص لمحامي الادعاء. راجعت يوكي الملاحظات الموضوعية أمامها، وأعدت التدرج على مرافعتها الافتتاحية بينها وبين نفسها للمرة الألف.

همست ناتالي الجالسة بجانبها: "لا أستطيع الانتظار".

قالت يوكي: "وأنا على عكسك. قد أكون ذئبة، لكنه أسد، يانات. أسد غاضب".

قالت ناتالي: "فكرة جديدة ليوم جديد".

قالت يوكي: "لا تنشري هذه الفكرة على موقع تويتر".

تمنت يوكي لو أنها كانت تشعر بالسعادة مثل ناتالي. كانت مساعدتها البالغة من العمر ٤٦ عامًا قد تخرجت حديثًا في كلية الحقوق، بعد أن كبر أبنائها واستقل كل منهم بحياته، وكذلك بعد أن هجرها زوجها. وفي النهاية حصلت ناتالي على شهادة في القانون ظلت تؤجلها لخمسة وعشرين عامًا. كانت

ناتالي ذكية ومتقفة ومنظمة، واستطاعت النجاح في اختبارات القبول بنقابة المحامين من المحاولة الأولى، وصارت جاهزة للحياة العملية. فكما قالت: "لا يمكنك أن تتعلم الكثير من الحياة الدراسية".

لم يكن لدى ناتالي أي شيء تخسره عدا عالمها الجديد.

أما يوكي فكانت سمعتها على المحك، وإذا خسرت هذه القضية، فإن الوسط كله لن ينسى أنه في قضية كورديل ضد مدينة سان فرانسيسكو، رفعت يوكي كاستيلانو دعوى ضد شرطة سان فرانسيسكو، لكنها دُمِرت تدميراً.

على الجانب الآخر، بدأ الدفاع هادئاً كالغياه الساكنة، وكان لين باريزي، يجلس مهيباً واثقاً بنفسه، وإلى جانبه جلس المحاميان الشريكان بمكتب مورهاوس أند روجرز. كان أحدهما هو الأسطورة كولينز رابابورت، وكان هو المحامي المساعد، وبما أن باريزي هو المستشار المساعد في مكتب المحاماة، فكان هو من سيتولى المرافعات وسيخوض كل جدال محتوم معها.

ارتدت يوكي الأحمر اليوم. كان لوناً مؤثراً يقتضي من صاحبه عملاً لا يقل تأثيراً. لا يمكنك أن تراوغ وأنت ترتدي الأحمر، بل عليك أن تكون حاسماً ومباشراً وقاطعاً، وكانت هذه خطتها.

اضرب أولاً، تكن ضربتك أشد تأثيراً.

أما ناتالي فكانت ترتدي سترة وبنطالاً باللون الأسود ترجع موضتهما إلى عشرين عاماً مضت، لكن كان هذا لا بأس به. فكلتاها هنا لتمثيل الضحايا. كانتا تتوليان قضايا الفقراء والمضطهدين، وكانت ملابس ناتالي تكمل هذه الصورة.

بالنسبة إلى باريزي، فقد كان يرتدي بذلة خضراء جعلته يبدو كأنه سيصاب بأزمة قلبية في أي وقت.

ابتسمت يوكي لنفسها.

كانت ترحب بأي فكرة ستساعدها خلال معركتها.

لقد عملت هي وناتالي بجهد على الاستعداد لهذه المحاكمة وقضت يومين تتدرب على مرافعتها الافتتاحية. كانت تعرف ما عليها القيام به، وما عليها أن تقوله، وإذا تدربت أكثر من ذلك، فإن مشاعرهما الحقيقية تجاه عائلة كورديل قد تختفي وراء العبارات التي ستفقد حرارتها مع الإفراط في التدريب.

ولم تكن تريد ذلك طبعاً.

كانت يوكي غارقة في أفكارها عندما شعرت بلمسة على كتفها. التفتت لترى السيدة كورديل تمنحها ابتسامة مصحوبة بالدموع. ضغطت يوكي على يدها وابتسمت لبقية عائلة كورديل الجالسين خلفها، وكانوا ١١ فردًا بالضبط. كانت يوكي هنا اليوم من أجلهم، من أجل بيا ومايكل كورديل، ومن أجل جد آرون-ري وأبناء عمومته وأصدقائه، الذين كانوا يعتمدون عليها لتحقيق العدالة للراحل آرون-ري.

عادت تنظر إلى مقدمة القاعة عندما انتهى القاضي جون كويرك من التحدث إلى كاتبه.

كانت معجبة بالقاضي كويرك. على الرغم من كم البائسين الذين تعامل معهم خلال العشرين عامًا التي عمل قاضيًا بها، فقد وجدته شخصًا عطوفًا. لقد أظهر أنه رغم منصبه، كان يتفهم جيدًا دوافع ونقاط ضعف كل شخصية.

تري، هل سيكون هذا الكرم معها أم ضدها؟
والآن أعلن حاجب المحكمة انعقاد الجلسة. راقبت يوكي هيئة المحلفين يدخلون عبر باب جانبي ويتخذون مقاعدهم، وتمنت لو كان هناك عدد أكبر من الأشخاص الملونين ضمن هيئة المحلفين، لكن هكذا كان الأمر. رحب القاضي كويرك بهيئة المحلفين وأمضى بعض الوقت في منحهم التعليمات والإجابة على أسئلتهم. ثم نظر إليها بعينيه اللتين تغطيهما نظارة وقال:

"سيدة كاستيلانو، هل أنت مستعدة للبدء؟"

"نعم، سيدي القاضي".

قالت ناتالي: "أذهبي واقضي عليهم"، بنبرة منحت يوكي بعض الطمأنينة. سمعت يوكي صوت بعض الضحكات، لكنها نهضت وسارت بنشاط إلى المنصة في وسط القاعة.

الفصل 57

عندما وقفت يوكي خلف المنصة، شعرت بالدفع يغمرها. كان قلبها وغدها الكظرية يمنحونها طاقة تفوق ما تحتاج إليه بالفعل. لكنها استجمعت شتات نفسها ورفعت عينيها وقالت للمحلفين: "صباح الخير جميعاً."

أقف أمامكم اليوم لكي أمثل عائلة آرون-ري كورديل، صبي كان في الخامسة عشرة من عمره وبمعدل ذكاء يقل عن المتوسط. هذا الصبي تم إلقاء القبض عليه، وترويعه على يد شرطيين محنكين حرماه من النوم لمدة ست عشرة ساعة، وكذبا عليه بخصوص حقه في الاستعانة بمحام، وأجبراه على الاعتراف بجريمة لم يرتكبها. وبعد إجباره على اعتراف كاذب، احتُجز آرون-ري وقُتل بينما كان ينتظر المحاكمة.

لماذا أجبر آرون-ري على الاعتراف؟ لماذا كان عليه أن يموت؟

لأن الشرطة لم يكن لديها شهود، ولكن بما أنه كان هناك مشتبه به، كان عليهم التأكد من أنهم أوقعوا به، وهذا هو ما فعلوه."

توقفت يوكي قليلاً لتتأكد من استجواذها على انتباه المحلفين، ثم استمرت قائلة: "هذا هو ما حدث في فبراير من هذا العام: اعتاد آرون-ري الذهاب إلى وكر المخدرات بعد المدرسة. لو كان يعيش في حي مختلف، ربما كان سيقضي ساعات ما بعد المدرسة في صالة الألعاب الرياضية أو في منزل أحد الأصدقاء، لكن وكر المخدرات كان على بعد مربع سكني واحد من البيت الذي

عاش فيه مع والديه، وبالنسبة له، كان المكان الذي ينتظر فيه لحين موعد عودة أهله من العمل.

ستستمعون إلى شهود يخبرونكم أن آرون—ري لم يتعاط المخدرات. كان فقط يحب التواجد بصحبة الكبار في هذا المكان، الذين كانوا يضايقونه أحياناً، ويضحكونه أحياناً، ويرسلونه لجلب السجائر أو يتخذون منه مادة للتسلية.

في هذا اليوم بالذات، كان آرون—ري في الطابق العلوي بوكر المخدرات الكائن في ٤٦٣ شارع دودج بلايس، عندما سرق مجهولون ثلاثة تجار مخدرات وقتلوهم رمياً بالرصاص، ثم فروا هاربين، هم وبقية الأشخاص الذين كانوا هناك في ذلك الوقت.

كان معدل ذكاء آرون—ري سبعين نقطة فقط، أي أقل بثلاثين نقطة من المتوسط. كان آرون—ري ساذجاً، ويثق في الناس بسهولة كالأطفال، لكنه كان فضولياً للغاية أيضاً.

بعد حادث إطلاق النار، ركض العشرات على الدرج، وركض آرون—ري معهم. وكما قال للشرطة وآخرين، كان في طريقه للخروج من المنزل عندما وجد مسدساً ملقى على الدرج، فوضعه في حزام سرواله، مثلما يفعل الكبار. ظل يركض والسلاح في حوزته شرقاً باتجاه شارع تورك، مجرد صبي مذعور في الخامسة عشرة من عمره.

شاهد شرطيان كانا في دورية بالشارع آرون—ري يركض على امتداد شارع تورك، فأطلقا صفارة الإنذار وأضاءا الكشافات، وطاردا الفتى حتى أمسكا به.

وماذا قال آرون—ري أيها السيدات والسادة؟
قال الصبي: "أنا لم أفعل ذلك". ستسمعون الشرطيين يخبرانكم أنه حين سألاه عن هذا الذي لم يفعله، أجاب أنه لم يطلق النار على الرجال الثلاثة في وكر المخدرات.

لكنهما اقتادا آرون—ري إلى قسم الشرطة لاستجوابه، حيث انتهز محققان كبيران في قسم المخدرات الفرصة لحل ثلاث جرائم قتل بأسهل طريقة ممكنة. كان آرون—ري محدود الذكاء، وساذجاً، ورهن الاعتقال.

أكثر من نصف النهار ومعظم الليل، ظل آرون—ري كورديل ينكر مرة بعد أخرى أنه أطلق النار على أي شخص. ولكن كما سترون على شريط الفيديو، استطاع المحققان ويتني وبراند إقناع آرون—ري بالتنازل عن حقه في الاستعانة بمحام وفي طلب حضور والديه. لقد ضايقاه، وتملقاه، وظلا يكذبان عليه حتى قال الصبي المرتبك في نهاية الأمر: لقد فعلتها.

بمجرد أن قدم آرون—ري هذا الاعتراف الكاذب، احتجز في انتظار المحاكمة، ثم قُتل بعد ذلك في حمام السجن. ولا نتمنى سوى أن يكون قد مات ميتة سريعة دون ألم".

ثم قالت يوكي: "هذا هو آرون—ري"، ورفعت صورة كان موكلها القتل يحتضن فيها شقيقته الرضيعة. كان صبيًا لطيفًا، وأظهرت تعابير وجهه مدى حبه لأخته.

استمرت يوكي تقول: "كان آرون—ري صبيًا لطيفًا، وكان بريئًا. لم يكن بإمكانه قتل ثلاثة تجار مخدرات محنكين، ولم يفعل. لم يكن يعرف كيف يحشو مسدسًا ويطلق منه النار. وعلاوة على ذلك، فإن الشرطة خلال جميع ساعات الاستجواب هذه، لم تفحص يدي آرون—ري أو ملابسه للتأكد من وجود آثار للبارود، ولم تحضر الشرطة أيًا من المترددين على الوكر للاستجواب، ولم تحقق مع أي مشتبه به آخر. كان آرون—ري الوحيد الذي احتاجوا إليه.

في نهاية هذه المحاكمة، سيطلب منكم أن تقرروا إذا ما كان اعتراف آرون—ري كورديل تم بالإكراه. إذا كان كذلك، فهذا لم يكن اعترافًا، ويجب أن تتحمل شرطة ومدينة سان فرانسيسكو المسؤولية كاملة عن وفاة هذا الصبي القاسية وغير المبررة".

الفصل 58

نهض باريزي بتناقل، وسار مباشرة إلى ركن هيئة المحلفين متجاهلاً المنصة. ابتسم إليهم وحياهم، ثم تحدث قليلاً حول أهمية عمل هيئة المحلفين، مضيفاً أنه بصفته المدعي العام لمدينة سان فرانسيسكو، لم يكن سيتمكن من القيام بعمله دون مساعدة هؤلاء الأشخاص الطيبين على التوصل للأحكام الصائبة في محاكمات كهذه. ثم تحدث عن أهمية التأكد من إنفاذ العدالة دائماً.

كانت يوكي تشاهده يلقي خطابه، وعقلها محتار بين مشاعرها الطيبة تجاه لين باريزي، بعد خمس سنوات من العمل معه والتعلم منه ودعمه المتواصل لها بصفقتها مساعد المدعي العام، وبين أفكارها الجديدة التي لم تعتد بعد على اعتبار لين عدوها، وهو ما كان عليه بالتأكيد.

علاوة على ذلك، جعلها سلوك لين الهادئ وخطابه المتزن تشعر بأن مرافعتها كانت انفعالية وشبه هستيرية.

حتى ناتالي بدت مأخوذة تماماً بشخصية باريزي.

وضع لين يده على الحاجز وسار بامتداده، وأبقى عينيه متصلتين بعيون المحلفين بينما قال: "يجب أن أشيد بمحامية الخصم لهذه الصورة الجميلة التي قدمتها عن آرون-ري كورديل، لكنني آسف على إخباركم أنه لم يكن هذا الشخص البريء."

كان آرون-ري يتسكع في وكر المخدرات لنفس السبب الذي يجعل أي مدمن آخر يفعل هذا، وهو تعاطي المخدرات. لم يكن يذهب هناك بعد المدرسة فحسب، بل كان يذهب هناك بدلاً من الذهاب إلى المدرسة. على الأقل، في معظم الأيام.

ويجب أن أقول إن السيدة كاستيلانو ليس لديها أدنى فكرة عما إذا كان آرون-ري قد التقط سلاح الجريمة من على الدرج أثناء مغادرته وكر المخدرات، أم داخل وكر المخدرات، أم أن هناك مَنْ أعطاه بضعة دولارات وطلب منه أخذ السلاح وإطلاق النار على هؤلاء الرجال. هذا هو ما فعله الصبي، لكنني أعتقد أن كاميرات المراقبة كانت معطلة هناك في ذلك اليوم". ضحك المحلفون - لقد كسبهم إلى صفة.

واصل باريزي قائلاً: "لم يتقدم أحد ليقول إنه رأى ما حدث داخل وكر المخدرات، سأتفق مع السيدة كاستيلانو على نقطة عدم إجراء اختبار آثار البارود على آرون-ري، وأن هذا كان خطأً. لكن ما لم تقله السيدة كاستيلانو هو أن الرصاص الذي قتل هؤلاء الرجال الثلاثة جاء من السلاح الذي وجدوه في حوزة آرون-ري.

ليس هناك أي شك أو خلاف في أنه كان يحمل السلاح، أو أنه كان في حوزته. الصبي كان يحمل بين يديه سلاح الجريمة.

ركض آرون-ري، وأخبر الشرطيين اللذين أمسكا به بأنه لم يقتل ثلاثة أشخاص في وكر المخدرات، ثم ذكر أسماءهم.

سأله الشرطيان من أين حصل على السلاح، فقال إنه وجده. وهما وجدا ثلاثة قتلى واعتقلا آرون-ري كورديل، بالطبع، فقد كان هذا عملهما.

قد تتساءلون: كيف حصل آرون-ري على السلاح؟ حسناً، إنه لم يعد معنا ليجيبنا، ولا يهم كيف حصل عليه في الواقع. لقد كان سلاح الجريمة، وعندما أتحت له الفرصة لإخبارنا بما حدث في وكر المخدرات، قال للمحققين إنه قتل إيه. بيجي ودوين ودابل دي.

لكن هذه المحاكمة لا تدور حول المكان الذي جاء منه السلاح، أو من أطلق النار على تجار المخدرات هؤلاء، أو قتل آرون-ري كورديل.

كما قالت السيدة كاستيلانو، هذه المحاكمة مقامة لمعرفة شيء واحد فقط: هل قام المحققان ستانلي ويتني وويليام براند من قسم مكافحة المخدرات بإجبار آرون-ري على تقديم اعتراف كاذب؟ ما نقوله هو أنهما لم يفعلوا ذلك.

هل استخدمنا طرق التحقيق المشروعة؟ نعم، فعلا هذا. هل استخدمنا الكذب؟ احتمال كبير. التحقيقات في أقسام الشرطة أشبه بسباق في الكذب، حيث يكذب الطرفان ويخادعان ويفعلان كل ما في وسعهما لجعل الطرف الآخر يصدق.

مشرّع للشرطة أن تكذب. وعندما سنعرض عليكم لقطات من المقابلة، سترون أن هذا الشاب كان هادئًا، ورابط الجأش، وأنه اعترف بنفسه أنه قتل ثلاثة رجال.

وعندما حدثت واعترف، احتجزه المحققان براند وويتني في السجن حيث ينتمي؛ فالقتلة لا ينبغي أن يطلقوا في الشارع. كان آرون-ري في السجن في انتظار محاكمته السريعة، وهذا حقه كأمرئى، ولكن وقع حادث مؤسف للغاية.

ونحن نأسف للألم الذي تعانيه عائلة آرون-ري. لكن موت الصبي لم يكن خطأ شرطة سان فرانسيسكو".

الفصل 59

أقيمت جنازة آل كالهون في مقبرة سيبرس لون ميموريال بارك في كولما. لقد كانت إحدى أكثر المناسبات التي شهدتها إيلاًماً.

قدم والد ماري كالهون، ووالد توم كالهون، ومدرّب الطفّلين، ومدرّسهم خطابات رثاء مؤثّرة. ومثّل شرطة سان فرانسيسكو رئيس الشرطة جاكوبي، والرقيب فيل بيكليني من قسم مكافحة السرقات، والمحقّق تيد سوانسون، الذي قال بضع كلمات مؤثّرة جدّاً عن كالهون ومدى لطفه ودماثته.

احتشد مئات من رجال الشرطة في زيهم الأزرق في دار العبادة، ووقف بقيتهم في الخارج. كان معظمهم بيكي، بينما يشكّلون بأجسادهم حائطاً أزرق يحيط بالعائلة المغدورة في المقبرة، التي أنزلت فيها أربعة توابيت، تابوتان منهما بحجم الأطفال.

كان الحزن المسيطر عليّ الجميع مشوّباً بالغضب على هذه الجريمة الشنيعة التي استهدفت شرطياً وعائلته.

كنت بالكاد أعرف كالهون، لكنني تذكرت تفاؤله الواضح ذلك الصباح في مكتب صرف الشيكات حيث قتل ثلاثة مجرمين في زي الشرطة.

ظلت هذه الفكرة تلح عليّ ولم تتركني.

وأخيراً انتهت الجنازة.

صعدت أنا وكونكلين إلى سيارته البرونكو وتحركنا إلى خارج المقبرة. مررنا على البقعة التي دفنت فيها والدتي وكذلك البقعة التي واريننا فيها كيكو والدة يوكي المرححة في مثواها الأخير. تسابقت صور العديد من الجنازات الأخرى في ذاكرتي بينما كنا نغادر كولما متوجهين مجددًا نحو سان فرانسيسكو.

عندما دخلنا المدينة، كنت أرغب في الذهاب إلى حانة هادئة يتابع فيها الموجودون مباراة لكرة القدم دون أن يعرف أحد منهم اسمي. كنت أرغب في مكان أتمكن فيه من استجماع شتات أمري والسيطرة على مشاعري قبل ذهابي إلى المنزل لعائلتي، لكن كونكلين قال: "أريد فحص منزل كالهون مجددًا".

"لماذا يا ريتش؟"

"دونما سبب محدد".

تنهدت وقلت في تسليم: "حسنًا، إذا كان هذا هو ما تريده، فسوف نفعله".

الفصل 60

أوقف كونكلين السيارة أمام البيت الأخضر في شارع تكساس. جلسنا بهدوء للحظة تحت سلك هاتف معلق تقف فوقه طيور سوداء، ثم ترجلنا، وأزلنا الختم من على الباب الأمامي وفتحناه عنوة.

لم يكن هناك أي أثر للحياة في هذا البيت، لكن فاحت منه رائحة في غاية السوء، وفي الثواني السابقة لإشعال الضوء، كدت أسمع ماري كالهون تصرخ مستغيثة.

اقترحت أن يفحص كل منا غرفة وأن نحاول فحصها من منظور جديد. أراد كونكلين أن يفحص غرفة الطفلين. وتوجهت أنا إلى المطبخ.

أول ما رأيته كانت ملعقة ووعاء في الحوض بهما بقايا آيس كريم الشوكولاتة. تخيلت أن هذه كانت آخر وجبة لأحد أفراد العائلة. وعلى ارتفاع خمس أقدام من علامات الطباشير على أرضية المشمع حيث كان جسد ماري كالهون يرقد ممزقاً، رأيت على الثلاجة رسومات معلقة بالمغناطيس لطيفة الشكل وجداول مباريات البيسبول للصفار، وكانت كلها ملطخة بالدماء.

كان باب الثلاجة مفتوحاً، والطعام فسد، وقد عبقت رائحة اللحم المتعفن الغرفة. أقيت نظرة على سلة المهملات، في حال نسي أحدهم شيئاً، ولكن القمامة ذهبت بالكامل إلى المختبر وكانت السلة فارغة.

كان حامل السكاكين ينقصه سكين، وهو غالباً سكين التقشير الذي استخدم في انتزاع جفني توم كالهون.

حاولت اتباع نصيحتي والنظر إلى المشهد كما لو أنني أراه للمرة الأولى، ولكن كان من المستحيل فعل ذلك.

الكلمة التي كانت تتردد في ذهني هي: لماذا؟

تساءل برادي أمامنا في السابق عما إذا كان كالهون ينتمي إلى عصابة سترات الشرطة، وعما إذا كانت لديه معلومات عن المخدرات التي افترضنا أنها كانت السبب في سرقة ويكر هاوس وقتل عمال المختبر.

كنت أثق بحدس برادي. إذا كان كالهون ينتمي إلى هذه العصابة، فإنه لم يكن بمفرده. أيمن أن يكون معه شرطيون آخرون؟ أيمن أن يكون سوانسون وفاسكيز وروبرتسون من العصابة أيضاً؟

لقد خطر لكونكلين احتمال وجود علاقة بين حادث ويكر هاوس ومقتل آل كالهون. سمعت خطى كونكلين، والتفت إليه عندما وصل إلى المطبخ.

قال: "ليس هناك جديد في الطابق العلوي. كانت جريمة قتل يا ليندسي. لا أرى أي علامات على السرقة؛ فكما قال كلابر، كل شيء في مكانه".
سألته: "ومن قتلهم؟"، وإن كنت أسأل نفسي في الحقيقة.
"ما رأيك يا ليندسي؟".

"دعنا نقل إن برادي على حق، وإن كالهون أحد أفراد عصابة سترات الشرطة. كان كالهون متحمساً للغاية عندما أوقعنا بالصبية المقلدين الذين ارتدوا سترات رجال الشرطة. أتذكر هذا؟".

أوما كونكلين برأسه.

"كان الأمر كما لو أنه يعبر عن فرحته بإغلاق القضية. ربما لأنه إذا استطاع إقناعنا بأن قضية عصابة سترات الشرطة قد تم حلها، فإنه سيصبح بعيداً عن الشبهات".

قال شريكي: "استمري".

قلت: "حسنًا، إذا كان كالهون متورطًا في سرقة ويكرهاوس، فإن هذه المخدرات المسروقة تساوي الكثير لدى أحدهم. دعنا نقل إن هذا الشخص كان كينج فيشر. ماذا لو عرف كينج فيشر هوية من سرقه؟".

قال كونكلين: "أوه. حسنًا، أنت تقولين إن هذا ربما لم يكن تعذيبًا للحصول على معلومات، وربما ما حدث مع آل كالهون كان رسالة مفادها أن هذه هي نهاية من يعيث معهم".

قلتُ محدقة في الدم الذي يلطخ أرضية المطبخ: "إنه مجرد حدس".
قال كونكلين: "مجرد حدس لكنه أكثر منطقية من أي شيء سمعته حتى الآن".

الفصل 61

عدت إلى المنزل قبل العشاء، وبعد الاستحمام وارتداء ملابس مريحة، أجلست جولي على ساقي وأطعمتها لحم الضأن المفروم والبازلاء بينما كنا نستمع إلى أغنية بصوت فاليري جون العذب، ثم وضعت الطفلة بين ذراعي جو، وملأت وعاء مارثا بوجبة ممتازة كنت أدخرها لمناسبة خاصة، وأخبرت جو أنني سأطهو العشاء، وقلت: "عليّ أن أقوم بشيء أستطيع التحكم فيه. هذا سيشعرنني أنني أفعل شيئاً نافعاً".

قال جو: "لقد أفتعتني منذ قلت: سأطهو".

ضحكت للمرة الأولى في ذلك اليوم، ضحكة طويلة قوية. انضم إليّ زوجي، ثم أعطاني كأساً من عصير البرتقال البارد، وهو ما تعودنا على فعله "للاسترخاء".

وبينما كنت أقطع الخضراوات، أخبرت جو عن يومي الشنيع.

قال: "طلبت منك اصطحابك إلى كولما".

"لا، كان الأفضل أن أذهب مع زملائي"، وأعطيت جو ملخصاً شفهيّاً قصيراً لما حدث بمنزل آل كالهون بعد الجنازة. وبينما كنت أرقق شرائح اللحم بمطرفة، أخبرته عن أفكاره حول تورط كينج فيشر، حتى وجدت الشرائح وقد أصبحت رفيعة للغاية، تكاد تكون شفافة، وشعرت بجوياً أخذ المطرفة من يدي بلطف.

ضحكت مرة أخرى، وكان علاجًا شافيًا في الواقع.

وبينما تناولت العصير، تحدثت جو عن تجار المخدرات الذين كان يعرفهم وعن كينج فيشر على وجه الخصوص، وهو مجرم متوحش عُرف بتدمير أي شخص يقف في طريقه.

قال جو: "إنه يُعد أسطورة وخرافة في الوقت نفسه، فلا أحد يعرف كيف يبدو، لكن يقال إنه يحصل على حصة من كل صفقة مخدرات تتم في الدولة، والآن...".

تنهدت قائلة: "نعم أعلم".

قال: "لا أحاول إخافتك يا ليندسي، ولكن إذا كنت تعتقدين أن عصابة كينج فيشر عذبت شرطياً قد يكون متورطاً في القضية التي تعملين عليها، فإن...".

قلت: "نعم، أفهمك".

أصدر اللحم أزيزاً عندما وضعته في الزيت، وصب جو الصودا.

"أنا قلق يا ليندسي".

"سأكون حذرة. لن أورط نفسي في أي شيء بلا داع".

أوماً جو موافقاً، ثم قام بتشغيل جهاز الحماية ضد السرقة والاقترام بينما كنت أركز الأطباق، وقررنا تناول العشاء على مائدة الطعام على سبيل التغيير. جلست مارثا بين مقعدينا حتى انتهينا. في أثناء إعداد القهوة، غيّر جو الموضوع وأخبرني أنه توصل لخيط جديد في "قضيته" الخاصة بجرائم يوم ميلاد كليز. قال جو: "لديّ مشتبه به محتمل اسمه واين بروارد، وقد اتهم بثقب إطارات سيارة أحد الجيران. حكم القاضي بتغريمه، ولكن بروارد هدد بقتل القاضي، واغتصاب زوجته، وخنق أطفاله".

قلت: "يا إلهي! إنه مخبول تماماً".

"نعم. حكم عليه بأقصى عقوبة لتهديده قاضياً، وهي دفع غرامة قدرها خمسة آلاف دولار والسجن لمدة عام. لكن بروارد خرج مبكراً لحسن سيره وسلوكه. ومتى كان ذلك؟ قبل يوم ميلاد كليز منذ خمس سنوات".

قلت: "حقاً؟ دعنا نر ما لديك إذن".

في أثناء تنظيفي المائدة، أحضر جو حاسوبه المحمول. فحصت الملفات التي وجدها، ثم دخلت على قاعدة بيانات شرطة سان فرانسيسكو وقرأت ملف هذا الرجل المجنون، واين لورانس بروارد، الذي يعيش في حي بايفيو

عند تقاطع شارعي هوليوستر وهاويس. وبصرف النظر عن ثقب إطار سيارة الجيران، فإنه صار لديه سجل إجرامي بعد الاعتداء على جار آخر سولت له نفسه أن يضع صندوق قمامته بالقرب من ممر سيارة بروارد. بالإضافة إلى ذلك، قدمت زوجة بروارد ضده شكوى عنف منزلي.

لقد تنازلت عنها فيما بعد، لكن قراءة شكواها كانت مهمة.

"استمع إلى هذا يا جو. ذكرت السيدة بروارد أن والدتها زوجها المجنونة قد دمرتها، وأنه يعاني مرضاً نفسياً اسمه الاضطراب الانفجاري المتقطع".
 "ولم تهجره!"

"نعم، صحيح. إذا أتحت لي لحظة فراغ غداً، سأذهب لتفقد هذا المخبول".

قال زوجي العزيز: "كوني حذرة فحسب".

الفصل 62

كان منزل واين لورانس بروارد هو المنزل الثالث بعد تقاطع شارعي هوليستر وهاوز، وكان مكسوًا بالخشب بني اللون. وأمامه امتد سياج يحمل لافتات تناهض بقوة التعدي على ممتلكات الآخرين. كان يبدو أشبه ببيت أحد المصابين بجنون الشك.)

أوقفت سيارتي أمام السياج، وثبتت شارتي على ثنية سترتي بحيث يتلأأ المعدن الذهبي على القماش الأزرق الداكن. كما أنني فككت أزرار سترتي كي يتبدى مسدسي للعيان. وأخيرًا دفعت البوابة ودخلت.

منذ اللحظة التي وضعت يدي فيها على البوابة، كنت أعلم أنني تعديت حدودي بشدة هنا. كان المحققان مايكلز ووانج يعملان على قضية تينا ستريلير، وبرغم أنهما كانا جديدين، أو ربما بسبب ذلك، لم أشعر بالراحة في أن أطلب منهما التحقق من شكوكي أنا وجو.

ومع ذلك، كان من الصعب وضع هذه الشكوك جانبًا، وكان عليّ التحقق منها بنفسي. سرت على الممشى إلى الباب الأمامي، الذي كان يحمل لافتة أخرى تقول: ممنوع الدخول وهذا يشملك أنت أيضًا.

ضغطت على الجرس، وسمعت صوت نباح كلب يتصاعد من داخل المنزل، ثم صوت رجل يقول: "حسنًا يا هاوزر. دعنا نر من هذا الوغد المتطفل".

سمعت همهمة من وراء الباب، ثم صوت انزلاق السلسلة، وفتح الأقفال. بالنظر إلى المستوى المتواضع لسكان هذا الحي، فإما أن واين بروارد يكس سبائك الذهب في منزله، أو يخوض حرب رجل واحد.

أو ربما طعن امرأة حتى الموت في العشرين من مايو الماضي.

سمعت المزيد من النباح، ثم فتح الباب أخيراً. ظهر رجل أبيض بني الشعر، متوسط البنية، يرتدي قميصاً وسروالاً من الجينز، ويحمل بندقية في يده. "ماذا تريدان بحق السماء؟"

قلت مظهرة شارتي: "أنا الرقيبَة ليندسي بوكسر. أبحث عن واين لورانس بروارد".

رقد الكلب أمام المدخل، ولكن الرجل المهذب الذي كان يحمل البندقية دفعه بساقه للخلف، ثم قال: "قلت ماذا تريدان بحق السماء؟"

رفعت شارتي في وجهه وقلت: "شرطة. اخفض سلاحك".

كشّر الرجل في وجهي، لكنه خفض سلاحه.

أخرجت صورة تينا ستريلير من جيبي. كان مشهد مقتلها الدموي على الرصيف أمام مائة سائح لا يزال حياً في ذاكرتي.

سألته: "هل تعرف هذه المرأة؟"

تفحص بروارد الصورة، ثم فتح الباب على مصراعيه، وقال: "لماذا لم تقولي ذلك من البداية؟ ادخلي".

الفصل 63

برغم أن ما قاله بروارد يؤكد أنه كان يعرف تينا ستريلير، فإنني أردت أن أسمعه يقولها بأذني.

سألته: "هل تعرف هذه المرأة؟"

قال: "ادخلي. أنا لا أعص. حتى هاوزر لا يعص."

جر الكلب من طوقه، ودفعه إلى غرفة نوم، وأغلق الباب.

وضعت يدي على مسدسي، ودخلت البيت بحذر وأنا أتلفت حولي. كان البيت في فوضى عارمة. لم تكن هناك بوصة واحدة نظيفة أو مرتبة، وكانت هناك دجاجات حية في صندوق تحت الطاولة، وأطعمة معلبة مكدسة إلى السقف، وصناديق من الذخيرة على المناضد، وبنادق معلقة على الجدران.

فحصت الغرفة بحثاً عن متعلقات نساء مقتولات قد يكون محتفظاً بها كتذكارات، أو قصاصات من الجرائد تتحدث عن جرائم قتلهن، أو علامات تدل على وجود الزوجة ضحية الاعتداء. كما بحثت عن السكاكين التي ربما استخدمت لارتكاب جرائم قتل قبل أن يحملها القاتل معه.

لكنني شعرت بالصدمة من الفوضى عموماً حتى إن بروارد غاب عن نظري للحظات في خضمها، حتى شعرت بفوهة البندقية الباردة على مؤخرة عنقي. قال واين بروارد: "لماذا لا تسلميني سلاحك لتتحدث قليلاً."

قلت: "بكل سرور". غمر الخوف والخجل جسدي حتى النخاع وتبديا في عيني. كنت أرتجف حقاً. فأنا من دخلت الشرك بقدمي، وقد أموت الآن في هذه الغرفة بسبب ذلك.

قلت وظهري له: "إنني أخرج مسدسي ببطء شديد. أفعل هذا بأطراف أصابعي".

وكما تدربت آلاف المرات، استدرت بسرعة، ودفعت بندقية بروارد بعيداً عني، ثم أمسكت بها بكلتا يدي، وانترعتها من قبضته، ما جعل توازنه يختل. وأخيراً رميت البندقية بعيداً عن المكان الذي كنت أقف فيه، فاصطدمت بجدار معلق عليه إطارات دراجات، ثم رفعت سلاحي وصوبته على أنف بروارد.

استغرق هذا كله عشر ثوان تقريباً، لكنني شعرت كأنها الثواني العشر الأخيرة في حياتي. كان هاووز ينبج بشدة، وتعجبت من حظي الذي جعل بروارد يستهين بي ويترك الكلب وراء الباب.

صاح بروارد متشججاً: "أيتها الحمقاء! كان بإمكانني إطلاق النار عليك. كان بإمكانني فعل أي شيء بك. ولم يكن أحد سيعرف بما حدث لك".

قلت: "استدر وضع يديك خلف رأسك".

وفعل ما طلبته.

قال بحزن: "كان بإمكاننا الاستمتاع قليلاً معاً. لم أقض ليلة مع شقراء منذ وقت طويل".

قلت: "أخرس أيها الحقير".

وضعت سلاحي في غمده، ثم أنزلت ذراعي بروارد، وكبلت يديه خلف ظهره.

قلت: "أنت رهن الاعتقال بتهمة الاعتداء على شرطية"، ثم قرأت عليه حقوقه.

الفصل 64

كان بروارد ملقى في مؤخرة سيارتي، ومكبلاً بالأصفاد.

كان الأدرينالين لا يزال يتدفق بقوة بداخلي. كان يمكن أن يقتلني، كان من الممكن أن يحدث هذا، ولكنه سيكون خطئي بالكامل لقيامي بهذا التصرف الغبي.

لم أستطع التوقف عن النظر إليه في المرأة الخلفية. أي شخص يراه سيقول إنه مجنون بكل تأكيد، ولكن بغض النظر عن حالته النفسية، فإنه لم يكن يعرف أو يهتم بأنه كان في طريقه إلى السجن.

ثم قال بروارد بصوت عالٍ: "أتذكرين عندما كنا نعيش مع ماما؟"
"كان وقتاً ممتعاً يا واين".

"اعتدت على مناداتي بعزيزي المحبوب. كنت أحب هذا النداء."
"كان ذلك فيما مضى يا واين. لقد نسيت ما بيننا".

وبدأ بروارد في ترديد أنشودة.

رفعت الحاجز الزجاجي وأبقيت عيني على الطريق. لم يعجبني ما كان عليّ أن أقوله للقاضي عن سبب دخولي منزل شخص غير مشتبه به. كان السبب الوحيد هو مجرد حدس. حمداً لله أن بروارد دعاني للدخول؛ إذ ربما ساعدني هذا - بالإضافة إلى واقعة تهديده لقاضي - على أن أبدو أقل غباءً.

بعد عشرين دقيقة، أوقفت سيارتي في ساحة انتظار براينت وأقيت بالمفاتيح إلى العامل. لم يسبب بروارد أي مشكلات عندما سرت به في الأصفاد عبر الشارع وإلى مبنى مقر الشرطة. عبرنا جهاز الكشف عن المعادن وصعدت به الدرج إلى مكتب الرقيب في الطابق الثالث.

قلت: "أيها الرقيب، نحن بحاجة إلى احتجاز السيد بروارد للاعتداء بسلاح قاتل على شرطية. تأكد من حصوله على تقييم نفسي".

طرح الرقيب بروكس بعض الأسئلة وملاً استمارة، وجاء شرطي يرتدي الزي الرسمي وأخذ بروارد للحجز. سيظل الرجل مشغولاً لمدة تتراوح بين أربع وعشرين وست وثلاثين ساعة، حيث سيخضع لتفتيش دقيق، ثم سيأخذون بصمات أصابعه، ويحمونه، وبعدها ستجري عليه ممرضة بعض الفحوصات الطبية، ويراه طبيب نفسي. بعدها سيرتدي بذلة الاحتجاز ويحبس في زنزانة إلى أن أتمكن من العودة إليه.

بعد أن تركت المكتب، ذهبت إلى قسم مكافحة جرائم القتل حيث أعمل. وجدت كونكلين على مكتبه وقد تكدست أمامه ملفات تجار مخدرات في كل مكان. قلت: "أسفة جداً يا ريتش.. لقد انشغلت بأمر ما". كنت قد خططت مسبقاً ما سأخبر به شريكي عن واين بروارد، لكنه قاطعني قائلاً: "رالف فالدين قتل". كان رالف فالدين، المعروف أيضاً باسم راسكال، أحد عمال المخزن في ويكر هاوس. وقد اتهم فالدين بالاعتداء على ضابط شرطة بسبب تلك اللكمة التي وجهها لكونكلين في الملعب، ولكن تم إطلاق سراحه بكفالة. فعلى عكس دوني وولف، الذي سرق سيارة، لم يكن لدينا شيء آخر ضد فالدين. لم يكن هناك أي دليل على أنه يعرف قتلة ويكر هاوس أو ما حدث للمخدرات التي سرقت من ذلك المعمل.

سألت شريكي: "ماذا حدث؟"

قال كونكلين: "ذهبت والدته إلى بيته فوجدته ميتاً في غرفة النوم. طلقتان في الصدر، وواحدة في الرأس. أرى أن هناك من يحاول طمس أي آثار متبقية للجريمة. ربما كان يعرف هوية قتلة ويكر هاوس".

قلت: "وها هو شاهد جديد يُقتل".

قال: "وقد كان أحد الشهود الذين استجوبناهم".

الفصل 65

عقد برادي اجتماعاً مرتجلاً في نهاية المناوبة. كنا منهكين، لكننا كنا متحمسين لأقصى درجة لإيقاف عجلة القتل وإنقاذ ما تبقى من سمعتنا التي كانت تنهش حرفياً على يد وسائل الإعلام نهاراً، وليلاً، وخلال العطلات الأسبوعية.

إذا كان برادي فظاً في المعتاد، فإنه لم يكن كذلك اليوم. قال برادي: "لدينا مشكلة كبيرة - جميعنا. هناك أكثر من عشرة أشخاص قد قتلوا، ومن ضمنهم واحد منا، هو وعائلته. هؤلاء القتلى منهم الضحايا، والشهود، والمجرمون، وكى أكون صريحاً فإنني لا يمكنني الجزم بصحة تصنيف كل واحد منهم. إليكم رؤيتي للوضع:

"لقد تغيرت طبيعة الحرب بين تجار المخدرات وبيننا. قد يكون رجال الشرطة متورطين في جرائم متعلقة بالمخدرات، ما يجعل تجار المخدرات يردون الصفة. لا يمكن لأحد أن يجزم بما يفعله كل طرف، وهذا يجعل الأمر أكثر إزعاجاً بكثير. هذا لا يمكن أن يستمر.

جميعكم هنا تعملون على حل اللغز، كل واحد مكلف بالعمل على جزء محدد منه. تحدثوا مع محققي مسارح الجريمة. فكروا في كل ما قيل أو حدث ولم تنتبهوا له. أخرجوا من رءوسكم الفكرة السخيفة التي تقول إنك يجب ألا تشي بأحد زملائك. فقد عذب أحد زملائنا، ثم قُتل هو وعائلته.

هذه المرة الأولى التي يحدث أمامي فيها شيء كهذا، ولا أحتاج لأن أقول إنه لم يكن ينبغي أن يحدث قط. فقط اعلموا أن بابي مفتوح لكم جميعاً. إذا توصل أحدكم إلى دليل، حتى لو كان سيورط به شخصاً يعرفه ويثق به، فعليه أن يخبرني على انفراد".

سار برادي بضع خطوات، ثم سألتنا إذا ما كان لدينا أي استفسار. لم يقل أحد شيئاً. لم يكن هناك غرباء في الغرفة - فقط رفاقنا الذين حمونا لسنوات عديدة.

رفاقنا الذين ترك واحد منهم ملاحظة مجهولة على مكتبي تقول: احذري. واصل برادي حديثه قائلاً: "بوكسر وكونكلين هما المحققان الرئيسيان في قضية ويكر هاوس ومقتل توم كالهون وعائلته. إذا كُلف أحدكم بأي من القضيتين، فليقدم تقاريره إليهما.

أما المحققان سوانسون وفاسكيز فهما المسئولان عن جرائم القتل والسرقة في المتاجر الإسبانية ومكاتب صرف الشيكات، القديمة والحديثة منها.

وقد كلفت ويتني وبراند بالإشراف على جميع جرائم قتل تجار المخدرات. إذا كانت لدى أحدكم أي معلومات عن سرقة أو مقتل تاجر مخدرات على يد الشرطة، فقدموا تقاريركم فوراً لي.

"ستجدون رقم هاتفي الخليوي وعنوان بريدي الإلكتروني منشورين في غرفة الاستراحة. نحن لدينا الذكاء الكافي لإنهاء هذه المشكلة، لذلك دعونا نفعل ذلك. جميع الإجازات ملغية حتى إشعار آخر. وهذا كل شيء".

انفض الاجتماع، وشق برادي طريقه عبر الغرفة المليئة برجال الشرطة إلى مكتبه. عندما وصلنا أنا وكونكلين إلى مكتبينا، أمسكت الهاتف، واتصلت بسجن الرجال، وفي بضع دقائق كنت قد أعددت غرفة للتحقيق مع لص السيارات وعامل المخزن السابق في ويكر هاوس: دونالد وولف.

الفصل 66

بدا لي دوني وولف في مزاج جيد عندما أحضره الحارس إلى غرفة التحقيق في بذلته البرتقالية مكبلاً بالأصفاد.

قال وهو يجلس بينما غادر الحارس الغرفة: "أهلاً. كيف حالكم؟".

ثم اعتدل في مجلسه ليحظى بمزيد من الراحة. ربما كان مستمتعاً باهتمامنا به أو سعيداً للمجرد وجود صحبة. ثم أضاف: "ستجعلانني أفوت موعد عشائي".

قال كونكلين: "لديّ خبر سيئ يا دوني".

"أوه، حقاً؟".

"لقد قتل أحدهم صديقك راسكال".

"لا، لا، هذا لم يحدث".

أخرج كونكلين هاتفه من جيبه وعرض صورة رالف فالدين يرقد ووجهه لأسفل على سريره الضيق، بينما يفرق دمه الأغشية الزرقاء الفاتحة. وضع كونكلين الهاتف على الطاولة وأداره بحيث يتمكن دوني وولف من رؤية الصورة. لوهلة، أمكنني رؤية الطفل الصغير داخل وولف بوضوح. جحظت عيناه للخارج، وتراجع مبتعداً إلى الخلف. ولكنه تمكن من إخفاء صدمته بعد لحظات قليلة، وعاد يضع قناع المجرم المتعجرف الذي يحاول أن يصبح مجرماً أكبر وأفضل.

قال: " هذه الصورة مزيفة. أنتم تحاولون إخافتي ".
 قال كونكلين: " حقاً؟ هل تعتقد حقاً أننا أعددنا هذا المشهد بكل هذه
 الدماء وقطع المخ المتناثرة كي نخيفك فعلاً؟ ".
 " بالتأكيد. ولمَ لا؟ "

"لأننا يا دوني لسنا بحاجة لذلك. أنت محتجز في زنزانية، ومحاكمتك
 قادمة، وستحاكم بتهمة سرقة سيارة، وستُسجن لفترة طويلة. وقد تخرج في
 الوقت المناسب لترى ابنك الذي لم يولد بعد في حفل زفافه ".
 مرت لحظات طويلة بدا خلالها أن دوني يتخيل ذلك بالفعل. ثم قال: " وما
 خيارى الثانى؟ "

هذا هو أحد الأشياء التي أحبها في كونكلين. إنه رجل جدير بالثقة، تتدفق
 هذه الثقة من داخله، وتصل لمن أمامه حتى لو كان مجرماً أرعن مثل دوني.
 قال شريكى: " اسمع، نحن بحاجة إلى معرفة كل شيء ممكن عن فالدين.
 لماذا قتل ومن الذي فعل هذا به؟ ساعدنا وسنخبر المدعي العام أنك تعاونت
 معنا. سيخفف هذا الحكم عليك، أعدك بهذا ".
 عم الهدوء غرفة الاستجواب الصغيرة. بذلت قصارى جهدي لعدم إظهار

تلمللي بينما كان دوني يفحص خياراته، ثم قال أخيراً: " كيف يفترض بي
 أن أساعدكم؟ لم أكن هناك، ولا أعرف لماذا قد يفعل أي شخص ذلك في
 راسكال ".
 وهنا، اضطررت للتدخل، فقلت: " دوني، صديقك راسكال قُتل عن عمد.
 أنت تفهم هذا، أليس كذلك؟ لم يُطلق عليه النار بينما كان يسرق متجرًا أو
 سيارة أو يعتدي على امرأة شخص آخر، بل قتل رميًا بالرصاص في فراشه،
 بينما كان نائمًا ".
 " لا، لا، لا ".
 " بل نعم. وهذا ما أفكر فيه يا دوني. رالف كان يعرف شيئاً، وهناك من أراد
 أن يضمن ألا يتكلم أبداً ".
 بعد صمت طويل، قال دوني: " ربما كان يعرف شيئاً لا أعرفه ".
 استمرت في الضغط قائلة: " هل تعرف هوية من هاجموا ويكرهاوس؟ هل
 تعرفهم؟ "

نظر وولف إلى الكاميرا، ثم عاد ينظر إلى كونكلين، وقال له: "ليس أمام الكاميرا".

غادر كونكلين الغرفة، وعندما عاد، كان ضوء الكاميرا الأحمر قد انطفأ.

قال كونكلين: "تكلم يا دوني".

"الشرطة هي من هاجمت المكان".

سألت: "أي شرطة؟".

قال: "كانوا من الشرطة. أنا وراسكال أخبرنا أحدهم بموعد خروج

المخدرات للتوزيع، وكان يفترض أن تكون عملية سرقة فقط. لم نكن نعلم أنهم

سيطلقون النار، لم يخبرونا بذلك، أقسم لكما بابني الذي لم يولد بعد. كنت

أحتاج نقود للهروب من هنا، وهذا كل شيء".

كانت الدموع الحقيقية تملأ عينيه. فمسحها دوني بيديه، ومن جديد رأيت

الطفل المدعور في داخله.

"كيف تعرف أنهم كانوا من الشرطة؟"

"كانوا يرتدون سترات رجال الشرطة".

"أهذا كل شيء؟ هل رأيت شاراتهم؟ أهم رجال شرطة تعرفهم؟"

قال دوني: "إنهم يتحدثون كرجال الشرطة، ويمشون كرجال الشرطة. إنهم

من الشرطة".

سألته: "كم عددهم؟".

"لم أقابل سوى الشخص الذي أبرم الصفقة معي أنا وراسكال. لكني

سمعت أن هناك خمسة آخرين. وقد حذرت الشخص الذي دفع لي المال

وأخبرته أن هذه المخدرات تخص الملك".

"كينج فيشر؟ وماذا قال؟"

"قال إنه لا توجد مشكلة، وأنه يسيطر على الأمر - شيء كهذا".

قال كونكلين: "وما اسم هذا الشرطي؟ نحن بحاجة إلى اسمه".

استمر الصمت لثوانٍ طويلة، حيث كان دوني وولف يفكر فيما سيجنيه إذا

أخبرنا باسمه، وما الذي سيخسره إذا لم يفعل. أعتقد أنه وجد المكسب أكبر

من الخسارة في النهاية.

قال كونكلين: "كيف يبدو؟".

هز دوني رأسه مرة أخرى، ثم اتخذ قراره، وقال: "في كل مرة رأيته فيها كان يجلس في سيارة. إنه رجل أبيض، يرتدي قبعة الشرطة ونظارة شمسية كبيرة. لا يمكنك أن ترى سوى أنفه، وهو مجرد أنف عادي".

سأله كونكلين مرة أخرى بصوت ثابت: "وما اسمه يا دوني؟".

"واحد. هذا هو ما قاله، وهذا هو ما نناديه به. السيد واحد".

الفصل 67

بمجرد عودتي إلى المنزل تلقيت مكالمة من سيندي. كانت في المطار، بعد أن عادت للتو من جولة ترويج كتابها، فدعوتها هي وريتشي لزيارتنا وتناول اللازانيا بالنقانق التي يعبدها جو.

بعد نصف ساعة، كانت جولي قد نامت، وشخصان من أقرب الناس إلى قلبي يقفان في المطبخ معي أنا وجو. كنا نتذوق الشراب الفاخر الذي جلبته سيندي من المتجر القريب.

كانت سيندي ترتدي سترة صفراء فاتحة وبنطالاً من الجينز، وتضع دبايس لامعة في شعرها الأشقر المموج. وقفت ملتصقة بريتش، الذي أحاطها بذراعه. بدا كلاهما يشعان بالسعادة، الأمر الذي أسعدني أيما سعادة.

بينما كنت أعد السلطة، أخبرتنا سيندي بشيء غريب حدث في آخر محطة في جولتها، مكتبة ميستيريوس جالكسي في سان دييجو. في أثناء توقيع الكتاب، ظلت امرأة تنتظر حتى انتهى الثلاثون شخصاً الحاضرون من توقيع كتبهم، ثم همست لسيندي: "لدي قصة أعتقد أنك ترغبين في نشرها".

سأل جو سيندي: "حقاً؟ قصة حقيقية؟"

وأجابته: "هذا هو ما قالته".

قصت سيندي علينا حكاية المرأة العجيبة عن شخص لديه خمس زوجات، كل واحدة لا تعرف عن الأخرى شيئاً. كان الرجل يتظاهر بأنه بائع متجول، ولكنه في الحقيقة كان نصاباً.

قالت سيندي: "أخبرتني نيكي، وهو اسم هذه المرأة، أن بيني كان أرق رجل عرفته - كان طبيباً للغاية وينتبه لأدق التفاصيل. لقد جعلها تشعر دائماً بأنها أهم شخص في العالم. وبالمناسبة بيني كان والدها". ضحكت سيندي بسبب تعبيرات الذهول التي علت وجوه مستمعيها. ثم قالت: "أخبرتني نيكي أن والدها اخفى قبل عشر سنوات ويفترض أنه ميت، بيد أنه لم يتم العثور على جثته. إنها تريدني أن أكتب مقالاً عن والدها واختفائه الغامض. تريدني أن أجده، حياً أو ميتاً، وإذا كان قد قُتل، فإنها ترغب في العثور على القاتل. إنها لا تطلب الكثير، أليس كذلك؟ لكنني أفكر في عرضها في الواقع".

كانت وجبة العشاء ساخنة ولذيذة، وتخللها الكثير من الضحك، وهو ما كنت أحتاج إليه. لكنني كنت لا أزال أشعر بالضيق مما حدث مع واين بروارد، وكنت لا أطيق الانتظار لإخبار جو عنه.

كنت أجد كل ما حدث منذ اللحظة التي طرقت فيها باب بروارد محرّجاً للغاية، فلم أخبر كونكلين حتى، ولحسن الحظ كانت سيندي وريتش متلهفين للعودة إلى منزليهما بعد العشاء. بعدما تعانقنا جميعاً وتمنى بعضنا لبعض ليلة طيبة، ذهبت للاطمئنان على جولي، ثم قلت لجو: "لقد فعلت شيئاً غيباً للغاية اليوم".

أخبرته عن زيارتي لمنزل واين بروارد وكيف سمحت للرجل بأن يصوب عليّ بندقيته. عبس جو، وشعرت به يتململ ويكاد يذكرني بأن لديّ طفلة الآن. قلت: "من فضلك لا توبخني يا جو. لقد وبخت نفسي بما فيه الكفاية".

"أنا لم أقل شيئاً".

"أعلم، ولكن هذا حقا. هذا الرجل مختل، وعقله غير متزن على الإطلاق - يمكن أن يكون مريضاً عقلياً. لا أستطيع أن أصدق أنه يستطيع التخطيط لقتل امرأة كل عام في الثاني عشر من مايو ثم ينفذ جريمته، ويفلت من العقاب في كل مرة".

هزرت رأسي، وفكرت في البيت المليء بالنفايات، والطريقة التي كان ينتقل بها عقل بروارد من الماضي إلى الحاضر، وعدم تركيزه مطلقاً على شارتي.

قلت: "لقد أعطيته ظهري للحظة، وكان معه بندقية".

قال جو: "تعالى"، فذهبت واستكنت بين ذراعي زوجي. وأخذت نفساً عميقاً، ثم تحركنا وجلسنا على الأريكة وأرحت رأسي على كتفه.

"عليّ أن أخبر برادي وريتشي بشأن هذا الرجل. بعد استدعائه إلى المحكمة سيعرف الجميع بما حدث على أية حال، وسأعاقب بطريقة أو بأخرى لنهابي إلى منزل رجل بريء بناء على مجرد حدس".

قال جو: "لقد أخطأنا، لكن قاتل تينا ستريشيلير لا يزال حراً طليقاً".

قلت: "صحيح. لكنني بدأت أتشكك في فكرة وجود نمط لهذه الجرائم يا جو. ربما نتوهم وجود صلة بين خمس جرائم طعن منفصلة. ربما ليس هناك قاتل واحد بعقل خارق. يمكن بسهولة أن يكون هناك خمسة قتلة، ولكل قاتل عقل مختلف".

الفصل 68

كان هذا هو اليوم الثاني من المحاكمة.

قضت يوكي ليلة عصبية؛ فهي وبرادي يقفان على جهتين متقابلتين من نظام العدالة، وكأن بينهما جدارًا عازلاً. لم تستطع التحدث معه عن قضيتها، ولا هو يستطيع التحدث معها عن قضيته، وهذا جعل الحديث بينهما جافاً والنوم شبه مستحيل.

وصلت مكتبها في الثامنة إلا الربع، ووصلت ناتالي بعدها ببضع دقائق وأحضرت معها القهوة. بدأت في تحليل مرافعة باريزي الافتتاحية، وتخمين ما يعتزم فعله بشهودهما. وطلبت ناتالي من يوكي ألا تقلق.

وصل زاك ووقف على العتبة ناظرًا إلى يوكي، ثم قال لها: "وصلتني عشرات الرسائل النصية التي تتحدث عن مرافعتك الافتتاحية بالأمس. تهانينا، وشكرًا لكليكما".

ارتفعت معنويات يوكي، وبدفعة مساعدة من الكافيين، توجهت بصحبة ناتالي إلى شارع ماكالستر وأوقفت السيارة في المرآب تحت الأرض.

بمجرد دخولهما قاعة المحكمة، قدمت ناتالي الفيديو للكاتب وانضمت إلى يوكي على طاولة الادعاء، ثم بدأت التحدث بهدوء مع بعضهما بينما كانت قاعة المحكمة تمتلئ ببطء.

عندما حان وقت قضيتها، نهضت يوكي من مقعدها، وتجاوزت المنصة، مقتربة من هيئة المحلفين. كان كل شيء يعتمد اليوم على الفيديو. قالت يوكي للمحلفين: "صباح الخير جميعاً. عندما أدليت بمرافعتي الافتتاحية بالأمس، أخبرتكم أنكم سترون مقاطع من استجواب الشرطة الذي استمر ست عشرة ساعة لآرون-ري كورديل.

أخبرتكم أيضاً أن هذه القضية تتمحور حول شيء واحد أساسي: هل أرغم آرون-ري على الإدلاء باعترافه أم لا؟ لأنه إذا اعترف مجبراً، فلن يعد هذا اعترافاً. وإذا لم يكن آرون-ري قد اعترف، فإنه كان ينبغي ألا يسجن، وإذا لم يكن قد سجن، لما كان ميتاً الآن.

لقد اخترت مقاطع من الاستجواب لأريكم إياها، ولكن بإمكانكم قراءة النص بأكمله".

طلبت يوكي من الحاجب أن يشغل الفيديو. فخفضت الأضواء وظهر الفيديو على الشاشة المسطحة. كان آرون-ري يجلس بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين أمام طاولة خشبية، وعلى الناحية الأخرى جلس شرطيان عرفنا نفسيهما على أنهما المحققان ويليام براند وستان ويتني.

كان ويتني في الثلاثين من عمره، بلحية نامية ونظارة مستديرة ذات إطار سلكي، وكان أشبه بمدرس علوم أكثر منه شرطياً. من جلسته ونبرة صوته، بدا أنه متعاطف مع ضيق آرون-ري.

قال ويتني: "أهذا ما حدث يا آرون؟ هل فزعت؟ هل أخافك تجار المخدرات المسلحون الخطرون؟ لقد هددوك ولكنك فاجأتهم، أليس كذلك؟ لقد أطلقت النار عليهم وركضت؛ لأنه إذا كان هذا هو ما حدث، فأنت كنت تحمي نفسك، وسيقتهم الجميع ذلك".

قال آرون-ري: "لم أطلق النار عليهم. لم أكن أعرف حتى أنهم أصيبوا بالرصاص. لقد عثرت على المسدس على الدرج واعتقدت أن بإمكانني أن أجني خمسين دولارًا مقابلته. كان هذا خطأ لأنه لم يكن مسدسي. أنا آسف على هذا".

قال ويتني: "اسمع يا آرون. ليس عليك أن تكذب بعد الآن. سيعرف الجميع ما فعلته إن أجلاً أو عاجلاً. ولكن إذا أخبرتنا، يمكننا حمايتك. هذا ما عليك فعله يا بني".

عرضت يوكي خمس دقائق من محاولات ويتني في مصادقة آرون-ري، طالباً منه ألا يخشى شيئاً من الاعتراف: "ألا تريد الذهاب إلى المنزل يا آرون؟ ألا تريد أن ينتهي كل هذا؟".

"بلى، أريد الذهاب إلى المنزل".

أعطاه ويتني ورقة، وقال: "تقول هذه الورقة إننا تلونا عليك حقوقك، وإنك تتنازل عنها لأنك لا تريد محامياً. إنك لا تريد تعقيد الأمر، أليس كذلك يا آرون؟".

قال آرون-ري: "أنا لم أطلق النار على أي شخص".

قال براند: "حسناً تفعل يا آرون".

أعطى براند الصبي قلمًا، ووقع آرون-ري باسمه في المكان الذي وضع المحقق إصبعه عليه، وبمجرد أن رفع آرون-ري القلم، جذب براند الورقة بعيداً وخرج بها من الغرفة.

قال ويتني: "أتشعر بأنك أفضل الآن؟".

أجاب آرون-ري: "لا".

استخدمت يوكي جهاز التحكم عن بعد في تقديم الفيديو إلى الساعة السادسة، والتي بدأ فيها المحقق براند قيادة الاستجواب.

انحنى براند فوقه وصاح في وجهه: "أيها الغبي القذر، أنا أحاول مساعدتك، ألا تفهم؟ قل الحقيقة اللعينة ودعنا ننته. ألا تريد أن يفخر والداك بأنك كنت رجلاً؟".

قال آرون-ري وهو ينتحب: "لم أطلق النار من هذا السلاح".

أعدت يوكي تسريع الفيديو مجدداً، ثم قالت لهيئة المحلفين: "مضت خمس عشرة ساعة وأربع وأربعون دقيقة، تناول آرون-ري خلالها ثلاثة مشروبات غازية وكيساً من رقائق البطاطس. لقد تنازل عن حقوقه كي يتمكن من العودة إلى المنزل، هذا هو ما فهمه. أخبر الصبي المحققين الحقيقة، لكن وبتني وبراند لم يصدقاها".

اعترض باريزي قائلاً: "سيدي القاضي، الفيديو يتحدث عن نفسه".

قال القاضي كويرك: "سأسمح باستكمال العرض على أية حال".

ضغطت يوكي على زر التشغيل. كان وضع الأفراد الثلاثة في الغرفة كما هو. كان براند يضع يديه في جيوبه، ويتمشى في الغرفة والغضب يعلو ملامحه. قال: "هذه آخر فرصة أعطيها لك لتنتهي من كل هذا يا آرون، وإلا ستسجن لبقية حياتك، أو ربما ستعدم. في كلتا الحالتين، لن تتمكن أبداً من معانقة ماما مجدداً. أو ... يمكنك إخبارنا بما حدث. كنت تحت تأثير المخدر، وكان عقلك مشوشاً وشعرت بالتهديد، وهكذا كان عليك أن تدافع عن نفسك وتطلق النار على هؤلاء الرجال الثلاثة الخطرين".

جلس براند، ووضع مقعده بجانب آرون-ري، وطوق بيده مؤخرة عنق الصبي ثم قال: "من الأفضل أن نخبرنا الآن يا آرون، الآن والاستئال عقابك. لدي عائلة، ويجب أن أعود إلى المنزل. قل الحقيقة، أو في المرة القادمة التي أراك فيها، سأكون شاهداً على إعدامك. سيكي أبوك وأمك، ولكني سأقول لهما إنني طلبت منك قول الحقيقة، وإنك أصررت على الإنكار. أتريد أن يحدث هذا؟".

رفع آرون-ري رأسه من فوق الطاولة، وقال: "وهل سأتمكن من العودة إلى المنزل بعدها؟".

قال براند: "نعم. فهذا ما قتلته، أليس كذلك؟ اعترف، وإلا سأتركك وحيداً هنا وأعود إلى منزلي".

تتهد آرون-ري، وقال: "حسنًا. لقد فعلت هذا. كنت خائفًا ولذلك أطلقت النار عليهم، حسنًا؟".

قال ويتني: "أطلقت النار على مَنْ؟".

"إيه. بيجي ودوين ودابل دي".

عاد آرون-ري يبكي مرة أخرى.

قال ويتني: "أنت فتى شجاع".

ثم نظر باتجاه المرأة ذات الاتجاهين، ورفع إبهامه. فتح براند الباب ودخل ضباط يرتدون الزي الرسمي إلى الغرفة وأوقفوا آرون-ري كورديل على قدميه.

تصافح ويتني وبراند في سعادة وأظلمت الشاشة معلنة انتهاء الفيديو.

ضمت يوكي النص إلى أدلة الاتهام وعادت إلى طاولتها.

قال القاضي كويرك: "سيدة كاستيلانو، أديك شاهد؟".

كانت تتفوق على باريزي بما أنها كان مسموح لها باستدعاء شاهدين يستدعيهما الدفاع عادة. من الناحية القانونية، كانا "شاهدي دحض"، وكان

بإمكانها التعامل معهما كما لو أنها تستجوب شاهدي الخصم.

تمنت يوكي أن تتجح في مسعاها.

فقالت: "أدعو المحقق ستانلي ويتني إلى الشهادة".

الفصل 70

كان المحقق ستان ويتني، من قسم مكافحة المخدرات، يرتدي قميصًا وبنطالًا من الجينز وربطة عنق مخططة تحت سترة زرقاء داكنة. بدا محترمًا وجديرًا بالثقة، وكانت نظارته ذات الإطار السلكي تكمل الصورة. أقسم أن يقول الحقيقة كاملة ولا شيء غير الحقيقة، ثم اتخذ مقعده على منصة الشهود.

قضت يوكي بضع دقائق في إثبات أن ويتني كان يعمل لدى شرطة سان فرانسيسكو منذ ثماني سنوات، وأنه قضى السنوات الثلاث الأخيرة منها في قسم مكافحة المخدرات.

ثم طلبت منه أن يصف مقابلته مع آرون-ري. قال ويتني: "حسنًا، لقد كان مثل الكثيرين الذين يتعرضون لضغوط ويرتكبون جرائم بسببها. جميع مرتكبي الجرائم سواء فعلوها للمرة الأولى أم كانوا محترفين، كبارًا كانوا أم صغارًا، لا أحد منهم يعترف ويقول: "لقد فعلتها"، حتى لو قبضنا على الواحد منهم وهو يقف بجوار الجثة والمسدس في يده والدم يلطخ ملبسه".

قالت يوكي: "أفهم، ولكن بما أنها كانت جريمة قتل، فلماذا استجوب المشتبه به رجال من قسم مكافحة المخدرات؟"

قال: "لقد أوقفت الشرطة السيد كورديل لهروبته من وكر المخدرات وبيده مسدس. لقد قابلنا السيد كورديل من قبل، وفي البداية اعتبرناه شاهداً".

"أنت لم تقبض على السيد كورديل في المرات التي قابلته فيها من قبل، أليس كذلك؟"

"هذا صحيح".

"ولم يكن موضع اتهام في أي جريمة من قبل، أليس هذا صحيحاً؟"

"صحيح تماماً".

"إذن، ماذا كان سبب استدعاء السيد كورديل في المرة الأولى؟"

"لقد كان من المترددين على المنطقة. أحياناً كنا ندهم المكان ونجده هناك".

"حسناً. لذا أنت لم تعرف عنه قط أنه شخص عنيف، أليس كذلك؟"

"حسناً، لقد كان عنيفاً عندما قتل ثلاثة رجال".

"لكنك لا تمتلك أي دليل على أنه أطلق النار على أي شخص، أليس كذلك أيها المحقق؟"

"كان سلاح الجريمة في حوزته".

"وهل أخضعتم يدي السيد كورديل أو ملابسه للفحص بحثاً عن آثار البارود الذي كان سيثبت أنه أطلق النار بيديه من هذا السلاح؟"

"لا، لم نفعل".

"وهذا لأنكم عرفتم أنكم لن تجدوا أي آثار للبارود، أليس هذا صحيحاً أيها المحقق؟"

"كانت المقابلة تسير على ما يرام. لقد حصلنا على أجوبة، وكنا واثقين بأننا سنجد شهوداً على إطلاق النار".

كانت يوكي تتصبب عرقاً تحت بذلتها السوداء، ورأت أنها كانت تعامل ستان ويتني برفق مبالغ فيه. فوقفت على مسافة قصيرة من الشاهد، ونظرت له وقالت: "لكن الحقيقة هي أنكم لم تستدعوا شهوداً على حادثة مقتل هؤلاء الرجال الثلاثة، أليس كذلك؟"

"بلى".

"واستمر السيد كورديل على مدار أكثر من خمس عشرة ساعة متواصلة يخبركما أنه لم يطلق النار على أحد، أليس كذلك؟".
 "على ما أفترض".

"لكنكما لم تقبلا هذا".

"بدا واضحا لي أنه فعلها".

"لكنه ليس واضحا لي أيها المحقق. لم يكن لديكما شاهد، ولم تجربا اختبار آثار البارود، ولم يكن بحوزتكما أية أدلة جنائية، ولم يكن لديكما اعتراف لمدة ست عشرة ساعة تقريبا. أليس هذا صحيحا؟".
 "بلى".

قالت يوكي: "من مهام ضابط الشرطة استخلاص الاعتراف الذي يدين المتهم، هل أنا محقة أيها المحقق ويتني؟".
 "نعم".

"أليس صحيحا أن أي مراهق، وخصوصا إذا كان لديه تأخر ذهني، سيحاول إرضاء رجلي السلطة اللذين أخبراه أنه يستطيع العودة إلى المنزل؟ أليس هذا بالضبط ما أخبرتماه أيها المحقق؟ أليس بهذه الطريقة حصلتما على اعتراف السيد كورديل الزائف؟".

هب باريزي صائحا: "أعترض يا سيدي القاضي. أي من هذه الأسئلة تريد السيدة كاستيلانو من الشاهد الإجابة عليها؟".

وأجابت يوكي: "أسحب جميع الأسئلة يا سيدي القاضي".
 سرت همهمة خفيضة في القاعة؛ حيث بدأ الحضور يهمسون إلى بعضهم البعض. نظرت هيئة المحلفين إلى القاضي.

قال القاضي كويرك: "هل تريد استجواب الشاهد يا سيد باريزي؟".

الفصل 71

وقف لين باريزي، المدعي العام لمدينة سان فرانسيسكو والشريك بمكتب مورهاوس أند روجرز للمحاماة، والذي عُيِّن للدفاع عن المدينة ضد أي دعوى قضائية، وسار باتجاه الشاهد، المحقق ستان ويتني.

قال باريزي: "أيها المحقق ويتني. هل اعتقدت وقتها أنه كانت لديك أسباب لاعتقال آرون-ري كورديل بسبب إطلاقه النار على تجار المخدرات الثلاثة؟".
"بالطبع".

"هل اعتقدت أن السيد كورديل قتل الرجال الثلاثة؟".
"المتهم بريء حتى تثبت إدانته، لكنه كان المشتبه به الأول واعتقدت أنه هو من أطلق النار عليهم. إنه لم يكن يعرف أسماء القتلى فحسب، بل كان يحمل سلاحًا عندما قبض عليه هاربًا من مسرح الجريمة".

"هل ضربت السيد كورديل كي تجعله يعترف؟".

"لا، لم أفعل".

"هل هددته بأي اعتداء جسدي؟".

"لا".

"هل قرأت عليه حقوقه؟".

"نعم".

"إذن لماذا جعلته يوقع تنازلًا عن حقه في الحصول على محام؟".

"لأننا أردنا أن نوضح أننا منحناه كل فرصة لتوكيل محام وأنه هو من قرر ألا يفعل. كان هذا قراره ."

"وماذا عن الاتصال بوالديه؟"

"كانت هناك ملاحظة مرفقة بتقرير الشرطيين اللذين اعتقلاه تطلب عدم استدعاء والديه ."

سأل باريزي: "وهل تعرف لماذا؟"

"لقد أخبرهما أنه كان في الثامنة عشرة. من الشائع ألا يرغب المراهق في أن يعرف أبواه ما يفعله ."

"أكنت تعرف عمر آرون-ري؟"

"لا. لم تكن معه بطاقة هوية أو أي أوراق لإثبات الشخصية".

استدار باريزي كي يواجه المحلفين وسأل: "لماذا تعتقدان أنكما حصلتما على هذا الاعتراف بطريقة قانونية أيها المحقق ويتني؟"

أجاب ويتني: "لأننا استخدمنا الأدوات المتاحة لنا. لقد أردنا اعترافاً، وحصلنا عليه دون أن نفعل شيئاً خارجاً عن القانون. قال السيد كورديل إنه قتل هؤلاء الثلاثة، ورأيت أن هذه هي الحقيقة".

قال باريزي: "شكراً لك، أيها المحقق. ليس لديّ أسئلة أخرى لهذا الشاهد".

وبينما كان باريزي عائداً إلى طاولة الدفاع، صدرت بعض الهمهمات غير المفهومة مع حركة غير معتادة بين الجالسين.

قال القاضي: "هدوء"، وظل يضرب بمطرقة إلى أن ساد الهدوء، ثم قال: "أترغبين في إعادة استجواب الشاهد يا سيدة كاستيلانو؟"

"نعم، سيدي القاضي".

نهضت يوكي من خلف الطاولة، ومرت بباريزي دون أن تنظر إليه في طريقها إلى منصة الشهود.

وقفت أمام ويتني وقالت: "أيها المحقق ويتني، هل تتفق معي في أن آرون-ري قبل أن يقول إنه فعلها، أخبركما مراراً أنه لم يطلق النار على أحد؟"

أجاب: "مثل أي شخص آخر حققنا معه".

"الرجاء الإجابة عن السؤال. الحقيقة تقول إن السيد كورديل أخبركما أنه لم يطلق النار على أحد، أليس كذلك؟"

قال ويتني: "نعم، هذا صحيح".

"وهل يفاجئك أن تعرف أنه خلال التحقيق ذكر السيد كورديل أنه لم يطلق النار على أي شخص سبعمًا وستين مرة على مدار الاستجواب؟".

"لم أكن أعلم ذلك".

"حسنًا، لقد عددناها".

"حسنًا".

"وهل سيكون من المفاجئ أن تعرف أنه أيضًا خلال التحقيق الذي أجريرتماه، نفى أن يكون السلاح ملكه اثنتين وعشرين مرة؟".

"مجددًا، لم أكن أعد خلفه".

"ومجددًا أيها المحقق، نحن حسبناها. هذا يعني أنه لسبع وستين مرة نفى السيد كورديل إطلاق النار من السلاح، ولاثنتين وعشرين مرة نفى امتلاكه للسلاح. أيها المحقق ويتني، كم مرة أخبركما أنه أطلق النار على تجار المخدرات الثلاثة؟".

"مرة على ما أعتقد".

"مرة واحدة. وكان ذلك بعد أكثر من خمس عشرة ساعة في غرفة التحقيق، أليس كذلك؟".

أجاب ويتني دون أن تظهر عليه أية عاطفة من أي نوع: "نعم".

"ولم يكن لديكما أي شاهد أو أدلة تؤكد اعتراف الصبي، أليس كذلك؟".

"نعم".

سألت يوكي: "وهكذا أنهكتما الصبي حتى قال في النهاية إنه فعلها، هل أنا محقة؟".

نظر ويتني إليها دون رد.

قالت يوكي: "لا يمكنك الإجابة، أليس كذلك؟".

تركت سؤالها معلقًا في الهواء، ثم قالت: "لقد انتهيت يا سيدي القاضي. ليس لدي المزيد من الأسئلة لهذا الشاهد".

الفصل 72

مررت ناتالي فاترمان جهازها اللوحي إلى يوكي كي تتمكن من قراءة كلمة "رائعة" التي طبعتها عليه بأحرف كبيرة. ابتسمت يوكي، ثم نهضت لتبدأ استجواب المحقق ويليام براند.

دخل براند من الباب الدوار الموجود في مؤخرة القاعة، وسار على الأرضية الصلبة المصنوعة من الخشب، حتى وصل إلى منصة الشهود، ثم ذكر اسمه وأقسم على قول الحقيقة، ثم جلس على مقعده.

اقتربت يوكي منه، فرأت الغضب واضحاً على وجهه المربع، والتوتر يتبدى على جسمه المفتول العضلات، بينما أخفت ياقة قميصه عنقه تقريباً.

بدأت يوكي هجومها على الفور.

"سيد براند، أكنت تعرف آرون-ري كورديل قبل أن يصبح المشتبه به في جريمة قتل ثلاثة تجار مخدرات؟"

"نعم".

"وكيف عرفته؟"

"لقد رأيته بضع مرات في وكر المخدرات عند تقاطع شارعي تورك ودودج عندما داهمناه".

سألت يوكي: "وهل حدث أن فتشتموه بحثاً عن مخدرات أو أسلحة؟"

"نعم".

"كم مرة؟".

"مرتين فيما أعتقد".

"لكنكم لم تعثروا على مخدرات أو أسلحة بحوزته، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح".

"هل كان صبيًا عدوانيًا؟".

"لا".

"إذن كيف تصف شخصيته؟".

"كان فتى ضخماً غيبياً دائم التسكع في وكر للمخدرات. إنني لم أدرس شخصيته أو أقيمها، ولم أنتبه له كثيراً".

"لكنه لم يكن لديه سجل جنائي قبل إلقاء القبض عليه لحيازة سلاح، أليس كذلك؟".

"بلى".

"وهل كان عدوانيًا عندما استجوبته بخصوص حادثة إطلاق النار في السادس عشر من فبراير لهذا العام؟".

"لا".

"أيمكن أن تصف سلوكه في بضع كلمات؟".

"تهدد براند، ورفع كتفيه في ملل، ثم قال: "كان بيكي، وينفي وجود أي صلة له بما حدث".

قالت يوكي: "إذن دعني أتأكد من أنني أفهم الوضع: لقد رأيت السيد كورديل من قبل، ولم يكن معروفًا لديك باعتباره مدمن مخدرات أو حاملًا للأسلحة.

كما أنه لم يكن لديه سجل إجرامي، أليس كذلك؟".

"بلى".

"لكنكما في هذه القضية دفعتماه إلى الاعتراف بجريمة نفي ارتكابها، أليس هذا صحيحًا؟".

"كان بحوزته سلاح الجريمة أيتها السيدة. وقد قتل هؤلاء الرجال برصاص في الصدر من مسافة قريبة. لا يمكن أن يقترب أحد من إيه. بي جي وصديقيه

وبيديه سلاح إلا إذا كان شخصًا غيبياً كأرون. هل تفهمين ما أقوله؟ لم يكن

القتلى خائفين ممن هاجمهم - من آرون-ري. لو كان المهاجم شخصاً آخر كانوا سيدافعون عن أنفسهم".

لقد أخبر براند يوكي شيئاً لم تسمعه من قبل. إذا كان قد ارتكب خطأ، فربما تتمكن من الاستفادة منه للتشكيك في مصداقيته.

ولكنها ربما تكون على وشك ارتكاب خطأ كبير هي نفسها.

الفصل 73

القاعدة الأولى للاستجواب هي ألا تسأل الشاهد سؤالاً إذا لم تكن تعرف الإجابة.

لكن في بعض الأحيان تحتاج إلى المجازفة.

قالت يوكي: "أيها المحقق براند، لقد وصفت للتو آرون—ري كورديل بوصف "الغبّي"، وأنه الشخص الوحيد الذي بإمكانه أن يقترب بما يكفي من تجار المخدرات وإطلاق النار عليهم من مسافة قريبة، أليس كذلك؟".

"بلى".

"لكنك لم تكن تعلم أن الطلقات التي قتلت هؤلاء الرجال الثلاثة أطلقت من مسافة قريبة، أليس كذلك؟".

"لا أفهم السؤال".

"سأعيد صياغته. قبض على السيد كورديل لحمله سلاحاً ظهر يوم السادس عشر من فبراير. تم إحضاره إلى القسم، وبعدها على الفور تقريباً، بدأتما استجوابه حتى صباح يوم السابع عشر. لكن متى رأيت جثث القتلى؟".

قال براند: "بعد يومين".

"أي بعد يومين من استجوابك للسيد كورديل؟".

"هذا صحيح".

"إذن، وإذا كنت أفهم جيداً، فإنك عندما رأيت جثتهم، كانوا في المشرحة، أليس هذا صحيحاً؟".

بدا براند مرتبكاً، وكأنه يفكر ملياً فيما عليه أن يقوله، محاولاً فهم ما ترمي إليه، إذ ربما يدرك خطأه، ثم أجاب: "بلى صحيح".

"إذن، ولكي نكون واضحين، فإن شهادتك التي أدليت بها منذ بضعة دقائق غير صحيحة، أليس كذلك؟ لقد رأيت الجثث بعد عدة أيام من انتزاعك اعتراف السيد كورديل، أليس كذلك؟".

"لقد أخطأت في تقدير الوقت. هذا كل شيء".

"إذن، لم تكن تعرف مدى قرب أو بعد القاتل من الضحايا عندما استجوبت السيد كورديل، أليس كذلك؟".

"قلت لك إنني أخطأت في تقدير الوقت".

استمرت يوكي في الضغط قائلة: "إذن بحسب فهمي، كنت تستجوب صبيّاً غيبياً" وحيداً دون وجود محام أو حضور عائلته، وقررت أن تتهمه صراحة دون شاهد، ودون أدلة جنائية، ودون حتى نظرية. فالنظرية التي ذكرتها كوّنتها في وقت لاحق، لكنك أولاً أنهكت الصبي المسكين إلى أن حصلت أخيراً على اعتراف، والذي كان كل ما تريده، أليس هذا صحيحاً أيها المحقق براند؟".

قال براند: "هذه طريقتك في التعبير عما حدث".

قالت يوكي: "نعم، هذا صحيح. ليس لديّ أسئلة أخرى يا سيدي القاضي".

سأل القاضي: "سيد باريزي، هل تريد استجواب هذا الشاهد؟".

ظل باريزي في مقعده خلف طاولة الدفاع، وبدا غير منزعج، كأنه يحمل جميع الإجابات الصحيحة، فقال: "أيها المحقق براند، هل كنت صديقاً لتجار المخدرات الذين قتلوا؟".

"ماذا؟ بالطبع لا".

"هل هناك أي شيء يجعلك تُعادي السيد كورديل؟".

"لا مطلقاً".

"إذن، فيما يتعلق باستجوابك العنيف للسيد كورديل، فإن هذا هو ما تفعله عندما يكون لديك مشتبه به رئيسي، أليس هذا صحيحاً؟".

"بلى صحيح".

"هل تصدق الاعتراف الذي حصلت عليه من المشتبه به؟"

قال براند: "بكل تأكيد. لقد قال إنه فعلها. نحن سمعناه يقول ذلك بأذانتنا، وصدقنا اعترافه".

قال باريزي: "شكراً لك أيها المحقق براند. ليس لديّ أسئلة أخرى لهذا الشاهد".

قال القاضي: "إذا لم تكن للسيدة كاستيلانو أسئلة أخرى، فيمكن للشاهد الانصراف".

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل 74

رفعت الجلسة لهذا اليوم، وفي اللحظة نفسها وصلت يوكي رسالة نصية من برادي تقول: تعرض توني ويليس للضرب. إنه في جناح السجن داخل مستشفى سان فرانسيسكو العام، وقد سألت عنك.

هرعت يوكي لسيارتها، وتوجهت نحو مستشفى سان فرانسيسكو العام، حيث يودع السجناء الذين يحتاجون إلى رعاية صحية.

كان توني ويليس، الملقب بتوني الصغير، مشتبهًا به في مقتل آرون-ري كورديل. لقد أنكر أنه كان هو الفاعل، لكن عندما تحدثت معه مؤخرًا، أشعرها أنه يعرف من قتل آرون-ري.

ربما سيخبرها الآن.

هذا إذا عاش.

كان الزحام المروري خانقًا، وكانت يوكي مصممة على عدم التسبب في حادث أو التأثر بما يحدث والاستسلام للغضب. تركت المرآب، واستدارت يسارًا نحو شارع بولك وعبرت من شارع ميشن. استغرقت ما يقرب من نصف ساعة وميلين ونصف للوصول إلى شارع ٢٢، و٢٠ دقيقة أخرى لركن السيارة والوصول إلى المستشفى.

عندما وصلت إلى جناح (٧د)، في وحدة الجراحة، كان توني ويليس لا يزال على قيد الحياة يستنشق الأكسجين عبر الأنبوب. وكانت هناك أسلاك ملصقة في صدره، بينما تقطرت السوائل عبر أنابيب أخرى إلى عروقه.

أخبر الطبيب يوكي: "هذا الشاب فقد الكثير من الدماء، وهو مصاب بجروح في عدة أعضاء رئيسية. إنه يتناول مسكنات الألم، ولا أستطيع أن أعدك بأنه سيتعرف عليك".
"لقد سألت عنى".

"أنفهم ذلك، ولكن لا تطيلي الزيارة. خمس دقائق فقط، اتفقنا؟".

سارت يوكي عبر الممر الذي يمتد على طول الجناح. كانت جميع الأسرة الأحد عشر مشغولة، وكان ويليس في الطرف البعيد على اليسار. وصلت إلى السرير، وجذبت الستار لمزيد من الخصوصية، ووضعت مقعداً إلى جوار السرير.

بدا توني ويليس، البالغ طوله مترًا ونصف المتر، صغير السن عندما قابلته للمرة الأولى، لكنه الآن بدا أصغر سنًا وحجمًا بكثير، بخصلات شعره المموجة، وغطاء سريره القطني الخفيف الذي رُفِع حتى وصل إلى تحت إبطيه، بينما أحاطت به الشاشات التي تعرض نبضات قلبه وأجهزته الحيوية.
"توني؟ هذه أنا، السيدة كاستيلانو".

فتح توني ويليس عينيه، وتقلص وجهه من الألم، ثم وضع يده على صدره وقال: "أهلاً. لقد جئت".
"كيف حالك؟".

"كحال أي رجل أبرحته جماعة من الرجال البيض ضربًا، ثم مزقوه بالسكين في كل مكان".

"هذا ما سمعته. حافظ على قوتك، اتفقنا؟".

قال: "حسنًا. لدي شيء لأقوله".

قالت يوكي: "تفضل".

"أريدك أن تكوني محاميتي كي أضمن لنفسى السرية التي تتبعونها بين المحامي وموكله".

"هل تريدني أن أمثلك يا توني؟ الأمر يحتاج لأكثر من ذلك؛ فعلياً دراسة قضيتك. كما أنني لا أعرف ما التهم الموجهة إليك. والقرار ليس في يدي، فأنا أعمل لحساب غيري".

"سيدة كاسيلاندرو، يجب أن تستمعي إليّ. أحتاج إلى ميزة السرية بين المحامي والمريض الآن. هل تسمعينني؟".

كان يتنفس بصعوبة، ومن الواضح أنه يتألم، وقد يموت.
قالت يوكي: "حسناً، حسناً يا توني، سأكون محاميتك. ماذا لديك لتخبرني به؟".

"رسمياً؟".

أمسكت بيده المضمدة وصافحته بلطف، وقالت: "أجل، رسمياً".

"حسناً. لديّ اعتراف. أنا من قتلت آرون—ري".

شهقت يوكي: "أنت قتلته؟".

"لقد أمروني بالتخلص من كورديل بسرعة. بعدها كان من المفترض أن أنقل إلى كوركوران، ولكن يمكنك أن تري أن ذلك لم يحدث".

قالت يوكي: "أنا لا أفهم".

كانت تحاول أن تفهم ما يقوله، لكن الصورة كانت مفككة ولا يمكنها تركيبها. من الذي أمر توني الصغير بقتل آرون—ري ووعدته بالحماية أيضاً؟ من الذي قد يفعل هذا بحق السماء؟ ومن الواضح أيضاً أنه لم يف بوعدته.

سألته يوكي: "من فعل هذا يا توني؟".

"استمعي لي يا سيدة قبل أن أموت. من طلب مني ذلك كان شرطياً".

"أي شرطي؟ أخبرني باسمه".

"إنه معروف باسم "واحد"، أي رقم واحد".

"لكن يا توني هذا ليس اسماً. ما المعلومات التي يمكنك أن تعطيني إياها؟ لا أستطيع إبرام صفقة معك إذا كان كل ما ستخبرني به هو أنك قتلت آرون—ري. فلم يعد أحد يبحث عن قاتله".

كان توني يجاهد ليتنفس. في أي لحظة الآن ستحضر ممرضة لتطلب منها المغادرة. أمسكت بيده وقالت:

"يجب أن تعطيني شيئاً أعتمد عليه يا توني. هل تفهم؟ الرقم واحد معلومة غير كافية".

قال "قد لا تبدين قوية، لكنك كذلك"، ثم ابتلع توني ريقه بصعوبة، وأردف: "أرتورو. مينديز. اعشري عليه. إنه صديق آرون. لقد رأى مَنْ أطلق النار على تجار المخدرات".

"كيف أجده؟"

أغلق توني عينيه، وصار تنفسه يزداد صعوبة.

ثم قال: "اللجنة! هل عليّ فعل كل شيء بنفسي؟ أسألي والدة آرون".

قالت يوكي: "اصمد، وسأفعل كل ما بوسعي".

الفصل 75

اتصلت يوكي بوالدة آرون—ري، السيدة بيا كورديل، التي كان هاتف ابنها بحوزتها، وعليه وجدا رقمًا يحمل اسم "أرتورو". أرسلت يوكي رسالة لأرتورو، وعادت لترد على رسالته، ثم أرسلت رسالة أخرى.

وبعد ساعة، في الثامنة مساءً تقريباً، كانت تقف بالقرب من تقاطع شارعي تورك ودودج، وهي منطقة خطيرة تواجه مباشرة الشارع الذي يقع فيه وكر المخدرات المكون من ثلاثة طوابق.

لم تحتج يوكي للانتظار طويلاً.

خرج صبي من المطعم الصيني المجاور لوكر المخدرات. كان طوله تقريباً خمس أقدام وثمانين بوصات، ووزنه حوالي ١٤٠ رطلاً، وكان يرتدي بنطالاً من الجينز متدلياً أسفل وركه، ليظهر من تحته سرواله الداخلي القصير المقلم، وفوقه سترة داكنة اللون، وسماعات جهاز الأيبود تتدلى من أذنيه.

ظل يقف في الزاوية لفترة، ينظر في كل اتجاه، وإن كانت عيناه تتمهلان للحظات كلما وقعت على سيارتها السيدان البرونزية ذات البابين.

عندما هدأت حركة المرور، عبر الصبي الشارع، وهو يهز رأسه مع إيقاع الموسيقى، وظل يسير إلى أن وصل لنافاذة سيارتها.

"يوكي؟".

"أرتورو. اركب السيارة".

فكرت يوكي أنه إذا رآها برادي تدعو تاجر مخدرات إلى سيارتها، فإنه كان سيجنُّ حتماً. ركب أرتورو السيارة وأغلق الباب قائلاً: "لديّ دقيقة واحدة".

"هل أفهمتك السيدة كورديل؟ أريد أن أعرف ما حدث ذلك اليوم في وكر المخدرات".

"وعلى ماذا سأحصل مقابل ذلك؟".

"ستحصل على فرصة لفعل الشيء الصحيح. ومحامية مجانية، إذا احتجت إليها؟".

"نعم، محامية مجانية. اتفقنا".

تصافحا معنيين اتفقا، ثم أخرجت يوكي بطاقة من حقيبتها وسلمتها إلى أرتورو. يا للسماء. لقد صار لديها ثلاثة زبائن في يوم واحد. في الوقت نفسه، ظلت عينا أرتورو تجوبان الطريق في ترقب. عندما خلت الأرضفة من المارة بدأ الحديث.

"لم يطلق آرون النار على أحد. من فعلها كانوا ثلاثة رجال - رجال بدوا من الشرطة، لقد ارتدوا سترات الشرطة على أية حال. عندما صعدوا إلى الطابق الثاني هرب الجميع، لكنني كنت قادمًا لحظتها من المرحاض ورأيت ما حدث". كانت يوكي مذهولة، بل بالأحرى مصدومة.

"أقول إن من أطلقوا النار على تجار المخدرات كانوا من الشرطة؟".
 "لا أعرف إذا كانوا من الشرطة أم لا، لكنهم كانوا يرتدون سترات الشرطة، وكانوا يحملون أسلحة. أخبرونا أنهم من "شرطة سان فرانسيسكو"، لكنهم كانوا يرتدون أقنعة بلاستيكية. لقد دفعوا إيه. بيجي ودوين ودابل دي نحو الجدار، وفتشوهم وأخذوا المال، والمخدرات، والأسلحة، والهواتف، التي على حد علمي تحمل صوراً لرفيقاتهم. هنا سألهم إيه. بيجي: هل انتهيتم؟. فأجاب أحدهم، والذي بدا أنه زعيمهم: "آسف. ضع نفسك في مكاني"، أو قال شيئاً من هذا القبيل، وقتلهم جميعاً ببساطة".

بدا الحزن على أرتورو، وكأنه يرى المشهد مجدداً، وهز رأسه كما لو أنه لا يستطيع التخلص من الذكرى.

قالت يوكي: "أرتورو. لماذا لم أسمع بهذا من قبل؟".

"لأنني كنت الوحيد الذي رأى ما حدث. ثم رأيت الرجال الثلاثة يهبطون الدرج وكأن شيئاً لم يحدث".

سألت يوكي: "ثم ماذا؟".

"انتظرتُ بضع دقائق، وتأكدتُ من خلو المكان، وكنت على وشك الخروج، عندما رأيت آرون—ري يصعد إلى الطابق العلوي. لم يكن يعرف شيئاً عن إطلاق النار وجاء يبحث عن أصدقائه كما تعود أن يفعل دائماً. كانوا يعاملونه بود. لم يكن قد رأى شيئاً حتى تلك اللحظة، ونظر لي قائلاً: انظر ماذا وجدت على الدرج يا تورو. كان في يده سلاح القاتل — كان مسدساً عيار ٣٨.

قلت لآرون—ري: اخرج من هنا يا رجل، لكن الفتى رأى الجثث واقرب منها مذهولاً. كان يحبهم، وبدأ يبكي لكنني صحت فيه: هيا نخرج من هنا!"

"ثم هبطنا الدرج. كان آرون—ري يسبقني، وبحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى الشارع، رأى بعض رجال الشرطة هذا الفتى الضخم وطاردوه بسيارتهم، ثم خرجوا وأوقفوه وألقوا به على الأرض".

استمر أرتورو يقول: "رأيت هذا، لكن خبريني، ماذا كان عليّ أن أفعل؟ الشرطة هي من هاجمت وأطلقت النار. كان عليّ أن أختفي عن الأنظار".

قالت يوكي: "هل تعرف ما حدث لآرون—ري في السجن؟".

"نعم، سمعت. كان الفتى يظن أن الجميع أصدقاؤه".

"أرتورو، هل يمكنك التعرف على الرجال المرتدين لسترات الشرطة؟".

"لا، وخصوصاً الزعيم. ربما أستطيع التعرف على أحد الرجلين الآخرين، ربما. كان لديه وشم دقيق على رقبتة، وأظن أنني رأيت وشمًا مثله على رقبة أحد محققي جرائم المخدرات".

شعرت يوكي بدفقة من الأدرينالين تسري في دمها، لكنها أبقت تعبير وجهها محايداً قدر الإمكان. قالت: "أنا أقاضى المدينة نيابة عن عائلة آرون، وأحتاج إليك يا أرتورو. أحتاج إلى أن تدلي بشهادتك من أجل آرون—ري".

"وماذا سيحدث بعدها؟ سيقتلونني مثله".

قالت يوكي: "سأرى ما يمكنني فعله".

قال أرتورو: "آه، نعم. أصدقك"، وكان على وشك الخروج من السيارة، لكن يوكي أمسكت بذراعه.

وقالت: "أنا محاميتك، ولديّ نفوذي. إذا اتصلت بك، أجب على الاتصال. هذا يعني أنني أستطيع أن أجلب لك كل ما تحتاج إليه".
خرج أرتورو من السيارة ولم ينظر خلفه.

جلست يوكي في السيارة وشاهدته يعبر الشارع بالطريقة نفسها التي جاء بها. ثم فعلت ما لا يمكن تصوره. اتصلت يوكي برئيسها السابق وخصمها الحالي، ريد دوج باريزي، وعندما أجب قالت: "لين. معك يوكي. لديّ شاهدان جديان يمكنهما قلب القضية رأساً على عقب. نحن بحاجة إلى الاجتماع فوراً".

الفصل 76

في الطريق إلى المنزل بعد يوم آخر غير مثمر من استجواب أصدقاء وجيران عائلة كالهون، وجدت نفسي أفكر في تينا ستريلير. فانتهزت تلك الفرصة، واتصلت بالسيد والسيدة ناثن جوسلين من السيارة.

كان الزوجان جوسلين في بالمي آلي عندما طُعن تينا ستريلير حتى الموت على قارعة الطريق، وقد رأت السيدة جوسلين القاتل الذي كان يحمل سكيناً في الواقع، لكن من الخلف ومع وجود العديد من الناس بينها وبينه. كان كونكلين قد أجرى مقابلة مع ناثن وأليسون جوسلين في مكان الجريمة، وكذلك تحدث إليهما المحققان مايكلز ووانج، الشرطيان المسئولان عن القضية.

ولكن لأن الزوجين جوسلين أخبراهم أنهما لا يستطيعان التعرف على المجرم، تم استبعادهما. في الواقع، كنت متأكدة أن القضية بأكملها قد حفظت الآن، وأن كل شرطي في مقر قيادة الشرطة صار يعمل على قضية عصابة سترات الشرطة.

بدا الزوجان سعيدين لأنني اتصلت بهما، وأخبراني أنهما لم يتوقفا عن التفكير في تلك المرأة التي قتلت في الشارع أمامهما. أعطاني السيد جوسلين عنوانهما، الذي اتضح أنه كان في بناية سكنية هادئة تقع بين شارعي إليزابيث

ودايموند. أدخلتني السيدة جوسلين من البوابة، واستقبلتني ورحبت بي في منزلها.

قلت: "شكرًا على وقتكما. أحتاج إلى التطرق لأحداث ذلك اليوم مجددًا". بعد فراري من الموت في منزل واين بروارد، كنت أتوخى الحذر عند دخول أي منزل. أبقيت عيني على السيدة جوسلين، وهي تسير إلى المطبخ، حيث كان السيد جوسلين يجلس على الطاولة التي حملت بقايا عشاءه. قلت له: "أرجوك لا تنهض".

قال ناثن جوسلين: "تفضلي بالجلوس. ماذا يمكنني أن أحضر لك؟". قلت: "لا شيء، شكرًا. أنا فقط بحاجة إلى بضع دقائق من وقتكما". قلت ذلك، لكنني أملت أن تكون الدقائق القليلة التالية زاخرة بالمعلومات التي ربما تذكرها مؤخرًا وربما تحمل مفتاحًا لحل القضية.

اتخذت مقعدًا بجوار الطاولة وطرحت الأسئلة الاعتيادية: ماذا رأيتم؟ هل أنتم متأكدان من أنكما لم تريا وجه القاتل؟ هل يمكنكما تذكر أي تفاصيل بدت غير مهمة وقتها؟

تهتدت أليسون جوسلين وقالت: "لقد ظلت أفكر في هذا ليلاً ونهارًا. لكن عليك أن تفهمي أن هذا حدث بسرعة، وأن الشارع كان مزدحمًا بالناس الذين كانوا يحاولون الوصول إلى بيوتهم قبل حلول الظلام، كما أنني لم أكن أتطلع مباشرة إلى الرجل الذي ارتكب هذا الجرم الشنيع".

"أنفهم ذلك".

"لذا، وكما أخبرتكم وقتها، فما أنا متأكدة منه هو أنه كان أبيض البشرة، بني الشعر، ويرتدي سترة بيسبول سوداء. كان طوله عاديًا. لكنني لم أر وجهه. عندما سقطت د. ستريشيلير، أصيب معظم الناس بالذعر وفروا، وقد أردت العثور على زوجي والاتصال بالشرطة، وعندما عدت لأبحث عن ذلك الرجل، كان قد رحل.

قلت: "أليسون، من الواضح أنك امرأة ذكية للغاية، من النوع الذي يلاحظ التفاصيل الصغيرة. وبصراحة، هذا نوعي المفضل من الشهود. استخدمني مخيلتك بحثًا عن أي تفاصيل، هناك شيء آخر تتذكرينه؟ أي شيء مهما بدا لك بسيطًا؟".

قالت أليسون جوسلين: "لقد خطرت لي فكرة لكنني لم أبلغ أحداً بها في الواقع".

قلت: "حسناً، لم يفت الأوان بعد"، وقرّبتُ مقعدي من الطاولة.
 "حسناً. رأيت الكثير من رقم ثلاثة في ذلك اليوم".
 "رقم ثلاثة؟".

"نعم. كان هناك ثلاثة أشخاص بيني وبين الرجل الذي قتل د. ستريشليير. وقد وصلت ثلاث سيارات شرطة أولاً، وتحدثت معي ثلاثة من رجال الشرطة، ورأيت ثلاثة طيور سوداء فوق كابلات الهاتف".
 بذلت قصارى جهدي كيلا أنفجر في وجهها! حاولت السيطرة على نفسي وقلت: "أليسون...".

لكنها لم تكن قد انتهت بعد.

فقالت: "وكان هناك ٢ مسعفين يقفون حول جثمانها. والتاريخ كان الثاني عشر من مايو ١+٢=٣".

قلت: "حسناً، وماذا يعني ذلك بالنسبة لك؟".

أجابت السيدة جوسلين ضاحكة: "لا أعلم، أنتِ المحققة، أليس كذلك؟".
 يا إلهي! إلى متى سيظل طريقي مسدوداً؟

شكرت الزوجين جوسلين، وتركت لهما بطاقتي، وغادرت شقتيها.

ثم اتصلت بجو وقلت: "سأعود إلى العمل يا جو، اترك لي بعض الطعام. أنا آسفة، أقسم إنني سأعود للمنزل خلال ساعتين. أعدك".

الفصل 77

كان مقتل تينا ستريلير الدموي يزعجني كثيراً بما يتجاوز نظرية جو عن سلسلة جرائم يوم ميلاد كليز. قضية ستريلير لم تغلق بعد، لكنني كنت أعلم أن مايكلز ووانج لا يعملان عليها.

لقد أغضبني هذا، لكنني فهمته. لم يكن هناك شهود أو أدلة أو وقت للعمل على القضية، فأنحدرت مباشرة إلى أسفل القائمة.

لكن القضية كانت حقيقية وحيّة بالنسبة لي. كنت أرى دماء ستريلير تسيل عبر الطريق. لقد اطلعتُ على محتويات محفظتها ورأيتُ أنها كانت تمتلك عيادة أمراض نفسية. كانت أنيقة المظهر، وغالباً كانت تعيش حياة هانئة، لكنها انتهت على يد رجل مجنون بسكين – قاتل مجهول قد لا يُعرف أبداً.

بعد التحدث مع جو، توجهت إلى مقر قيادة الشرطة وصعدت إلى جناح الاحتجاز بالطابق السادس، وطلبت رؤية واين بروارد.

كان بروارد محتجزاً هنا لأنني اخترقت شرنقته الآمنة التي حصنها بكلب شرس وأسلحة متهالكة، وكان عليّ أن أحضر جلسة الاستدعاء الخاصة به في ذلك الصباح. لكنه لم يجب على سؤالي مطلقاً.

استخدمت نفوذي واستطعت نقله من زنزانه بعد ساعات الزيارة إلى إحدى غرف الاستجواب. عندما رأيته، ناداني بشوق: "حبيبتي، أعطيني قبلة". "هذا يخالف القواعد يا واين".

أجلسه الحارس على المقعد، وثبت أصفاده بخطاف في الطاولة. كان الحارس يعرف سبب احتجاز بروارد، فسألني: "أتريدني مني أن أبقى معك هنا أيتها الرقيقة؟".

"شكرًا يا سانتينو، لا تقلق، سأكون على ما يرام".

كان من المحرج أن يذكرني بما حدث، لكن الرجل الجالس أمامي كان بإمكانه قتلي. هذه هي الحقيقة. "لدي سؤال لك يا واين".

"أليس من المفترض أن يكون المحامي الخاص بك هنا؟".

"هذا لا علاقة له بقضيتك. أنت متهم بالاعتداء عليّ بسلاح قاتل".

ضحك واين وقال: "اعتداء. هذه مبالغة، ألا تظنين ذلك؟".

استمرت قائلة: "أنا متأكدة أن هذا هو الدفاع الذي سيستخدمه محاميك غدًا. وبالمناسبة، هل تتذكر سبب مجيئي لزيارتك في منزلك؟". "كلا. ذكريني".

أخرجت صورة تينا ستريشليير من جيب سترتي.

كانت الصورة مجمدة ولكن كان لا يزال من السهل التعرف على صاحبها.

"هل سبق لك أن رأيت هذه المرأة؟".

"لا أذكر في الواقع. ذكريني".

"هل تعرفها يا واين؟ هل سبق لك أن رأيتها؟".

"إنها تبدو مألوفة".

حقًا؟ شعرت بشيء من الأمل.

قال: "انتظري. ألم تريني صورتها من قبل؟".

أومأت برأسي وقلت: "نعم. لقد أريتك الصورة من قبل".

هل كان واين بروارد حقًا بهذا الجنون؟ أم أنه يمثل دور المخبول أمامنا فحسب؟ لقد تعاملت مع قتلة مخابيل من قبل، ولم يكن واين بروارد مجنونًا مثل بعضهم في الواقع.

أخبرت واين أنني سأراه قريبًا وناديت الحارس.

غادرت مقر قيادة الشرطة في حوالي الثامنة والنصف مساءً، وقدمت سيارتي

إلى المنزل. طوال الوقت كنت أحاول إخراج الدكتورة تينا ستريشليير من رأسي، لكنني لم أتمكن مطلقًا.

الفصل 78

لم يكن جو في مزاج جيد.

"قلت إنك ستعودين في السابعة يا ليندسي".

"أنا آسفة".

"حسنًا".

كان وجهه قاسيًا، كما لو أنه كان يتميز غيظًا منذ فترة. عندما احتضنته

شعرت بأنني أحتضن شجرة.

"أنا آسفة. هل حدث خطب ما؟"

قال: "لا. كان يوما معتادًا لأب وحيد. نظفت المطبخ، وغسلت الملابس،

ونظفت السجاد، وعبأت حقيبة لغرض التبرع الخيري، وذهبت بصحبة جولي

ومارثا إلى السوق. ثم عدنا وبدأت تحضير العشاء؛ فقشرت الخضراوات وقطعتها

وظهوت العشاء. بعدها حممت جولي، وهددهتها حتى نامت، وقصصت أظافر

مارثا، ثم تناولت العشاء وحيدًا. بعد ذلك نظفت المطبخ، وأخرجت القمامة،

ورتببت الفراش، وأرسلت ثلاثة طلبات لوظائف استشارية في العاصمة. آه، كما

تلقيت اتصالاً من إيفان مونرو، الذي كان يبحث عنك".

"ومن هو إيفان مونرو؟"

"شقيق تينا ستريشليير".

شقيق تينا ستريشليير اتصل بي؟ لماذا؟ أرجأت التفكير في هذه المعلومة

في الوقت الراهن.

قلت لجو: "هل كنت ستفجر في وجهي هكذا إذا عدت إلى المنزل في السابعة؟".

"أشك في ذلك. أنت تستغليني يا ليندسي".

كنت أفهم ما يعانیه. بينما كنت بالخارج أمارس عملي طوال اليوم، كان يحاول تدبير شؤون المنزل والاعتناء بالصغيرة وحيواننا الأليف دون تحفيز من أحد أو التمكن من الحديث مع شخص ناضج. فهمت أنه لم يكن يتميز غيظاً اليوم فقط؛ بل هي تراكمات أيام تشبه هذا اليوم، فضلاً عن حقيقة أنني أعمل في وظيفة شديدة الخطورة تتبغني حتى في البيت، هذا إذا عدت إلى البيت. أخبرت جو بكل هذا، وبذلت قصارى جهدي في الاعتذار له. قلت إنني سأحرص قدر الإمكان على عدم العمل لساعات متأخرة، وإنني مدينة له بالكثير، وإنني غداً سأحضر جلسة أطفال كي يتمكن من الخروج لتناول العشاء وحدنا "في أي مكان".

ثم توقفت فجأة عن استجداء رضائه.

قال: "حسناً، حسناً، انسي الأمر. أين كنتِ إذن؟".

"ذهبت لرؤية واين بروارد".

"في السجن؟ وماذا حدث؟".

"إنه مخبول. يجب أن يظل محبوساً. أمل أن يحصل على محام فاشل".
لم يسامحني جو تماماً، لكنه ضحك. ثم أخرج طبق طعام من الثلاجة، فنهضت وأخذته منه.

لكنه قال: "يمكنني تسخين هذا. اجلسي".

وضع طبق الدجاج والفاصوليا الخضراء في الميكروويف، وسكبت أنا كأسين من العصير. وفي أثناء ذلك خلعت حذائي، ووضعت سلاحبي بعيداً، ثم ذهبت لتفقد جولي التي كانت تنام بعمق. سمعت صفير الميكروويف.

كان جو يعمل على حاسوبه بينما تناولت عشائي، وكان هذا مقبولاً. كنت أفكر في الرسالة التي تركها لي إيفان مونرو، متسائلة عما إذا كان هذا هو الوقت المناسب لمعاودة الاتصال به؛ وربما يثير الرد على تلك المكالمات استياء زوجي أكثر.

قمت بتنظيف المطبخ، وبعد أخذ دُش سريع وتغيير ملابسِي، قلت:
"ما الذي أراه إيفان مونرو يا جو؟"

"أعطاه وانج اسمك، وأعتقد أنه فعل هذا لأنك كنت الضابط الأول، لذا اتصل بك مونرو لأنه لم يكن هناك أي تحرك في القضية، وأخبرني أنه ربما يعرف شيئاً عن قاتل الدكتور تينا".
قلت: "أقال هذا حقاً؟".

"كان مشوشاً يا ليندسي. أخبرته بأنك ستعاودين الاتصال به، لكنه لم يسمح لي بإنهاء الاتصال. أخبرني أن تينا تعرضت للاغتصاب في أثناء فترة دراساتها العليا، وأنها استطاعت التعرف على الرجل؛ فسُجن لخمس وعشرين عاماً. ثم رآته بعدما أطلق سراحه قبل مدة، وأخبرت إيفان أنها لم تعد متأكدة من أنه الشخص الذي اغتصبها".
"وهل خرج الرجل من السجن؟".

"نعم. انتهت مدته قبل خمس سنوات، في بداية مايو".

"تباً. وهل أخبرك إيفان مونرو باسم الرجل؟".

"كليمنت هابل. بحثت عنه على قاعدة بيانات برنامج احتواء جرائم العنف".

سار جو إلى غرفة الجلوس وجلس على الأريكة. جلست بجانبه، فوضع ذراعه حولي، وأسعدني هذا كثيراً.

ثم قال: "خرج هابل في الخامس من مايو قبل خمس سنوات. إذا كانت تينا قد أخطأت في التعرف عليه، فقد أتيح له وقت طويل ليضع خطة للانتقام. ولكن ربما كان من الصعب العثور عليها بعد قضاء كل هذا الوقت في السجن. كان يعرفها باسم تينا مونرو وقت واقعة الاغتصاب. لكنها تزوجت وطلقت واحتفظت باسمها بعد الزواج".

قلت وأنا أضع يداً على ساق زوجي: "دعنا نرى كيف يبدو هابل".

انحنى جو إلى الأمام، وفتح حاسوبه المحمول، وبحث عن صور ملفه الجنائي. كان أبيض البشرة بني الشعر متوسط الطول، يبلغ طوله حوالي خمس أقدام وعشر بوصات.

وكان طليقاً منذ الخامس من مايو قبل خمس سنوات.

الفصل 79

لم يستغرق جو وقتاً طويلاً في تحديد موقع كليمنت هابل، الرجل الذي أدين بتهمة الاغتصاب، وقضى عشرين عاماً في سجن تشينو، ثم أطلق سراحه قبل أسبوعين من أول جريمة قتل في سلسلة الجرائم الخمس السنوية التي يرى جو أنها مرتبطة بعضها ببعض، والتي وقعت كل منها في الثاني عشر من مايو. بعد تناول الغداء مع جولي وجليستها، تحرك جو تحت السماء المشمسة نحو منطقة إيدجهيل ماونتين، حيث يقع منزل دينيس وكليمنت هابل.

كانت منطقة إيدجهيل ماونتين عبارة عن مشروع سكني قديم وناء، تتخلله الطرق المتعرجة والمنازل الصغيرة والمتباعدة التي تطل على المحيط الهادئ وشاطئه. عرف جو من جهاز تحديد المواقع العالمي بسيارته أنه كان يقترب من وجهته، ثم رأى على يساره منزلاً أبيضاً ذا لون أصفر داكن بأبواب حمراء، يقف وحده على جانب الطريق.

أبطأ جو السيارة كي يلقي نظرة على الحديقة المسيجة أمام المنزل، حيث انحنت امرأة عجوز ترتدي سروالاً أحمر وسترة صوفية وردية تزيل الأعشاب الضارة.

تفقد جو رقم صندوق البريد، ثم أوقف سيارته المرسيديس في الممر بجانب سيارة تويوتا متهالكة، بعدها أخرج سلاحه من صندوق التابلوه، ووضعه في الجراب، وارتدى سترته الجلدية المبطنة وخرج من السيارة.

ثم وضع يديه في جيبيه، وسار إلى البوابة وألقى نظرة على الحديقة. كانت المرأة المشغولة بتنقية العشب تتمتع بوجه جميل، وكانت ذات شعر أبيض وملامح أشبه بملامح الدمى. بدت في منتصف السبعينيات من عمرها، وربما كانت والدة هابل.

قال جو: "سيدة هابل؟"

نظرت المرأة لأعلى، ورفعت ذراعيها لتحمي عينيها من الشمس.

قالت: "أوه، مرحباً يا جيرى، أين كليم؟"

"لا يا سيدتي. اسمي جو موليناري، ولم يسبق أن التقينا. هل أنتِ والدة كليم؟"

"نعم، أنا دينيس، لكن كليم ليس في المنزل. اعتقدت أنه كان معك". ثم ضحكت المرأة، ونهضت، ونظفت ركبتيها من الغبار.

قالت: "تعال. لديّ فطيرة توت في الفرن، وبرطمان لا أستطيع فتحه بنفسى".

قال جو: "بالتأكيد"، وفتح الباب لتمر دينيس هابل، التي ظلت تثرثر، بينما كانت تقوده نحو المنزل، عن زراعة أنواع الفلفل المختلفة. تردد جو في الدخول إلى المنزل، لكنه حسم الأمر وقرر المجازفة. لم يكن كليمنت هابل في المنزل، لكنه ربما استطاع استيضاح بعض الأمور من أمه.

تبع جو السيدة هابل حتى فتحت الباب الخلفي الذي قادهما مباشرة إلى المطبخ.

قالت السيدة هابل: "تفضل بالجلوس".

جلس جو أمام طاولة فورميكا حمراء، وأعطته برطماناً من شرائح الدراق، ثم انشغلت بأمور المطبخ.

فتح جو البرطمان وقال: "الجو جميل جداً هنا يا دينيس، كيف حال كليم؟". ضحكت وقالت: "أوه، مازال مجنوناً بعد كل هذه السنين، ويقضي معظم وقته في القبو".

ارتدت دينيس هابل قفازاً سميكاً وأخرجت الفطيرة من الفرن ثم وضعت الصينية بعنف على الطاولة. رأى جو على الفور أن الفطيرة لم تنضج بعد، لكن لم يبد على السيدة العجوز أنها أدركت ذلك.

"لنتركها تبرد دقيقة يا جيرى".

قال جو: "أسف، ولكن ماذا تقصدان بالحفرة؟".

خلعت دينيس قفازها، وسوت شعرها، وقالت: "هذا ما يطلقه على غرفته. فأى مساحة واسعة أو مشرقة تصيبه بالدوار. هل تذكر كيف اعتاد كلاكما الركض طوال الوقت؟ كنت أغري كليم بوجبة العشاء، وبمجرد دخوله، كنت أغلق الباب بسرعة".

ضحكت مرة أخرى. وكانت ضحكتها لطيفة للغاية.

قال جو: "أتظنين أنه سيمانع إذا رأيت غرفته؟ لديّ ملاحظة له سأتركها على منضدة الزينة الخاصة به".

قالت السيدة: "لا مشكلة. افعل. الغرفة في آخر الردهة، أنت تعلم أين هي. عندما تعود، سنتناول معاً القهوة والحلوى".

قال جو: "اتفقنا"، وخرج من المطبخ عبر الردهة، واجتاز غرفة المعيشة على يمينه، ثم غرفة نوم وردية الجدران على اليسار، ثم وجد الباب في نهاية الردهة.

أدار جو مقبض الباب متوقعاً رؤية "حفرة" كليم هابل، ولكن عوضاً عن أن يرى غرفة نوم، رأى سلالم متجهة نحو الأسفل. عثر على مفتاح إنارة، ووجد أن السلالم الخشبية تقود إلى غرفة في الطابق السفلي، ما يجعل من "القبو" اسماً على مسمى.

ترك باب المدخل مفتوحاً وبدأ النزول.

الفصل 80

عندما وصل جو إلى أسفل السلم، رأى أن القبو كان عبارة عن حجرة نموذجية تحت الأرض مشيدة من قوالب الإسمنت. أمكنه رؤية غسالة ومجفف، وسخان مياه، وفرن، بالإضافة إلى أكوام من الصناديق، وكومة من أثاث الحديقة، فضلاً عن أربع نوافذ صغيرة مرتفعة تسمح بدخول بعض الضوء.

لم يكن هناك سرير أو أريكة أو أي شيء يوحي بوجود شخص يعيش في ذلك المكان. ولكن في أسفل الدرج كان هناك باب ضيق بمقبض نحاسي لامع والذي قد يكون مدخل "حفرة" كليمنت هابل.

فكر جو مرة أخرى فيما كان يفعله، وكان متأكدًا من أنه لم يخرق أي قوانين. لقد تمت دعوته إلى المنزل، وحصل على إذن لمعاينة غرفة هابل. وهكذا أدار مقبض الباب وفتحه، فوجد نفسه أمام ردهة أخرى، هذه المرة كانت خالية تمامًا من أي ضوء.

ترك جو الباب مفتوحًا خلفه، وبعد أن ترك عينيه تتأقلمان على الإضاءة الخافتة، لاحظ أن أرضية هذا الممر كانت مصنوعة من الخرسانة المصبوبة، وأنه بحساب المنعطفات التي اتخذها، فإنه كان الآن أسفل الحديقة بعشرين قدمًا.

كوّر يديه ونادى: "مرحبًا!!!!!!"، لكنه لم يسمع إجابة أو صوتًا، فاستمر في المضي واضعًا يده على الحائط الإسمنتي متوجهًا نحو أسفل المنحدر، حتى

انتهى إلى غرفة فارغة لا تزيد مساحتها عن ١٢ X ١٢ قدمًا، مضاءة بمصباح أزرق باهت.

في منتصف أرضية الغرفة وجد جو كوة كان بابها مفتوحًا، ورأى سلمًا قابلاً للطلي متصلًا بفتحة الكوة، يمتد مباشرة إلى الأسفل حيث تكمن بقعة شاحبة من الضوء الأزرق.

نادى جو: "مرحبًا!!!!" مرة أخرى، ولكن كما حدث في المرة الأولى، لم يجبه أحد. كان فضوله أقوى من خوفه، ولكن هبوط هذا السلم كانت خطوة أخطر من كل ما سبق.

احتاج جو إلى وضع كلتا يديه على السلم، ما يعني وضع مسدسه في غمده، والنزول على غير هدى إلى مكان لا يعرف عنه شيئًا. وعلى الرغم من عدم وجود هابل بالمنزل، فإن جو كان قلقًا وشعر بأن هذه الحفرة ليست إلا فخًا.

وضع يديه على ركبتيه ونظر من الفتحة محدقًا إلى أسفل لكنه لم ير شيئًا سوى السلم الطويل والضوء الأزرق الخافت. قرر أن يعود أدراجه ويخبر دينيس هابل أنه سيعاود زيارتها مجددًا في وقت آخر.

لكنه بدلًا من ذلك، وجد نفسه يمسك بالسلم، ليتأكد من ثباته، ويضع قدمه على أعلى درجة، وبعد أن تأكد من ثباتها، بدأ النزول إلى أسفل.

عندما صارت كلتا قدميه على الخرسانة الصلبة، وجد جو مصدر الضوء: إنهما حاسوبان محمولان مفتوحان فوق مكتب رديء الصنع. تحرك نحو المكتب، على أمل العثور على مصباح، لكن فجأة أحاطت ذراع قوية بصدره من الخلف، والتصق نصل حاد بارد بجنجرتة.

قال حامل السكين: "من أنت بحق السماء؟"

الفصل 81

تجمد جو مكانه.

فكر في ركل ركبة الرجل، لكن احتمال أن يتسبب هذا في شق حنجرتة، جعله يرفع يديه ويقول: "لا شيء يدعو للقلق يا كليمنت. أنت بالتأكيد لست بحاجة إلى السكين يا رجل. طلبت والدتك مني النزول للاطمئنان عليك، هذا كل شيء. كانت قلقة. ألم تسمعي أناديك؟". حافظ جو على صوته ثابتاً، لكنه لم يتمكن من التحكم في دقات قلبه المتسارعة أو العرق الغزير الذي تفصد على شفته العليا.

خف ضغط الذراع المطوقة صدره قليلاً، ولكن اليد الممسكة بالسكين شددت قبضتها. شعر جو بالنصل يحز في جلده، وفي الوقت نفسه، شعر بأن يد الرجل تخرج السلاح من جرابه.

قال الرجل: "سلاح رائع لا يحمله إلا من يعمل لدى الحكومة. من أنت؟ عميل فيدرالي؟"

قال جو: "كنت كذلك لكنني مدني الآن. عميل متقاعد".
"وماذا تفعل هنا؟"

قال جو: "أقود سيارتي عبر هذا الطريق أحياناً، وعندما أرى والدتك في الحديقة، أتجاذب معها أطراف الحديث. وقد أعطتني بعض الثوم المعمر ذات

مرة". كان جو يرتجل كل هذا، لكن الكلام بدا مقنعاً بالنسبة له. وفي ذات الوقت، كان الأدرينالين يتدفق عبر عروقه مثل نهر في موسم الأمطار. أجبر جو نفسه على إبطاء تنفسه والتركيز على ما يحيط به.

كانت مساحة الغرفة لا تزيد على ٨ × ١٢ أقدام، بأبعاد زلزلة فسيحة تسع شخصين في السجن. وفي الجانب الأطول من الغرفة وُضع سرير معدني بطابقين، وعلى الجانب الأيمن، الأقل طولاً، وُضع المكتب الذي كان مصنوعاً من لوحين قياسهما نحو عشر بوصات مثبتتين على قاعدتين من الأسمنت. أما على يساره، عند الجانب الآخر الأقل طولاً، فكان هناك مرحاض، وحوض بدون مرآة، وثلاجة صغيرة. لم يستطع جو تخيل ما كان يقع وراءه على الجدار الطويل المتمم للغرفة.

قال المجرم السابق الذي يعيش في القبو: "اجلس أيها العميل"، ونحى السكين جانباً ودفع نحو الطابق السفلي من السرير، والذي تحرك إلى الخلف بضع بوصات نحو الجدار بسبب قوة الدفعة.

عدّل جو جلسته وتمكن من رؤية كليمنت هابل بوضوح للمرة الأولى. كان هابل رجلاً نحيلاً، وبدا أكثر نحافة مما كان عليه في أثناء التقاط صورته الجنائية. كان شعره حليقاً، ويرتدي قميصاً ذا حمالات وسروالاً قطنياً، ويقف أمامه حافي القدمين، بذراعين موشومتين من الأصابع وحتى عظمة الترقوة بالجماجم، والثعابين، والنساء، بالإضافة إلى كلمة أمي داخل قلب على عضلة ذراعه اليمنى. كان القلب ينبض كلما تنى هابل ذراعه.

شاهد جو هابل يضع السكين على المكتب في متناول يده، ويتحقق إذا ما كان سلاح جو محشواً بالرصاص، ولما وجده كذلك، صوبه نحو جو وفي الوقت نفسه رفع السلم، فارتد بسهولة إلى السقف، وهنا أغلقت فتحة الكوة.

عاود قلب جو الخفقان. لقد كان أكبر بعشرين عاماً من هابل، ومع ارتفاع السلم وإغلاق الكوة، لم تعد هناك طريقة للفرار.

أشار هابل إلى زوج من الأصفاد بجانب قدمي جو، ورأى جو أن الأصفاد كانت متصلة بسلسلة تقع أسفل السرير. من المرجح أن الطرف الآخر من السلسلة كان حول رجل السرير الأقرب للجدار.

قال هابل: "قيد نفسك، وبعدها يمكننا التحدث".

فقال جو: " هذا ليس ضروريًا. ليس لدي أي شيء ضدك يا كليم ". لكن هابل صوب المسدس إلى الحائط المجاور لجو وأطلق النار. كان الصوت عاليًا، وظل صدها يتردد لثوان طويلة.

ثم قال هابل: " الرصاصة التالية سأطلقها عليك " .

التقط جو الأصفاد ووضعها حول معصميه، وحرك السلسلة محاولاً معرفة طولها التقريبي، فوجده حوالي خمس أقدام، ما يعني أن بإمكانها الوصول حتى المرحاض، لكنه لا يستطيع الآن الوصول إلى هابل، الذي كان يجلس أمامه على مقعد دوار.

سأل هابل جو باسترخاء: " ما اسمك؟ "

" جو " .

" جو ماذا؟ "

" هوجان " .

" حسنًا يا جو هوجان، استرح في مكانك. أشعر بأنني كنت أنتظر مقابلتك منذ فترة طويلة للغاية " .

الفصل 82

كان مكتب ليونارد باريزي مغلقاً عندما وصلت يوكي لحضور الاجتماع. نظرت إلى ساعتها، فعرفت أنها وصلت متأخرة ستُّ دقائق على موعدها. شرحت يوكي لمساعدة باريزي أنهم أوقفوها في الطابق السفلي عند مكتب الأمن، ولكن قبل أن تجيبها دارلين، فتح باريزي بابه، وقال:

"ظننت أنني سمعت صوتك. نحن في انتظارك".

يحتل مكتب باريزي قسماً كبيراً من الطابق الثاني، وكان ضخماً مقارنة بالمكاتب في مقر قيادة الشرطة، ولكن ما أضافه إليه حجمه، أفقده إياه قربه الشديد من شارع براينت ذي حركة المرور المكتظة دائماً.

كان رئيس المباحث وارين جاكوبي جالساً على المائدة المستديرة المصنوعة من خشب البلوط معطياً ظهره للنافذة. جلس باريزي مدير يوكي ومعلمها السابق في المقعد الأقرب إلى مكتبه، وجلست يوكي بين الرجلين، بالقرب من الباب.

قدمت دارلين زجاجات المياه للجالسين، وطلب منها باريزي ألا تحول إليه أية مكالمات، ثم قال ليوكي: "فلتبديئي أنت".

أخذت يوكي جرعة من زجاجة المياه. فبعد خمس سنوات من كونها تلميذة باريزي، شعرت بأن الوضع انقلب مائة وثمانين درجة.

كان هذا اجتماعها، وكانت تأمل أن تتمكن من النجاح فيه.

قال جاكوبي: "لديّ اجتماع مع العمدة في غضون خمس عشرة دقيقة".
 قالت يوكي: "سأقول ما لديّ حاليّاً. لقد التقيت شاهدين جديدين بالأمس،
 وهما على استعداد للتعاون إذا حصلنا على الحماية.

إذا أخبرونا بما يعرفانه، سيتوافر لنا دليل قوي على هوية من شاركوا في
 مقتل تجار المخدرات بين شارعي تورك ودودج. وسنعرف أيضاً من قتل آرون—
 ري كورديل".

قال باريزي: "هذا هو ما يعنيه أمر الاستدعاء أيتها المحامية. دعينا نستمع
 إلى شهادتهما".

قالت: "بشرط الحماية يا لين. الشاهدان يخشيان على حياتهما، ولنسبب
 وجيه في الواقع. سأخبركما بما قاله الرجلان، وإذا توصلنا إلى اتفاق، سأعقد
 اجتماعين مع كل منهما. أعتقد أنك تريد تسوية قضية كورديل خارج المحكمة
 يا لين".

أجاب باريزي: "أشك في ذلك، لكن استمري وأقتعيني".
 قالت يوكي: "سأفعل. الشاهد الأول سيعترف تحت القسم أنه قتل آرون—
 ري كورديل".

سأل باريزي: "إلى أين تذهبان بهذا؟ نحن نعلم أن كورديل قُتل في السجن،
 فلماذا نحمي قاتله؟ علينا أن نعاقبه".

قالت يوكي: "لقد طُلب من هذا الرجل التخلص من كورديل سريعاً في
 مقابل نقله إلى سجن مختلف".

قال باريزي: "ومن وعده بذلك؟".
 "كان شرطياً يا لين".

سأل جاكوبي: "لماذا؟ لماذا قد يرغب أي شرطي في موت كورديل؟".
 قالت يوكي: "هذا يقودنا إلى الشاهد الثاني".

لم يتحدث كلا الرجلين. كان اهتمامهما منصباً عليها بالكامل.
 قالت يوكي: "إن الشرطي الذي كلفه بقتل كورديل هو أحد الثلاثة الذين
 قتلوا تجار المخدرات".

قال باريزي: "هل تعنين أن الشرطي الذي شارك في قتل تجار المخدرات
رغب في مقتل كورديل لإخفاء آثار جريمته؟".
قالت يوكي: "هذا صحيح. كان الشاهد الثاني في وكر المخدرات وقت
الجريمة ويمكنه تأكيد ذلك. لقد شاهد إطلاق النار. بحمايته، سيدلي بشهادته
التي تؤكد أن آرون-ري كورديل لم يرتكب شيئاً، وقد يتمكن من التعرف على
رجل أو أكثر من الرجال الذين فعلوا ذلك".

الفصل 83

أغلق القاضي كويرك باب غرفته، وعاد إلى القاعة حيث تجمع كل من: يوكي كاستيلانو، وليونارد باريزي، ووارين جاكوبي، وشاب متوتر يرتدي الجينز وسترة شبابية ولا يتوقف عن هز ساقيه.

استقر القاضي في مقعده بجانب الشاهد، وقال: "من فضلك أخبرنا باسمك أيها الشاب".

"أرتورو مينديز".

"والآن، أريدك أن تقسم أمامي وأمام الجميع على أنك ستقول الحقيقة كاملة، ولا شيء غير الحقيقة".

"أقسم على ذلك".

قال القاضي كويرك: "السيدة اللطيفة التي تجلس خلفك هي السيدة بيرسون، وستقوم بتسجيل ما نقوله. ستطرح عليك السيدة كاستيلانو أسئلة، ثم قد يكون للسيد باريزي محامي الدفاع بعض الأسئلة أيضًا.

السيد باريزي هو الشخص الذي أمر بوضعك في برنامج حماية الشهود. أما الرجل الأشيب الذي يجلس بجانب السيد باريزي فهو رئيس الشرطة السيد جاكوبي، وهو أيضًا يرغب في الوصول إلى الحقيقة يا سيد مينديز. لكن الحقيقة فقط، وليس ما تعتقده، أو ما قيل لك، أو ما تظن أننا نريد سماعه، فقط ما رأيته بعينيك وسمعته بأذنيك. ألدك أي أسئلة؟".

"لا، يا سيدي. لقد اعتدت على مشاهدة مسلسل قانون ونظام".

قال القاضي: "جميل، لكن هذا مجرد مسلسل تليفزيوني. أنت هنا في العالم الواقعي. إذا كذبت، فإن هذا يعد حنثًا باليمين، وهذا يعني السجن. هل تفهم؟"

"نعم يا سيدي، أفهم".

"شاهدك يا سيدة كاستيلانو".

جلست يوكي في مواجهة أرتورو مينديز، وقالت: "متى التقيتك يا أرتورو؟"

"بالأمس".

"وكيف تمكنت من مقابلتك؟"

"لقد حصلت على اسمي من والدة آرون-ري؛ فهي لديها رقم هاتفي بحكم أنني كنت صديقًا لابنها آرون".

قالت يوكي: "هذا صحيح. وهل التقيتك عند تقاطع شارعي تورك ودودج، بالقرب من العقار الذي تمت فيه جريمة قتل تجار المخدرات الثلاثة؟"

"هذا صحيح".

"وهل تعرف من أطلق النار على تجار المخدرات داخل هذا العقار؟"

قال أرتورو مينديز: "نعم يا سيدي، لأنني كنت هناك وشاهدت ما حدث".

سألته يوكي: "هل كنت تحت تأثير أي مخدر عندما شاهدت إطلاق النار؟"

"لا، لم أكن أتعاطى أي مخدر".

"وهل أنت تحت تأثير أي مخدر الآن؟"

"لا يا سيدي، أنا لست مدمنًا على أية حال. يمكنكم إجراء تحليل للتحقق من ذلك إذا أردتم".

"ليس الآن يا أرتورو. أيمكنك أن تخبرنا بالأحداث التي وقعت في وكر المخدرات ليلة مقتل التجار؟"

حكى أرتورو مينديز القصة بالضبط كما قصها على يوكي في اليوم السابق. كان في المنزل عندما جاء ثلاثة رجال يرتدون سترات شرطة سان فرانسيسكو وأمروا تجار المخدرات برفع أيديهم والاستدارة نحو الحائط.

كان مينديز مختبئًا، لكنه شاهد هؤلاء الرجال وهم يجرون التجار ويأخذون أموالهم وأسلحتهم ومخدراتهم، ثم سمع أحد "الشرطيين" يقول: "ضع نفسك مكاني".

أخبر أرتورو مينديز جميع من في القاعة أن من قال ذلك هو الرجل نفسه الذي أطلق النار على تجار المخدرات الثلاثة، وبعدها "غادر الجناة الذين يرتدون سترات الشرطة عن طريق السلالم".

وذكر مينديز أنه انتظر حتى غادروا، وبينما كان على وشك المغادرة رأى آرون-ري كورديل يصعد الدرج، متحمسًا لأنه وجد مسدسًا على الدرج. قال مينديز إن آرون-ري لم يشهد عملية إطلاق النار من الأساس، وأمره مينديز بأن يهرب.

قالت يوكي: "هل يمكنك وصف الجناة؟"

"نعم، قليلًا. كانوا يرتدون أقنعة".

"أي نوع من الأقنعة؟"

"أقنعة مطاطية، من النوع الذي يشبه الوجوه الحقيقية، وكانوا كما قلت يرتدون السترات الواقية من الرصاص والقبعات الزرقاء الخاصة بشرطة سان فرانسيسكو بالإضافة إلى أحذية كالتى يرتديها الشرطيون أيضًا".

"أهناك شيء آخر تظن أننا يجب أن نعرفه يا سيد مينديز؟"

"أحد هؤلاء الرجال كان لديه وشم على رقبته، هنا مباشرة"، وأشار مينديز إلى ما تحت أذنه اليسرى، فوق خط الياقة مباشرة، ولاحظت يوكي أن عيني باريزي تتسعان.

قالت يوكي: "هل يمكنك وصف ذلك الوشم؟"

سالت الدموع تلقائيًا من عيني مينديز، وقال: "عليكم نقلي إلى ولاية أخرى، أتفهمون؟ بينما كنت أدخل المبنى قبل قليل، أعتقد أنني رأيت الشرطي ذا الوشم على رقبته، وربما رأني هو أيضًا".

الفصل 84

عندما توقف جو عن التفكير في مدى حماقته، حاول التفكير في طريقة يخرج بها حياً من هذا القبو. كان يجلس على السرير ذي الطابقين، ويداه المكبأتان متدليتان بين ركبتيه، تقيدهما السلسلة المثبتة أسفل السرير. وإلى يساره كان كليمنت هابل يجلس إلى حاسوبه المحمول، بعيداً للغاية عن متناوله. قال هابل: "هناك الكثير ممن يدعون جو هوجان في سان فرانسيسكو، بعضهم متقاعد. أحدهم لديه مطعم وآخر يعمل في بيع قطع غيار السيارات، وثالث يعمل في شركة تأمين، وهو الأقرب إلى عمرك، والعديد منهم ميت أيضاً؛ فأبي واحد تكون؟".

"كليم. هل يمكنني مناداتك بكليم؟".

قال هابل: "هذا هو اسمي"، قبل أن يغلق محرك البحث ويدير مقعده في مواجهة جو. وفاحت منه رائحة هي مزيج من العرق والثوم. قال جو: "ما الذي يحدث هنا يا كليم؟".

على الحائط خلف هابل علق خريطة سان فرانسيسكو، وقد استخدم قلم التحديد في تحديد خمس نقاط عليها. أكانت هذه أماكن مقتل النساء الخمس المغدورات، بما في ذلك تينا ستريلير؟

قال هابل: "أتسأل ماذا يحدث هنا؟ إنها حياتي. تخيل كيف أفاجأ بك تدخل زنزانتي هكذا. هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها هذا، وأنت تعرف أنه اختراق للخصوصية".

قال جو: " فك قيودي وسأخرج من هنا، وسأظاهر بأنني لم أقابلك قط ".
 قال هابل: " وأين المتعة في ذلك؟ لم تتح لي فرصة للتعرف عليك، وأنا أود ذلك حقاً ".

فتح هابل سكينه الصغيرة ثم أغلقها وراح يدور في مقعده. كان لسكينه مقبض من العاج ونصل يبلغ طوله ٢٠ سم تقريباً. ورأى جو أن النصل يبدو حاداً كشفرة حلاقة.

قال جو: " قلت إنك كنت تنتظرنني، فماذا تعني؟ ".
 " أحب العزلة، ولكن بين الحين والآخر، يرغب الرجل منا في وجود من يتحدث معه ".

بينما أحنى هابل رأسه، رأى جو الوشم الكائن تحت شعره، كان لنسر بمنقار مفتوح، وجناحين مفرودين.

قال جو: " وعم تريد أن تحدثني؟ ".
 قال: " عن جرائم القتل التي ارتكبتها، كتلك التي فعلتها في منتصف النهار. لم يستطع أحد أن يكشفني قط. يمكنك رؤيتها كلها على خريطةتي "، والتفت نصف التفاتة إلى الخريطة على الحائط خلفه، وأكمل: " لقد كان احتفالاً بمناسبة خروجي من السجن ".

شخص جو ببصره إلى الخريطة، مركزاً على العلامة التي وضعت عند زاوية شارعي بالمي آلي و٢٤ حيث رقدت تينا ستريشلير وحولها حشد من السياح.

انتظر الرجل رداً، وكان جو يرغب بكل تأكيد في أن يواصل حديثه، فقال له:
 " حقاً؟ هل كنت في السجن؟ ".

قال هابل: " أوه، نعم. بل يمكنك أن تقول إنني نشأت هناك. سأخبرك بأشياء لم أخبر بها أحداً يا جو "، وأدار وجهه مجدداً نحو جو الذي جلس مقيداً على الطابق السفلي من السرير. " لكن عليك أن تعدني بالاحتفاظ بالسر. هل تعدني بذلك؟ قل أعذك ".

قال جو: " أعذك ".
 قال هابل: " لنتصافح على هذا ".

لقد كانت فرصة لم يستطع جو أن يفوتها.

قال: "لنتصافح على هذا"، ومد يده المقيدة إلى هابل الذي مد يده اليمنى، لكن قبل أن يلمس يد جو، سحبها بعيداً، وقال: "هاه! خدعتك".

ضحك هابل وسار بضع خطوات إلى الثلاجة الصغيرة بالقرب من المرحاض، وأخرج إبريقاً كبيراً من الماء، وشرب بعضه ثم عرض الباقي على جو الذي قال: "لا، شكراً".

كانت الزنزانة الصغيرة عازلة للصوت حيث تقع تحت الأرض بمسافة ثلاثين قدماً، وكان جو يعتقد أنه لن يغادر هذا المكان حياً. فبعد أن ينتهي هابل من إخباره بالتفاصيل الدقيقة عن مغامراته في عالم الجريمة، سيقوم بتقطيعه إلى أجزاء ودفنه قطعة قطعة.

الفصل 85

عرف جو أن القتلة المتسلسلين يندرجون تحت فئتين رئيسيتين: الفئة الأولى هم القتلة المختلون، الذين يسمعون أصواتًا، ويشاهدون رؤى، ولا يعرفون الصواب من الخطأ.

أما الفئة الثانية فهم القتلة معدومو الضمير. كانوا يقتلون للمتعة، حيث يشعرهم القتل بنشوة لا مثيل لها. كان السبيل الوحيد لإيقاف أمثالهم هو قتلهم أو سجنهم.

اندرج كليمنت هابل تحت الفئة الثانية.

صرف جو مشاعر الخوف عن ذهنه، وكذلك صور الأشخاص الذين كان يحبهم، ولن يراهم مجددًا، والأشياء التي لن يتمكن من فعلها أبدًا، والصور التي غزت عقله لجسده المقطع إلى أشلاء، ثم استجمع شتات نفسه، وأخذ نفسًا عميقًا، ثم نظر إلى أسرته.

كان هابل أصغر وأقوى من جو، كما كان مسلحًا ويستمتع بلعبة القط والفأر، والأرجح أن القطة هي التي ستفوز.

كان لدى جو فكرة واحدة غير متبلورة عن كيفية الخروج من هذا السجن، وليست أمامه سوى فرصة واحدة لتنفيذها، ما يعني أنه لا مجال للخطأ.

وهكذا قال جو: "أريد أن أعرف كل شيء عن الأشخاص الذين قتلتهم. أريد كل التفاصيل. أنا شغوف بالقتل، وإن لم أمارسه من قبل. كنت مدفوناً في الأعمال المكتبية. واليوم أشعر بأنني محظوظ بعدما قابلتك يا كليم، ولا أستطيع الانتظار كي تخبرني بقصصك".

قال هابل: "سأفعل، فلدينا ما يكفي من الوقت ويزيد. ربما لاحظت أنه لا توجد هنا ساعات، وهذا ما نطلق عليه وقتاً طويلاً حقاً".

قال جو: "هل تمنع في أن أقضي حاجتي قبل أن تبدأ؟ كنت أحتاج لفعل ذلك حتى قبل وصولي إلى هنا".

قال هابل: "أبدأ. تفضل".

نهض جو على قدميه، وكان هابل لا يزال في المقعد الدوار المقابل للسرير. كان المرحاض على يمين جو، ففك سحاب سرواله واقترب منه.

بمجرد أن وصل جو بالسلسلة إلى نهايتها، استدار إلى الجهة الأخرى، واستخدم قدمه كنقطة ارتكاز، وضرب بها ساق السرير الأقرب إليه. في الوقت نفسه، جذب إحدى الدعائم العلوية للسرير بيديه المقيدتين بقوة.

قفز هابل وصاح: "اللجنة!".

لكنه لم يكن لديه مكان يذهب إليه. كان المكتب إلى يمينه، وجو إلى يساره، ومع استمرار جو في الضغط، بدأ السرير يهتز، ثم سقط ناحية هابل.

رفع هابل يديه ليحمي نفسه، لكن وزن السرير ذي الإطار الحديدي كان أقوى منه بكثير. انزلقت الحشية وانحشر هابل بينها وبين السرير المقلوب.

كان جو لا يزال مكبلاً، لكن السلسلة لم تعد ملتفة حول ساق السرير الآن. لف جو السلسلة حول رقبة هابل، وأمسك بكتفيه، وضرب رأسه القبيح بالأرضية الخرسانية.

صرخ هابل: "توقف عن ذلك! لا! لا! توقف!".

قال جو: "أين المفتاح؟"

فقال هابل: "أي مفتاح؟"

ضرب جو رأس هابل بالأرض مجدداً. لم يكن يريد قتله.

لكنه أراد أن يؤذيه حقاً.

الفصل 86

صاح جو في وجه هابل المبتسم:

"أين المفتاح؟ أين المفتاح اللعين؟"

"ستجده داخل بطني".

التقط جو السكين من الأرض وصوبه نحو هابل وقال: "لا أمانع. فهذه طريقة ممتعة للتفتيش".

قال هابل: "لا، لا. إنه في علبة مكعبات الثلج".

أبقى جو السلسلة مشدودة بإحكام حول رقبة هابل، وأمكنه الوصول إلى التلاجة، فأمسك بعلبة مكعبات الثلج الصغيرة بأطراف أصابعه، وألقى بها على الأرض، وعندما وجد المكعب الذي يحمل المفتاح بداخله، سحقه بكعب حذائه. أمسك جو بالمفتاح الصغير وأمر هابل: "نم على بطنك".

انقلب هابل على بطنه، ووضع جوقدمه فوق عنقه، وظل يدير المفتاح بيدين مرتعشتين حتى استطاع فتح الأصفاد. عندما تحررت يداه، أعاد إغلاق سحب بنطاله.

جذب ذراعي هابل حول ظهره وقيد معصميه بالأصفاد نفسها، ثم حرك السرير إلى وضعية الوقوف، وجذب مسدسه من على المكتب.

عندما أوقف جو هابل على قدميه، لم يتملص، أو يركل، أو يقاومه بأي شكل، بل بدا متقبلاً لما حدث. ربما كان قضاء عشرين سنة في السجن يفعل هذا بالإنسان.

قال هابل لجو: "لم تكن بحاجة إلى فعل كل هذا".
 "بل كنت بحاجة لكل هذا، وتقبل خالص اعتذاري".
 قال هابل: "لم أكن لأؤذيك. أردت فقط أن أخبرك بالأشياء التي قمتُ بها
 وكيف قمتُ بها".
 "لا تقلق. الكثيرون يريدون معرفة كل شيء عنك يا كليم. سيكون عليك أن
 تحكي قصتك مرات عديدة".

لَفَّ جو السلسلة حول يده اليسرى، مع الاحتفاظ بسجينه مقيداً أمامه
 بإحكام، ثم سحب السلم من السقف، وفتح باب الكوة بسلاسة.
 قال جو: "ما رأيك يا كليم؟ هل نخرج من هنا؟".
 بعد أن صعد الرجلان السلم ووصلا إلى الطابق السفلي، قيد جو كليمنت
 هابل بالسلاسل إلى الفرن، وأغلق باب الكوة خلفه، ثم اتصل بليندسي من
 المطبخ، وكذلك اتصل بجليسة ابنتهما ليتأسف على تأخره في العودة، ويطلب
 منها البقاء مع جولي.

عندما أنهى الاتصال، غسل جو يديه، وأشعل الفرن على درجة ٣٧٥، وضبط
 المؤقت على ثلاثين دقيقة.

كان جوودينيس هابل يأكلان فطائر التوت الساخنة عندما وصلت ليندسي
 بصحبة فرقة مسلحة من الشرطة إلى المنزل رقم ٣٥٥ شارع إيدجهيل، وبدأت
 الشرطة على الفور في تحطيم باب المطبخ المطلي باللون الأحمر.

الفصل 87

كان عليّ تقديم تفسيرات عديدة بمجرد عودتي أنا وجو والفرقة الخاصة إلى مقر قيادة الشرطة بصحبة القاتل المعترف المقيد بالأصفاد، القاتل الذي لم يعرف أحد في قسم مكافحة جرائم القتل بوجوده حتى تلك اللحظة.

أطلعت برادي على المستجدات في حين انتظر جوفي مكتبي.

نظر برادي لي ببرود شديد بينما كنت أخبره أن ما فعله جو كان بناء على مجرد حدس، وأن مالكة المنزل هي من دعته إلى المنزل، وأعطته إذناً بدخول غرفة ابنها.

سألني برادي: "أهذا يشبه الحدس الذي قادك إلى المنزل الذي صوب صاحبه سلاحه إلى رأسك؟"
"فعلًا. مثله بالضبط."

قال برادي: "بتحية المشاعر الشخصية جانبًا، فأنت تعلمين أن عليّ أن أكتب تقريرًا بما فعلته، والذي كان خطيرًا على أقل تقدير. ماذا لو أصابك؟ ماذا لو اضطررت إلى إطلاق النار على أحدهم؟ والآن يتصرف جو التصرف الغبي نفسه؟ هل تديرين قسم شرطة سرّياً من مرآب منزلك؟ أليس لديك ما يكفي من العمل يا بوكسر؟"

لم يكن ينتظر إجابة؛ فلم أجبه، لكن حمرة الخجل كستني من رأسي إلى أخمص قدمي. كان من المهين أن يوبخني برادي. في الواقع، لم يكن هناك

شيء ضد جو بالنسبة لشرطة سان فرانسيسكو؛ فليس هو الذي أفسد قضية هابل، ولكن الأمر الآن صار رسمياً، وكان لزاماً عليّ أن أتوخى الحذر الشديد. انتظرت لحظة، ثم قلت: "أيها الملازم، في أثناء احتجاز هابل لجوفي قبو منزله، اعترف له بقتل خمس نساء، وسأحاول جعله يعترف مرة أخرى".

مال برادي إلى الخلف بشدة حتى ظننت أنه سيسقط من فوق مقعده، ووضع يديه على عينيه وتهدد بقوة، الأمر الذي أشعرنى بالأسف تجاهه.

ثم قال: "استدعي وانج ومايكلز، فهما المسئولان عن قضية ستريشليير، ويجب أن يحضرا الاستجواب. لا مزيد من الأخطاء يا ليندسي. يجب أن يتم تصوير كل شيء بالفيديو، ولن يسمح لك بمخالفة القوانين من الآن فصاعداً".

"أفهم ذلك، وأنا آسفة حقاً يا برادي".

الفصل 88

بعد تفتيش هابل أجلسناه في مقعد معدني صغير أمام طاولة من المعدن نفسه في الغرفة الرمادية الصغيرة التي نطلق عليها غرفة الاستجواب ٢. اتخذنا مقاعدنا أنا والمحققان مايكلز ووانج، بينما وقف جو وراء المرأة المزدوجة يشاهد ما يحدث بصحبة برادي. ارتدى برادي ميكروفوناً حتى يتمكن من إملأء التعليمات أو طرح الأسئلة لاسلكياً في أذني مباشرة.

بدأت على الفور بالحديث حول إلقاء القبض على هابل لاغتصابه تينا ستريشليير قبل خمسة وعشرين عاماً وسجنه في بيليكان باي ثم كوركوران، وشهادات حسن السير والسلوك التي حصل عليها.

وعلى الطاولة نشرنا الخريطة التي حدد هابل عليها مواقع جرائم القتل. قدم لنا هابل مفتاحاً إضافياً لحل جرائم القتل، حيث دون على ظهر الخريطة الأسماء والمواقع وتاريخ كل منها.

جلس وانج ومايكلز يشاهدان ما يحدث ويشاركان في صنع المجد، هذا إذا كان هناك أي مجد. لكن من دواعي سروري أن أسلم هذا القاتل المتسلسل لهما على كل حال.

قدمت نفسي رسمياً إلى هابل، وقدمته إلى رجلي الشرطة الآخرين في الغرفة، وأخبرته أنني أقدر مجيئه للتحدث إلينا. قلت ذلك دون أي أثر للسخرية. لكنه ضحك رغم هذا.

وقال: "كانت رفقتي مميزة للغاية حقاً".

"لا نرضى لك سوى بمعاملة من الدرجة الأولى يا سيد هابل، فأنت بمثابة نجم، ألسنت محقاً في ذلك؟".

ضحك مجدداً. يا إلهي! إنه مستمتع بالأمر.

"سيد هابل، لقد أخبرتنا أنك قتلت خمس نساء في مواقع حددتها بنفسك على خريطة سان فرانسيسكو، وهذه هي الخريطة، أليس كذلك؟".

قال هابل: "أتمنعين في إحضار شيء لأشربه؟".

قال وانج: "ماذا يمكنني أن أحضر لك؟".

"أيمكنني الحصول على مشروب الصودا؟".

"سنحضر لك زجاجة باردة على الفور".

كنت جالسة أمام هابل مباشرة، وبعد أن تجرع زجاجة الصودا، قلت: "هل أنت مستعد الآن؟".

"لدي طلب أخير".

قلت بلطف: "أخبرني".

"أريد العودة إلى بيليكان باي. إذا وعدتموني بذلك سأخبركم بكل شيء".

"ولماذا بيليكان باي تحديداً؟".

"أريد العودة إلى المنزل".

تحدث برادي في أذني قائلاً: "أخبريه أن رئيسك يعده بذلك، وأنتا سنحصل على تصديق المدعي العام في الصباح".

أخبرت هابل بذلك، متوقعة أن يقول شيئاً على غرار: "حسناً. سننتظر إلى أن نحصل على تصديق المدعي العام".

لكنه قال: "حسناً، عدوني فقط بفعل ما بوسعكم".

قلت: "أعدك"، وكان هذا كل ما احتاج إليه هابل. كان حريصاً على التحدث عن الأعوام الخمسة التي ارتكب فيها سلسلة من جرائم القتل. يجب أن أرجع الفضل إلى جو الذي كان مصيباً منذ البداية. كان كليمنت هابل يقتل في ذكرى

إدانته بتهمة الاغتصاب، ووصف جرائمه بأنها احتفال ببداية حياته الرائعة في السجن.

أما جرائم القتل نفسها، باستثناء مقتل تينا ستريلير، فقد قال هابل عنها إنها حدثت دون تخطيط.

وقال لي، وهو يميل على الطاولة، محاولاً إقناعي بروايته: "لقد فعلت ذلك لأختبر مهاراتي.

كنت أختار سكيناً من مجموعة سكاكيني، وأبحث عن امرأة يصلح قتلها. في بعض الأحيان كنّ وحيدات، وفي أحيان أخرى كنّ بين حشد من الناس، مثل التي قتلتها في السباق في العام الماضي. كنت أمنح نفسي اثنتي عشرة ساعة للقيام بالمهمة ثم أؤشر على بقعة جديدة بخريطتي. وبمجرد عودتي إلى المنزل، كنت أنتظر إذاعة أخبار جريمتي الكاملة، وأظل أفكر فيها لمدة عام آخر"، وابتسم ابتسامة عريضة.

قلت: "لكنك لم تستطع أن تخبر أحداً؟ لا بد أن هذا ألمك".
قال هابل: "هذا صحيح بالتأكيد. لقد افتقدت وجود زميل لي في الزنزانة".
سألته: "وهكذا كانت تينا ستريلير الضحية الوحيدة التي عرفتها، أليس كذلك؟".

"اسمها تينا مونرو، وهي الفتاة الوحيدة التي أحببتها، وكانت أول من اغتصبها. هددتها بسكين، لكن هذا كان لرفع مستوى الإثارة. لم أكن لأقتلها، بل لم أفكر حتى في قتلها. ظننت أنها ربما ترغب في مرافقتي. أعلم أنك تجدين هذا مضحكاً أيتها الرقيبة...".

"لا، لا. أنا فقط مندهشة لأنك كانت لديك مشاعر نحوها".

"نعم. قبل أن أغتصبها لم تكن تعرف حتى بوجودي".

"ولماذا قتلتها؟".

"لأترك للشرطة دليلاً".

"ولماذا؟".

"لأن الوقت قد حان".

بعد ساعة، أخبرنا كليمنت هابل بالتفصيل الدقيق عن كل جريمة قتل ارتكبها. لم يطلب محامياً قط، وبعد فترة، وضع رأسه على الطاولة وغفا قليلاً. أيقظه وانج، ووجه مايكلز له الاتهام بخمس جرائم قتل. قبل أن يخرج

هابل من الغرفة، شكرني. كانت المرة الأولى التي يحدث فيها أمامي شيء كهذا.

قلت: "على الرحب والسعة".

غادرت غرفة التحقيق ووجدت جو وبرادي ينتظرانني.

قال برادي: "أحسنتم جميعاً. لقد سامحتك يا بوكسر، لكن لا تضعيني في موقف كهذا مجدداً".

صافح برادي جو، وصافحني مرتباً على ذراعي.

بشكل عام، كان هذا يوماً جيداً لي كشرطية.

الفصل 89

كانت يوكي منتشية تمامًا.

لقد واجهت للتو باريزي الجالس خلف مكتبه المكسو بالجلد، وتفاوضت على تسوية بقيمة ثلاثة ملايين ونصف مليون دولار واعتذار علني لأسرة كورديل، وهي الشروط التي تم قبولها بالكامل خلال مكالمتين هاتفيتين طويلتين. أرسلت يوكي رسالة نصية لبرادي قبل أن تغادر مقر قيادة الشرطة، وأخرى في الطريق، وثالثة في موقف السيارات في السوق بشارع فورث ستريت، ولم يرد برادي على أي منها.

في أثناء عودتها إلى منزلها في تلجراف هيل، عاودت التفكير في اجتماعها مع باريزي، وخاصة الجزء الذي قال فيه إن مليوني دولار تعويض كافٍ، وردها الحازم عليه: "لا، ليس كافيًا يا لين. مستحيل أن أقبل".

تذكرت يوكي بصعوبة أنها وصلت إلى المنزل، ولكن بعد وضع ما اشترته من البقالة، تفقدت هاتفها الأرضي، ورأت أن برادي لم يتصل بعد. وبدأ ذلك يضايقها الآن.

أخرجت زجاجة من ماء جوز الهند من الثلاجة، وجلست على مقعد مريح، وكانت على وشك فتح رسائلها الإلكترونية عندما رن جرس الباب. نهضت، ونظرت عبر العين السحرية، فرأيت صبيًا يقف في الردهة ويحمل باقة ضخمة من الزهور.

هذا أفضل بكثير.

وقعت على الاستلام وقرأت البطاقة المصاحبة في طريقها إلى المطبخ: بوركت يا يوكي. التعاقد معك كان أفضل شيء قمت به في حياتي. أهنتك. زالك. أخرجت يوكي الزهور من الغلاف ووضعتها في الزهرية على الطاولة المرتفعة خلف الأريكة. ثم عادت إلى حاسبها وفتحت صندوق البريد. كانت هناك رسالة من رئيس الشرطة جاكوبي.

يوكي، ظننت أنك تودين أن تعرفي أن المحقق براند محتجز في انتظار التحقيق معه. وقد وضعت أرتورو مينديز في الاحتجاز الوقائي حتى أستطيع وضعه في مكان آمن. آسف لإخبارك أن توني ويليس قد توفي. أما بالنسبة لك أيتها الشابة، فلا أقول سوى أحسنت صنعًا! أحسنت صنعًا!

لسعت الدموع عيني يوكي.

مسحت دموعها، وفكرت في توني الصغير، والأنابيب تخرج من أنفه وذراعيه، وطلبه أن ينقل إلى سجن آخر. كان هذا كل ما أرادته. عندما فتحت عينيها مرة أخرى، وصلتها رسالة إلكترونية جديدة.

يوكي، نحن نتحرك بأسرع وقت ممكن لتكريم ابننا. أشعر بالأسف لأن آرون-ري لم يقابلك أبدًا، كان سيحبك مثلما أحبيناك. لن ننساك أبدًا.

محبتي، بيا كورديل

هنا بدأت يوكي في البكاء. ذهبت إلى غرفة النوم، واستبدلت ملابسها، ووقدت على السرير. كانت تنام بعمق عندما استيقظت شاعرة بقبلة تُطبع على خدها.

كان برادي جالسًا إلى جوارها، ينظر إليها بطريقة لم ينظر بها إليها منذ عملت في رابطة الدفاع، فنهضت جالسة. قال: "أنا غبي وأحمق".

"هاه".

"أنا غبي وأحمق، وآسف".

كانت لا تزال غاضبة. مدت يدها وأخذت منديلاً وتمخطت.

قالت: "ليس خطأك أنه ممنوع علينا التحدث عن قضايانا".

قال: "كان بإمكانني صنع الشاي. كان بإمكانني مشاهدة فيلم معك أو أن

أخوض معك عراكًا بالوسائد .. أي شيء".

قالت: "لست غاضبة منك".

"بل أنتِ غاضبة، ويجب أن تكوني كذلك. هل تعرفين لماذا لم أستطع

مهاافتك اليوم؟ لأنني كنت في اجتماعات بدون توقف؛ لأنك حللت قضية

عصابة سترات الشرطة التي كنت أعمل عليها، أنا والقسم بأكمله".

"أنا لم أفعل كل ذلك".

"أنت من فتحت الباب يا حبيبتي، قدمت الفرصة لنا لحل هذه القضية

اللعينة. فشكرًا لك".

"أنا سعيدة بذلك". كانت تحب صوته، وطريقته في نطق الكلمات، ولم

تستطع تحويل عينيها بعيدًا عنه.

وضع برادي يده على خدها، فنظرت إليه.

قال: "كنت أحمق، وكان هذا يقتلني. لقد افتقدتك حقًا".

اهتز صوتها وهي تقول: "وأنا أيضًا".

الفصل 90

كنا أنا وجوراقدين في الفراش، ولم يكن الوقت متأخرًا، فكانت الساعة تقترب من العاشرة مساءً، لكنني كنت أكثر تعبًا من أن أذهب للركض، وأكثر انفعالاً من أن أكمل نومي. تتأب جو وتمطى بجانبى وهو في أفضل حال. في الواقع، كانت المرة الأخيرة التي رأيت فيها في هذه الحالة عندما شاهد وجه طفله للمرة الأولى.

لكن يومي أنا كان مرعبًا.

كان لا يزال بإمكانى سماع صوته المضطرب عبر الهاتف يخبرني أن عليّ التحرك سريعاً، وأنه يحتجز كليمنت هابل.

كنت أتحرك كما لو كانت هناك قنبلة موقوتة متصلة بي. اتصلت بقائد فرقة العمليات الخاصة وأخبرته أننا سنحصل على تصريح في وقت لاحق. كنت أمل أن أتمكن من ذلك. ثم قفزت إلى أول سيارة دفع رباعي تسير بسرعة الريح في الطرق الوعرة المحيطة بمنطقة إيدجهيل ماونتين، وطوال الطريق لم أكن أمل سوى في الوصول إلى هناك في الوقت المناسب.

الآن بعد أن انتهى كل هذا، رحلت أتخيل من جديد الفرقة الخاصة وهي تحطم الباب الأحمر، والمفاصل وهي تتخلع، والباب وهو يسقط مثل لسان أحمر كبير على الأرض بينما اقتحم العشرات من الرجال المسلحين المطبخ.

كان جو على الطاولة يمسك فطيرة مافن في يده، ويجواره جلست امرأة عجوز مصدومة، قالت لهم بتأفف: "كان من الممكن أن تطرقوا الباب".

ابتسم جو ابتسامة عريضة مثل طفل استطاع إلغاء القفل الأبوي على قنوات الكبار الترفيحية. كان ذلك قبل أن يتم احتجاز هابل.

كنت لا أزال في حالة صدمة وظللت أفكر في مدى السوء الذي كان يمكن أن يؤول إليه الأمر – كان من الممكن أن يموت زوجي. قال جو وهو يمد ذراعه ويجذبني نحوه: "أنت متوترة للغاية".

"وأنت سعيد بنفسك، أليس كذلك يا حبيبي؟"

ضحك جو قائلاً: "بكل تأكيد. بعد كل هذه السنوات من العمل المكتبي، ما زلت أمتلك المهارة".

أحاطني بذراعه، ورفعت وجهي نحوه لأقبله. حاولت التخلص من أفكاري السوداء، لكنني لم أستطع.

كانت أعصابي مشدودة بعد كل ما جرى في مجزرة عائلة كالهون، وجرائم عصابة سترات الشرطة، والإنذار الذي تركه لي بعض الجبناء المجهولين يتهمونني فيه بتخطي حدودي.

"ليندسي؟"

قلت: "أنا أسفة يا جو. عقلي يموج بالأفكار. لنرجئ هذا إلى الصباح، اتفقنا؟"

داعب شعري بكفه الكبير، ثم قال: "بالطبع. حدثيني عما يقلقك".

احتضنته وأخبرته أن الجرائم التي ارتكبها رجال الشرطة الفاسدون لا تزال تصيبني بالجنون: "أنا لم أعد أثق بشرطة سان فرانسيسكو، ولا حتى في القسم الذي أعمل به".

لم أتحدث طويلاً، وأدركت بعد قليل أن تنفس جو انتظم وأنه راح في النوم. خرجت من السرير بهدوء وذهبت لتفقد جولي.

رأنتي محبوبيتي الصغيرة أراقبها في مهدها، فغمغمت ورفعت ذراعيها. حملتها إلى المقعد الهزاز بالقرب من النافذة، ثم قربتها من صدري وهددهتها، ورحت أراقب حركة المرور في شارع ليك.

لم أشاهد أي نشاط مشبوه.

لم أجد رجالاً يتسكعون في الطرقات أو يجلسون في سيارات داكنة اللون. ظللت أهدد طفلي حتى نامت، وهدأتني حركة المقعد الهزاز وصوت تنفسها. شعرت بالاسترخاء أخيراً، ووضعت الصغيرة في مهدها وغطيتها، ثم تفقدت الأقفال على الباب الأمامي، وتأكدت من أن جهاز الحماية ضد السرقة والاقحام في وضع التشغيل.

بعدها تفقدت كل الثغرات، عدت إلى الفراش، حيث كان زوجي العزيز لا يزال حياً وبصحة جيدة، وربما يحلم بالنجاح الساحق الذي حققه اليوم. لا بد أنني نمت، لأنني استيقظت ونظرت إلى الساعة، فوجدتها الثالثة والرابع. وبعد ما بدا لي أنها دقيقة، نظرت إلى الساعة مجدداً. ووجدتها الثامنة إلا ربع. كان لديّ اجتماع في الثامنة، وسأصل متأخرة بكل تأكيد.

الفصل 91

اتصلت بجاكوبي من سيارتي وأخبرته أنني في الطريق، فصاح بي: "اللعنة يا بوكسر. تحركي بسرعة. نحن ن عقد الاجتماع لأجلك". ولم يكن يمزح.

قلت: "أمامي عشر دقائق"، وأغلقت الاتصال كيلا أ صيح في وجهه أنا الأخرى كرد فعل طبيعي لجرحه مشاعري. بالطبع كانت مشاعري مجروحة.

قبل خمس سنوات، عندما كنا أنا و جاكوبي شريكين، أطلقت النار على كلينا في زقاق مظلم في إحدى المهام السرية وكنا على وشك الموت. وقد اتصلت أبلغ عن إصابتنا في لحظة ظننت أنها الأخيرة بالنسبة لنا. ومنذ ذلك الحين، صار يربطنا أنا و جاكوبي رباط أ بدي.

وبالأمس، استجوبت قاتلاً متسلسلاً، وكان الأمر يشبه السير حافية القدمين على حافة سكين. لقد سجلنا الاعتراف بالفيديو، وحللنا جميع الألفاظ، ما رفع معدل قضايانا التي تم حلها. كان يوماً مهماً لجميع رجال ونساء شرطة سان فرانسيسكو!

واليوم، كنت متأخرة على اجتماع مع ثلاثة رجال أتق بهم تمام الثقة، و يثقون بي تمام الثقة. والآن جاكوبي يوبخني على هذا التأخير.

سمعت صوت والدي المتوفى يتردد في ذهني: تجلدي أيتها الأميرة.

كنت أكنُّ لأبي القليل من الحب، لكنه كان محقاً في هذا.

عليّ أن أتجلد. كنت أسير بأقصى سرعة، ووجدت فجأة أنني كنت على وشك الاصطدام بشاحنة صغيرة مليئة بالأطفال والكلاب وأن الإشارة صارت حمراء. توقفت وأخذت نفساً عميقاً - عدة أنفاس بالأحرى.

حاولت استجماع شتات نفسي، وعندما تغيرت الإشارة إلى الأخضر، أكملت طريقي إلى مقر قيادة الشرطة في حدود السرعة القانونية، ووصلت إلى شارع براينت في الساعة ٤٦:٨.

أوقفت سيارتي في المرآب، ملقياً بالمفتاح إلى كارل. وعبرت الشارع إلى المبنى وأخذت المصعد إلى الطابق الخامس.

عندما دخلت مكتب جاكوبي، وجدت ثلاثة رجال مكتهرين يجلسون على أثاث جلدي "عتيق الطراز" حول طاولة قهوة من الزجاج. كان الجدار مليئاً بالصور المؤطرة لجاكوبي مع سياسيين مختلفين، بالإضافة إلى صورة لنا في ثياب الشرطة الزرقاء ونحن نُكرّم من رئيسنا السابق.

تخطيت ساهي برادي وجلست على المقعد الشاغر بجانب كونكلين. شعرت بأنني أفضل الآن؛ فقد كنت محاطة بأصدقائي، واستعدت رباطة جأشي. قلت: "أسفة على التأخير".

أعطاني كونكلين كوباً من القهوة التي لم تعد ساخنة، لكنني عرفت أنه أضاف إليه ثلاث ملاعق من السكر.

قال برادي: "أتريد أن تخبرها أيها الرئيس؟". كدت أقول: "يخبرني بماذا؟"، لكن كونكلين قاطعني قائلاً: "لقد مات روبرتسون".

"روبرتسون؟".

للحظة لم أكن أعرف عن من كان يتحدث، ثم تذكرت. كايل روبرتسون شريك توم كالهون، الشرطي الذي كان يبلغ الخمسين من عمره تقريباً، ويسعى للتقاعد المبكر في أقرب وقت ممكن.

سألت الجميع: "وكيف مات؟".

قال جاكوبي: "ترك كلبه مربوطاً بسيّاح جارم، وحشر ورقة كتب فيها كلماته الأخيرة بين حلقات السلسلة، ثم وضع شارته على طاولة الطعام وجلس وأطلق النار على نفسه".

"يا إلهي! وماذا كتب في هذه الورقة؟"

"كتب: آسف. يرجى الاعتناء ببيرونو. إنه كلب مطيع. وترك شيكاً للجار بقيمة ألف دولار. وقد دون روبرتسون التاريخ وكان في منتصف الليلة الماضية. اتصل الجار بنا قبل عدة ساعات".

سألت: "وماذا الآن؟"

قال جاكوبي: "أن نقرر أن تكون هذه هي مهمتنا الحالية".

الفصل 92

عندما قال جاكوبي: "أن نقرر أن تكون هذه هي مهمتنا الحالية"، كان يعني أنها ستصبح مهمتنا نحن الأربعة، أي أن علينا أن نربط بين الأدلة الغامضة ونفضح أمر الشرطيين الفاسدين.

يهوى برادي صنع القوائم. كانت لديه مفكرة صفراء، وكان يدون الأسماء على الجانب الأيسر من الصفحة بالقلم الأحمر.

كان اسم كالهون هو الأول في القائمة، وتبعه اسم روبرتسون. كان الاثنان شريكين، والآن كلاهما ميت.

قال برادي: "لنفترض أن روبرتسون قتل نفسه لأن ما كان يهدد كالهون صار يهدده هو الآخر".

قلت: "عندما أجريت مقابلة مع روبرتسون، شهد لصالح كالهون، وقال إنه كان شابًا صالحًا ولم يكن عليه أي شبهات من أي نوع. لم أفهم أنه كان يتستر على شريكه أو نفسه. ربما فهمت خطأ. كان روبرتسون وكالهون يعملان تحت إشراف تيد سوانسون".

قال جاكوبي: "اتصلت بسوانسون. إنه الآن بمنزل روبرتسون، يبحث عن أي دليل يمكن أن يفسر ما حدث، وهو وفاسكيز يستجوبان الجيران".

ذكر كونكولين اسم دوني وولف، الواشي في ويكر هاوس، الذي أخبر المهاجمين بموعد وجود المخدرات والمال في المكان.

قال كونكلين: "أخبرنا وولف أن اللصوص كانوا من رجال الشرطة، وأن اسم رئيسهم هو "واحد"، وأن عددهم ستة رجال يرتدون سترات الشرطة الواقية من الرصاص".

كتب برادي (٥+١) بأعلى مفكرته.

قال جاكوبي: "الشاهد على إطلاق النار على وكر المخدرات رأى وشما على رقبة أحد رجال عصابة سترات الشرطة. وهو يبدو، كأنه وشم ويليام براند نفسه".

رأيت ذلك الوشم (وب)، والذي يبدو كما لو أنه موسوم بالحديد الساخن.

قال كونكلين: "كنا نعمل مع هؤلاء الأشخاص كل يوم؛ ما يجعلنا نستنتج أن براند، وكالهن، وروبرتسون ينتمون إلى عصابة سترات الشرطة، وربما هناك آخرون لا نعرف عنهم شيئاً. ويتني مراقب أيضاً، لصلته بالشرطي براند"

قال برادي: "إنها نظرية معقولة. براند محتجز في انتظار التحقيق، وسأقابله أنا وجاكوبي خلال ساعة. عليك يا بوكسر أنت وكونكلين التحقيق مع ويتني. اضغطا عليه قدر الإمكان. من يعترف أولاً سيحصل على صفقة، ومن سيبقى للنهاية سينال أشد العقاب".

عند عودتي إلى مكتبي، اتصلت بهاتف ويتني الخلوي وتركت رسالة، هي الأولى ضمن ثلاث رسائل. قال كونكلين: "ربما يجب أن نفعل ذلك شخصياً. سأعود بعد قليل".

وبالفعل عاد بعد عشر دقائق.

قال كونكلين: "إن ويتني لم يحضر ولا نعرف مكانه، لكنني سأفترض أن الرسالة وصلتته بالفعل".

توجهنا إلى مكتب برادي ذي الجدران الزجاجية، فنظر إلى الأعلى وقال: "براند لم يظهر".

قال كونكلين: "ولم يظهر ويتني كذلك، ولم يجب على اتصالاتنا".

كنا نراهن أن يتني وبراند انفصلا. وبدونهما قد لا نعرف أبداً من قتل كالهن، أو قام بالهجوم على ويكر هاوس وقتل سبعة أشخاص فضلاً عن الواشي راسكال فالدين. وقد لا نعرف أبداً من قتل التجار في وكر المخدرات، أو من أطلق الرصاص على أصحاب مكاتب الشيكات الأبرياء، بالإضافة إلى

حدث إطلاق النار على المتجر الإسباني الذي أسفر عن مقتل مايا بيريز وطفلها الذي لم يولد.

شعرت بأننا نقف على الحافة. وفجأة، خطرت لي فكرة عن الشرطي الذي يمكن أن يكون "واحد".

لقد فكرت به من قبل، لكن وسامته وسلوكه اللطيف جعلاني أتخلى عن حذري. وهو ليس ضمن المشتبه بهم على الإطلاق.

جلست أمام برادي كيلا أتحدث من مدخل المكتب المفتوح.

قلت: "ما رأيك في سوانسون؟"

"ماذا تعنين؟ هل تعتقدين أنه مشارك في هذا؟"

"سوانسون شرطي مميز، ويتحدث الآخرون عنه كنجمة، وكان كالهون وروبرتسون يعملان تحت إشرافه. كيف يمكن ألا يكون مشاركاً؟"

قال برادي: "أثق بحدسك".

الفصل 93

كان حدسي يخبرني أننا لا ينبغي أن يذهب كلانا إلى سوانسون. وافقني كونكلين، وقال: "تحدثي معه، وسأعمل على تحديد موقع ویتني". كانت عائلة سوانسون تعيش في حي بارك ميرسد، على بعد عشرين دقيقة من وسط المدينة في قرية خاصة مساحتها ١٥٠ فدأناً تضم بنايات سكنية شاهقة ومنازل فخمة. كان الغروب قد حل بينما كنت أقود سيارتي عبر الشوارع المليئة بالأشجار، وأمر بالمتنزهات الصغيرة الساحرة والملاعب الواسعة. كان من السهل أن نفكر أنه لا يمكن أن يحدث شيء سيئ هنا. يعيش سوانسون في مبنى فخم من دورين بواجهة برتقالية من الجص، والذي بدا أنه يكفي ثلاث عائلات. كنت أوقف سيارتي عندما رأيت يخرج من الباب الأمامي ليستقبلني.

قلت: "أسفة للقدوم دون موعد، ولكن علينا أن نتحدث". قال سوانسون: "تعال يا بوكسر. أنا مسرور لرؤيتك في الواقع". كان تيد سوانسون محبوباً، وقد جعل أسلوبه اللطيف والمباشر نظريتي الخاصة بأنه رئيس العصاة تبدو سخيفة للغاية.

بمجرد دخولنا غرفة المعيشة، عرفني سوانسون على زوجته نانسي، التي قالت: "هيا لتقابلني الأطفال".

سرت خلفها إلى إحدى الغرف ورأيت ثلاثة صغار، جميعهم دون العاشرة، مستقلين على مقاعد قماشية محشوة يشاهدون فيلمًا في ملابس النوم. قدموني إلى ميف وجوي وبات على أنني "زميلة بابا من العمل"، وبعدها بقيت نانسي مع الأطفال، وذهبت برفقة سوانسون إلى غرفة المعيشة المكسوة بالألواح الخشبية والمفروشة بأرائك فاخرة وسجاد ثمين. جلست على إحدى الأرائك ورفضت عرض سوانسون بتناول "القهوة أو أي شيء آخر"، وصدمني ما ظهر عليه من شدة التعب خلال الأسابيع القليلة الماضية. كان وجهه شاحبًا، وكتفاه متهدلتين، ويبدو على وشك الإصابة بنوبة قلبية، وأن هذا يمكن أن يحدث في أي لحظة.

قال سوانسون: "لقد قضيت اليوم في منزل روبرتسون. رأيت المقعد الذي كان يجلس عليه عندما أطلق النار على نفسه، وفكرت كم كان رجلاً رائعاً، وسألت نفسي لماذا فعل ذلك".

سألته: "وماذا استنتجت من ذلك؟".

لكني لم أعتقد أن سوانسون سمعني.

قال: "أطلعت على دفتر شيكاته. لم يكن ثريًا، لكنه لم يكن فقيرًا أيضًا. تحققت من الملفات في مكتبه، ووجدت نتائج آخر فحص طبي له. لم يكن مريضًا بالسكري أو السرطان أو القلب. كان ضغط دمه عاليًا، لكن هذا حالي أنا أيضًا.

تحققت من خزانة أدويته، ووجدت أدفيل، وتامز، ودواء لسعفة القدم.

هز سوانسون رأسه.

قلت: "وماذا أيضًا؟".

"تحدث فاسكيز إلى الجار الذي أوصى له بالكلب - اسمه موراي. كان موراي يرافق روبرتسون في تناول الشراب، وفي مشاهدة مباريات الكرة. لم يتوقع موراي حدوث شيء كهذا. قال إن كايل كان مزاجيًا ولكن لم يكن مكتئبًا. بيد أن عليّ أن أخبرك يا بوكسر أن أحداً منا لم يتوقع حدوث شيء كهذا. تحفظت فرقة التحقيق في مسرح الجريمة على حاسوب روبرتسون المحمول. ربما سيخبرنا هذا بشيء".

قلت: "هل يمكننا أن نكون واقعيين هنا يا تيد؟ كايل روبرتسون لم يقتل نفسه لمجرد نزوة. لقد عمل معنا في عمليات البحث عن القتلة التي كنا نعمل

عليها. ماذا لو هددوه؟ هل كانت لديه معلومات تمنى لو أنها ليست لديه؟ أعتقد أنك تعرف الإجابة".

اكفهر وجه سوانسون وقال: "هذا يعني أنني يمكن أن أكون مستهدفاً، وأن ما حدث لعائلة تومي كالهون يمكن أن يحدث لي. ماذا ستفعلين لو كنتِ مكاني؟".

"سأتحدث مع شخص يمكنه مساعدتك".

"إلام ترمين يا بوكسر؟".

"أنت تعرف ما أرمي إليه. أعطني معلومات كافية يا سوانسون. الرئيس جاكوبي كان شريكى، وعملنا معاً لأكثر من اثني عشر عاماً، وسيستمع لي".

"ليس لدي ما أقوله".

كان سوانسون يجلس في مقعده وقد مال للأمام وهو يتحدث:

"كنا نؤدى وظيفتنا مثلكم تماماً. ربما اقترب كالهون من شيء ما، وربما كان روبرتسون يعرف ما هو".

"أهذه هي القصة التي ستستخدمها؟ أنك لا تعرف أي شيء؟".

قال: "أنا ذاهب إلى الفراش الآن يا بوكسر. لقد كان يوماً آخر بغيضاً".

كان معنى كلامه أنه لا يريد التحدث معي، لكن النظرة على وجهه أخبرتني خلاف ذلك. أقسم إنه أراد أن يضع ثقته بي، لكن كليناً نهض. ذهب باتجاه الباب، وعندما مررت بغرفة المعيشة سمعت الأطفال يضحكون. شعرت بالخوف على هؤلاء الصغار وعلى نانسي وتيد سوانسون أيضاً.

لقد وجدت كلامه قابلاً للتصديق، لكنني لم أصدق على الإطلاق.

الفصل 94

خرجت من زيارتي لتيد سوانسون وأنا متأكدة من أنه كان يكذب، وهذا لم يكن مزعجاً فحسب، ولكنه ضاعف شكوكي نحوه أيضاً.

لقد أعرب لي عن قلقه من التعرض للهجوم، لكنه لم يخبرني بما يعرفه. شعرت بالإحباط والغضب ولم أتمكن من منع نفسي من التفكير في المجزرة التي حدثت في منزل توم كالهون، عالمة أن سوانسون كان يفكر بها أيضاً.

كانت يدي على باب سيارتي عندما نادتني نانسي سوانسون باسمي. كانت تسير بسرعة نحوي، وعندما وصلت إليّ، وقفت أمامي وقالت ووجهها يكاد يلاصق وجهي:

"استمعي لي أيتها الرقيقة. من الصعب ترك كل ما يتعلق بالعمل عند الوصول للمنزل، لكنني أحاول حقاً. إذا كان الأمر متروكاً لي، لم أكن لأدعك تدخلين المنزل من الأساس".

قلت: "نانسي، أنا أرغب في حماية عائلتك، لكنني لا أستطيع مساعدتك ما لم يتحدث تيد معي. إذا كنت تعرفين شيئاً، فأخبريني بالله عليك".

بيد أنها قالت: "سعيدة بمقابلتك".

فمددت يدي بسرعة وأمسكت بكتفيها قبل أن تتمكن من الابتعاد، وقلت: "استمعي لي، أنا أعلم ما أتحدث عنه. لا يمكنك الاعتناء بعائلتك بمفردك".

أبعدت يدي عن كتفيها، وقالت: "وداعاً. لا تعودني مجدداً".

شاهدت السيدة سوانسون تسير نحو منزلها، ثم التفتت ونظرت لي بغضب قبل أن تدخل وتغلق الباب.

صعدت إلى سيارتي، وأبلغت برادي بما حدث، وفجأة وجدت تيد سوانسون قادمًا من منزله يغلي من الغضب، ويرتدي سترة واقية من سترات شرطة سان فرانسيسكو. يا إلهي! ماذا سيحدث الآن؟

قرع نافذة سيارتي فأنزلتها.

قال سوانسون: "أتصل بي فاسكيز. هناك سيارات غريبة تدخل حيّه، وتتوقف بالقرب من منزله. هناك شيء مريب يحدث. أبلغني القسم بهذا".

ثم دلف إلى سيارتي وأعطاني عنوان فاسكيز، فنقلته إلى برادي، وطلبت منه أن يرسل جميع القوات المتاحة. كنا بين المناوبات، ولم أكن أعلم كم شرطياً يمكن لبرادي أن يحضره.

انطلقت إلى العنوان بينما قمت بتشغيل صافرة الإنذار، وصوت سوانسون المرتفع يمنحني الاتجاهات على طول الطريق.

الفصل ٩٥ مكتبة

t.me/t_pdf

كان جهاز اللاسلكي في سيارتي يصدر أصواتًا خشنة عالية مضيئًا إلى الإزعاج الذي تصدره صافرة الإنذار. كان موزع المهام يطلب من جميع الدوريات الذهاب إلى عنوان فاسكيز، وكانت الدوريات تجيب النداء واحدة بعد الأخرى بأنها في طريقها إلى هناك.

ظل سوانسون يحدق من الزجاج الأمامي. بدا مذهولاً، وغارقاً فيما يبدو أنه عالمه الخاص، بينما كنت أتقدم بسيارتي الإكسبلورر نحو منطقة ناجلي في حي الطبقة العاملة المعروف باسم كايوجا بارك.

بينما كنت أقرب من منطقة ناجلي قادمة من الاتجاه الجنوبي الغربي نحو منطقة كايوجا، سمعت صوت إطلاق نار متواصل، ثم رأيت السيارات المتوقفة على جانبي الشارع.

كانت هناك سيارات شرطة، تكسو أضواؤها الكاشفة المنازل ببقع حمراء وزرقاء. كان رجال الشرطة في السيارات يتبادلون إطلاق النار مع رماة في ثلاث سيارات سيدان أمريكية الصنع، ربما كانت السيارات الغريبة التي ذكر فاسكيز أنها تقف بالقرب من منزله.

تمتد منطقة ناجلي غرباً من الطريق ٢٨٠ السريع، وتوازي خط نقل علوياً سريعاً لمنطقة الخليج. كانت المنازل الموجودة هناك متراسة في صف طويل، وكانت من النوع الذي يصلح لسكنى العائلات، وكانت بها أسيجة قصيرة تحيط بممراتها.

كان الملعب الواقع أمام تلك المنازل فارغاً في هذا الوقت من الليل.

تركز القتال على منزل في منتصف الطريق، وهو منزل خشبي بلون البيج ذو جدار صخري بتفس ارتفاع المرآب.

قال سوانسون: "هذا هو منزل فاسكيز".

"هل لديه عائلة؟"

"لا. إنه مطلق، لا يوجد أطفال".

أوقفت سيارتي بعيداً عن مجال إطلاق النار وإن كان لا يزال بإمكانني رؤيته. كانت لديّ سترتان واقيتان في صندوق سيارتي. طلبت من سوانسون البقاء في مكانه.

خرجت من سيارتي، وانحنيت زاحفة بجوار السيارة على الجانب البعيد عن إطلاق النار. فتحت صندوق السيارة، وأخذت سترة، وارتديتها، وحملت الأخرى لأعطي سوانسون إياها. كنت في طريقي للتسلل إلى باب السيارة عندما وجدت سوانسون يفتح الباب ويهرع نحو منزل فاسكيز.

صرخت: "سوانسون! الزم الحذر!".

كان سوانسون يركض على طول السياج القصير الذي يفصل مدخل منزل فاسكيز عن ذلك الخاص بجاره عندما رأيت جسده يرتعش مرتين، ثم يسقط أرضاً. تسللت حتى دخلت سيارتي، وأمسكت الميكروفون، وصحت: "شرطي مصاب! شرطي مصاب!"، ثم أعلمت المعنيين بموقعي، رغم أنني كنت أعلم أنه لا يمكن لسيارة إسعاف أن تدخل هذا الحي إلى أن يتوقف إطلاق النار. كان هذا هو البروتوكول المتبع.

لم أكن أعلم ما الذي كان سوانسون يحاول القيام به، لكن إذا كان على قيد الحياة، فعلياً أن ألحق به. أطلقت أضواء السيارة وصافرة الإنذار، وخفضت رأسي إلى أسفل، وظللت أفود حتى رأيت سوانسون مستلقياً بجانب السياج. أوقفت السيارة، وانزلت على بطني عبر المقعد الأمامي، وفتحت الباب. نظرت مباشرة إلى سوانسون.

كان ينزف، لكنه كان يتنفس.

صحت: "أنت غبي يا سوانسون، هل تعرف ذلك؟".

كان الدم ينتشر عبر سترته الواقية، إلا أنه ابتسم ابتسامة عريضة.

وقال: "انظروا من يتحدث عن الغباء!".

الفصل 96

مثّلت سيارتي حاجزًا معقولًا ضد عاصفة إطلاق النار إلى يساري، لكن ليس لدرجة أن تكون ملاذًا آمنًا. سمعت صافرة سيارة إسعاف، وسرعان ما قدمت سيارة أخرى، وبدأت أصوات إطلاق النار تتوقف بينما أوقف المسعفون سياراتهم أسفل الطريق السريع.

جلست عاقدة ساقبي على الأرض بجانب سوانسون الذي كان يهتمهم بأغنية ما بين الحين والآخر: "أمممم مممم يا لوهج الصواريخ الحمراء، ممممم—مممم، وهي تنفجر في الهواء".

طويت سترتي ووضعتها تحت رأسه. بدا هادئًا، وربما كان في حالة صدمة. ربما تلقى رصاصة في عموده الفقري. وربما كان ينزف بشدة. قال: "سررتُ بمعرفتك".

"أنت أقوى من هذا. نحن من الشرطة، أليس كذلك؟".
"أريد منك فعل شيء لأجل نانسي والأطفال".
"هذه مهمتك أيها المغفل".

"قولي لهم إنني مت... أثناء العمل. هذه هي الحقيقة".
"تحدث معي يا سوانسون. هذا أبسط شيء عليك فعله".
"ما زال علمنا مرفوعًا".

"سوانسون، هل يعرفك بعض الناس باسم "واحد"؟".

سمعت محرك سيارة يبدأ في العمل، وصوت صرير إطاراتها، ثم عاد إطلاق النار. بناء على ما سمعته من أصوات، كانت السيارة تحاول الهروب قاصدة الطريق السريع في نهاية الشارع.

قال سوانسون: "رقم واحد. هذا أنا".

هل فهمني؟ أكان يعرف عن ماذا كنت أسأله؟

سألته مجددًا: "أتعني أنك الرجل رقم واحد، رئيس عصابة سترات الشرطة؟".

ضحك سوانسون.

"ما المضحك في الأمر؟".

"وقع كلماتك عجيب! رقم واحد رئيس عصابة سترات الشرطة! "

"لماذا فعلت ذلك؟".

تنهد قائلاً: "إذا فعلت ذلك، فإنها كانت جريمة بلا ضحايا".

"ماذا تعني بهذا؟ لقد قتل أكثر من اثني عشر شخصًا".

"سرقة مخدرات من الحثالة؟ هذه جريمة بلا ضحايا".

كيف أصبح شرطياً، ونجمًا في مجاله، إذا كان يفكر بهذا الشكل؟ لكنني كنت أعرف الإجابة. كان يُطلق عليها جرائم القتل لخدمة المجتمع، وبالتأكيد وجد لنفسه عددًا كبيرًا ما كان يفعله.

سألته: "وماذا عن كالهون؟".

رفع يده وأشار إلى اتجاه إطلاق النار الذي كان لا يزال على أشده، ثم قال: "تومي المسكين".

خفت صوت سوانسون، وسقطت يده.

"تيد، تيد، إياك أن تتركني".

سعل دمًا، فأمسكت بيده.

ثم سمعت شرطياً يصرخ من بعيد: "أخرج من السيارة رافعًا يديك! أخرج من السيارة الآن!".

ثم صاح صوت: "نهائيتك على يدي!".

ثم سمعت تبادلاً عنيفاً لإطلاق النار. ثم صمت قاتل. سمعت صوت برادي قادمًا من جهاز اللاسلكي الخاص بسيارتي يطلب من سيارات الإسعاف أن تقترب.

وقفت وناديته بأعلى صوت لديّ. وبعد لحظات، كان برادي، الملازم أشقر الشعر يقف جوارى، ويسألني: "هل أنت بخير؟".
 "نعم. وأنت؟"
 "بخير".

انحنى برادي ونادى سوانسون المرتدي سترة شرطة سان فرانسيسكو:
 "سوانسون، أجبني".

قال سوانسون "أهلاً". كانت عيناه مغلقتين، وتنفسه ضعلاً.

قلت: "لقد فقد الكثير من الدماء. أين المسعفون بحق السماء؟".

تركني برادي ليوجه سيارة الإسعاف، وبقيت مع سوانسون حتى وصل إلينا المسعفون. شاهدته بينما حملوه على النقال، وأوثقوه بالأربطة، ورفعوا النقال إلى السيارة.

على عكس روبرتسون، كان لدى سوانسون عائلة، والطريقة الوحيدة التي قد تحصل بها تلك العائلة على معاش محترم هي أن يموت رب الأسرة في أثناء العمل، وقد وجد سوانسون فرصته، واستغلها حقاً.

جذبت يد أحد المسعفين، وابتعدت به قليلاً، وسألته: "هل سينجو؟".

رفع المسعف كتفيه، ثم هز رأسه نفيًا، وصعد إلى سيارة الإسعاف وأغلق الأبواب.

كنت أرغب في أن يخبرني سوانسون بشأن بقية "طاقمه"، ولكن كان لديّ شعور قوي بأنه حتى لو عاش، فإنه لن يشي برجاله.

الفصل 97

كانت سيارات الإسعاف تتوافد بلا انقطاع لأخذ المصابين. وصلت سيارة الطب الشرعي، وكانت كلير تتحدث إلى كلاير، بينما ملأ محققو البحث الجنائي المكان. كان الخبراء ينصبون الأنوار وخيمة جمع الأدلة، وكان المحققون يعملون بأفضل ما لديهم تحت هذه الظروف. وفقاً لبرادي، كان عدد الجثث أربعاً، وكان جميع القتلى مجهولين. استطاعت سيارة واحدة الهروب، وكان عدد الأشخاص بداخلها غير معروف. جلست داخل سيارتي، وبعد أن اتصلت بجو وكونكلين، هاتفت نانسي سوانسون.

قلت عندما أجابت: "يجب أن أراك".

"ماذا حدث؟ هل حدث شيء لتيدي؟"

"لقد تأذي، لكنه على قيد الحياة".

"ماذا حدث؟ أخبريني الآن".

"سأكون في منزلك خلال خمس عشرة دقيقة. سأفلك إلى المستشفى. اطلبي من أحدهم أن يبقى مع أطفالك".

سقط هاتفي أرضاً. ناديتها، لكنها كانت تصرخ وتنادي أطفالها. اتخذت أسرع وأقصر طريق إلى منزل سوانسون، وأنا أفكر أن نانسي قد تخبرني الآن بما كانت تعرفه.

كانت تقف عند المدخل ترتدي قميصاً رجالياً أبيض، وبنطالاً من الجينز،
ونعلين خفيفين.

سألتني، بينما دلفت إلى مقعد الراكب بسيارتي: "أي مستشفى. ما
وضعه؟ هل حالته خطيرة؟".
قلتُ: "ضعي حزام الأمان".

انطلقت السيارة نحو مستشفى متروبوليتان. ضمت نانسي قبضتها وظلت
تضرب بها ساقها بينما كنت أخبرها عما حدث في منزل أوزوالدو فاسكيز.
أخبرتها بأن فاسكيز اتصل بزوجها في حالة من الذعر، وأخبره أن عدداً
من السيارات قدمت إلى منزله وأنه اعتبرها تهديداً، وأنه بحلول الوقت الذي
وصلت فيه بصحبة تيد، وجدنا عاصفة من إطلاق النار بين الشرطة والرجال
في تلك السيارات.

أخبرت نانسي: "كان آمنة في السيارة معي، لكنه قفز فجأة من السيارة
وركض نحو منزل فاسكيز".
"يا إلهي! وهنا أطلقوا عليه النار؟".

فأومأت برأسي وقلت: "لقد سقط وظل ينزف حتى وصل المسعفون".
قالت لي بنبرة تهديد: "هذا خطأك. اللعنة عليك أيتها الرقيبة".
"أفهم ما تمرين به يا نانسي، وأشعر بأسى كبير لأجلك".
"لا أبالي بالطريقة التي ستصوغين بها الأمر. لقد كنت تضغطين على تيد
منذ أسابيع، وهو لم يرتكب أي خطأ. لقد فعلها من أجلنا، من أجل أسرته".
"هل تفهمين الحقيقة؟ زوجك مجرم".

قالت هازئة: "المجرم الحقيقي هو كينج فيشر".
"لا أفهم ما تقصدينه".
"إنه الذي تسبب في مقتل عائلة كالهون، ألا تعرفين هذا؟".
سألتها: "هل أنت متأكدة من هذه المعلومة؟".

غطت نانسي سوانسون وجهها بيديها. كانت رقبتها وذراعها حمراري
اللون. بدأت تبكي وتقول: "لا أدري، لا أعرف. لا أدري، لا أعرف. لدي ثلاثة
أطفال. لا يمكننا أن نفقد تيد، أتفهمين؟".

قلت: "نانسي، هل يمكنك إخباري بأي شيء قد يساعدنا في القبض على
الجناة؟".

حولت عينيها الحمر اوين نحوي وقالت: "هل جننت؟ أنا زوجة شرطي. ألا تعتقد انني أعرف ما الذي تحاولين القيام به؟".

أوقفت السيارة خارج غرفة الطوارئ وفكت نانسي حزام مقعدها، وفتحت الباب، وبدأت تركض.

رن هاتفي حتى قبل أن أتمكن من إغلاق باب السيارة.

كان برادي.

وقال: "فاسكيز مفقود. لا يرد على هاتفه، ومنزله فارغ يا بوكسر. لقد اختفى!".

الفصل 98

في العاشرة من صباح اليوم التالي، توجهنا أنا وكونكلين إلى حي باركميرسيد وتبعنا في سيارة أخرى شرطيان في الزي الرسمي.

فتحت نانسي سوانسون الباب، وكانت ترتدي نفس القميص الأبيض وبنطال الجينز اللذين كانت ترتديهما بالأمس. ومن منظر عينيها، فإنها على الأغلب كانت تبكي منذ ذلك الحين أيضاً.

قدمت لها كونكلين، لكنها لم تنظر إليه. سلمتها مذكرة التفتيش فتنحت جانباً وهي تصيح: "ماذا لديك ضد تيد؟ هل تعرفين كيف حاله حتى؟". سألتها: "هل سمعت شيئاً عن فاسكيز؟". "لو حدث، ستكونين آخر شخص أخبره".

بدأت أنا وكونكلين جولتنا في المنزل، الذي بدا مبهجاً في ضوء النهار القادم من خلال النوافذ العديدة التي تطل على الأشجار في فيلا ميرسيد بارك.

ارتدينا قفازينا، وراقبتنا نانسي بينما رحلت أنا وكونكلين نفتش منزلها. وجدنا لوحاً متحركاً داخل خزانة الكتب يخفي بداخله عددًا لا يحصى من رزم المال فئة العشرين دولاراً.

كما وجد أحد الشرطيين اللذين صاحبانا المزيد من النقود تحت الطعام المجمد في المبرد بالطابق السفلي، بينما وجد كونكلين مخبأ للأسلحة في

خزانة غرفة النوم، وتحت السجادة، وتحت الباب السري. ووجدنا المزيد من المال في غسالة الصحون كذلك.

أغلب الظن أن نانسي خبأتها هناك في عجلة من أمرها.

أدرجت سيارة سوانسون في أمر التفتيش، ووجدنا بداخلها خمسة جوازات سفر وبعض النقود في مكان خفي داخل لوحة القيادة. وضعنا كل شيء في أكياس، وفي أثناء نقلها إلى سيارتنا، اتصلت بجاكوبي. تنهد بقوة وقال: "أحبك يا ليندسي".

ضحكت، وكذلك فعل هو.

عندما عدنا إلى مقر قيادة الشرطة، ذهبنا مباشرة إلى مكتب جاكوبي مع صناديق مليئة بما وجدناه في منزل سوانسون وسيارته. التقط جاكوبي الهاتف، واتصل بأحدهم ثم قال: "نحن مستعدون أيتها الرقيبة".

وبعد بضع دقائق، كنا جالسين على المقاعد الجلدية المريحة في مكتب جاكوبي، نخبر فيل بيكلني بما وجدناه بمنزل تيد سوانسون. كان بيكلني شرطياً رقيقاً، في الخامسة والثلاثين على الأغلب، أتى من الساحل الشرقي من نيويورك أو بوسطن، ولم تكن لديه لكنة واضحة. كان مصفّف الشعر، أنيق الملابس، ووسيمًا. كان سوانسون، وفاسكيز، وكالهن، وروبرتسون يعملون جميعاً تحت إشرافه.

قال: "هذا أمر لا يصدق. كم وجدتم من المال؟"

قلت له: "مليوناً أو نحو ذلك. بناء على كم الأسلحة وجوازات السفر، فإنني أعتقد أن سوانسون كان يخطط للمغادرة قريباً".

قال فيل: "كنت أثق بتيد ثقة عمياء".

سأل جاكوبي فيل عما يعرفه عن فاسكيز فقال: "لقد أحببته كثيراً رغم أن رأيي في فاسكيز لا يعني شيئاً الآن على الإطلاق. ليس لدي أي فكرة عن مكانه، وهو بالتأكيد لم يتصل بي".

علمنا أنا وكونكلين أن المبلغ كان يناهز المليون دولار بالإضافة إلى ست بنادق متنوعة.

ثم أطلعنا برادي على ما حدث في منزل سوانسون.

كان برادي قد اتصل للتو بالمستشفى. قال: "ظني أن سوانسون لن ينجو".

ثم أخبرنا أن براند وويتني مختفيان، ولا يجيبان على الهاتف، ولم يذهب أيهما إلى منزله.

وأكمل برادي: "ولا يزال فاسكيز مفقوداً. تم العثور على السيارة التي هربت من حي ناجلي على الطريق السريع وقد أطلق على هيكلها ما يقترب من مائة رصاصة. كان هناك دم في المقعد الخلفي، والمعمل الجنائي يفحصها الآن".

هل قتل فاسكيز أم اختطف، أم أنه هرب من المدينة؟

قال برادي: "لماذا لا تأخذان بقية اليوم راحة؟"

لا أتذكر آخر مرة ذهبت فيها إلى المنزل في الخامسة، لكن هذا كان جيداً. فقد كانت لديّ خطط للمساء.

الفصل 99

كان لديّ ثوب أحمر رائع يقبع في خزانة ملابسي، اشتريته قبل أن أصبح حاملاً في جولي، دون مناسبة واضحة في ذهني، حتى بطاقة السعر كانت لا تزال مثبتة عليه.

كان جولاً يزال بالخارج مع مارثا وجولي عندما وصلت إلى المنزل. تحممت ووضعت مساحيق التجميل، ولم أنس الكحل.

كان الثوب الأحمر بقصة غير متماثلة عند فتحة الرقبة والحاشية، ضيقاً عند الخصر. ارتديته، وانتقيت حذاء بكعب منخفض، ونظرت إلى نفسي في المرأة.

لم أكن المرأة نفسها التي كانت ترتدي البنطال الرسمي والسترة الزرقاء كل صباح.

رائع. كانت هذه أنا أيضاً.

كان هناك اجتماع خاص بنادي السيدات لجرائم القتل في مطعم لوكال إيديشن. كانت مناسبة رسمية تحت عنوان "مرحباً بعودتك يا سيندي"، وكنا نحفل أيضاً بكتاب فتاة فيش الذي مدحته صحيفة لوس أنجلوس تايمز. كانت هذه أسباب جيدة لقضاء أربعتنا وقتاً ممتعاً معاً.

تركت لزوجي ورقة تخبره بمكاني، وتوجهت نحو المطعم. بعد قليل وفي أثناء الازدحام المروري، رن هاتفي. كان المتصل غير معروف. كنت عالقة بين سيارة بورش وشاحنة، فرأيت أنه لا مانع من أن أجيب على الهاتف. كان الصوت مكتومًا، لكن الرسالة كانت واضحة: "لقد تخطيت الحدود، وستحصلين على ما تستحقينه. أنت وعائلتك في خطر، يا بوكسر. لن تعرفوا الأمان أبدًا".

تجمدت الدماء في عروقي، وسقط قلبي في قدمي.
قلت: "من يتحدث؟"

كان الخط مفتوحًا، وكنت أسمع صوتًا ثابتًا، لكن لم تكن هناك إجابة. حدقت في مؤخرة سيارة البورش، لكنني لم أر أحدًا، كنت أتخيل وجه شرطي، شرطي بعينه، وقلت: "وأنت لست بمأمن مني يا فاسكيز". سمعت نقرة وانقطع الاتصال، وفي اللحظة نفسها تقريبًا، أطلق سائق الشاحنة نفيراً.

انطلقت بسيارتي متساءلة عما إذا كنت محقة في أنه فاسكيز فعلاً. ولكن سواء كان المتصل فاسكيز أو أي شرطي آخر شرير، لم أكن لأدع هذا الاتصال يفسد أمسياتي. كان هذا ما قلته لنفسني، لكنني كنت أشعر برعشة أشبه بزلزال داخلي – إحساس بعدم الأمان داخل بيتي. كان شعورًا لا يطاق. فما الذي سأفعله حيال ذلك؟

الفصل 100

انتقلت يوكي المكان المثالي للاحتفاء بصديقتنا المراسلة الصحفية
الجنائية بمناسبة عودتها من جولتها الناجحة لترويج كتابها.
أوقفت السيارة في مكان به عداد انتظار السيارات في شارع ماركت، وسرت
قليلاً حتى وصلت إلى مبنى هيرست التاريخي.
اصطحبني الحارس إلى الدرج نحو غرفة تحت الأرض كانت تضم سابقاً
مطابع جريدة سان فرانسيسكو اكزامينر، وصارت الآن نادياً ساحراً.
كانت الأسقف مرتفعة، والآلات الكاتبة مصفوفة على الجدران. كان
المشرب عبارة عن شريط طويل من الخشب المصقول، مع صفوف وصفوف
من كؤوس الشراب المتدلية من رفوف علوية. تفقدت الغرفة، وشاهدت
مقصورات جلدية حمراء تواجه مقاعد دوارة من الجلد الأبيض عبر طاولات
رخامية بيضاء، وكان لا يزال هناك عدد كبير من المطابع الضخمة مرصوفة
على الأرض، ما يوحي للزائر بجو فترة الخمسينيات الساحر.
وصدرت عني تهيدة طويلة.
كنت سأشرب وأضحك الليلة، كان هذا مؤكداً.
أوصلني النادل إلى طاولتنا، وكنت على وشك الجلوس عندما ظهرت يوكي
تكاد ترقص وهي تسير.

كدت أعانق يوكي عندما سمعت صوت كليز يقول: "أهلا يا عزيزتي"، وانضمت إلينا في عناق ثلاثي.

عندما جلسنا، قلنا في صوت واحد: "فلنغلق الهواتف". وبعد أن فعلنا، قالت كليز ليوكي: "سمعت أنك لديك أخبار مهمة".

لقد اتصلت يوكي بي وأخبرتني بالفعل بشأن التسوية التي حصلت عليها لموكلها، ولكن كان من دواعي سروري أن أسمعها تخبر كليز بالقصة، مستخدمة يديها، مقلدة صوت باريزي .

"عندما وقَّع على الاتفاقية، قال: أنت لعينة حقًا يا يوكي، فكان ردي: لقد تعلمت من الأكبر والأفضل".

ثم ضحكت يوكي ضحكتها المبهجة، وضحكنا معها، ضحكة عالية طويلة. عندما تمكنت من الكلام مجددًا، أكملت: "ثم غمز لي بعينه". سألت: "حقًا؟".

"حقًا. غمز لي، وابتسم، ومرر الأوراق عبر المائدة وقال: استمتعي بيومك. أعتقد أنك ستفعلين". قالت كليز: "إنه يحترمك كثيرًا".

شعرت بوجود سيندي قبل رؤيتها. ثم جاءت في ثوب أسود حريري، تفوح منها رائحة الليلك بينما انحنت لتعانق وتقبل ثلاثتنا.

ثم سألت يوكي: "من الذي يحترمك كثيرًا؟"، بينما جلست جوارها. بدأت يوكي في رواية القصة مجددًا، وبما أن سيندي كانت بعيدة هذه الفترة فقد استمعت إلى النسخة الطويلة من القصة. ضحكت وطلبت توضيحات أكثر تفصيلاً، ما كان يعوق التدفق الدرامي أحيانًا، لكن سيندي مراسلة والحقائق هي محور اهتمامها.

ثم قالت سيندي: "لدي أخبار مهمة خاصة بي". "نحن نعلم أن كتابك حصل على إشادات رائعة، فماذا لديك أيضًا؟". قالت سيندي: "لقد وجدت هذه بجانب ساعتني هذا الصباح"، ثم أخرجت علبة مخملية سوداء من حقيبة يدها ووضعتها على الطاولة. شقنا جميعاً في صوت واحد. لقد رأينا هذا الفيلم من قبل. في النسخة الأولى، جثا ريتشي على ركبته في صحن دار العبادة، وطلب يد سيندي وقدم لها خاتم والدته. ولحظتها سمعت هديل الحمام يتردد عبر دار العبادة وشعرت بأنها في النعيم.

لكن بعد انتهاء فترة النشوة الأولى، عندما تحولت المحادثات إلى إنجاب الأطفال، بدأ جدار سميك يفصل بينها وبين ريتشي.
فما الذي تغير الآن؟

فتحت سيندي العلبه وسحبت قلادة ذهبية رفيعة بدلاية كبيرة من الألماس.
قالت: "إنه الخاتم. لقد حوله ريتشي إلى شيء مختلف - لأجلي أنا".
وضعت سيندي القلادة حول عنقها، ثم حركت الدلاية الألماسية إلى الأمام والخلف على طول السلسلة. كان منظر حجر الألماس مبهراً عندما كان في الخاتم، وحينما حوله ريتشي إلى دلاية كان مبهراً أيضاً.
ثم سألت يوكي سيندي، الفتاة الوحيدة في مجموعتنا التي كانت لا تزال عازبة: "إذن أنت لست مخطوبة؟"

قالت سيندي: "كانت هناك ورقة مع القلادة. كتب ريتشي يقول: عندما نصبح مستعدين للزواج، سنختار خاتماً معاً"
قالت كلير: "جميل. القلادة والملحوظة كلاهما جميل".
قالت يوكي: "هذا يستدعي تناول مشروب".

ظهر النادل وأوصى بعدة كوكتيلات خاصة سميت باسم الناس والأماكن والأحداث الرئيسية في مجال الصحافة.

شربنا احتفالاً بكل شيء: تجديد الالتزام بين سيندي وريتشي، وتسوية يوكي لآل كورديل، ودخول طفلة كلير الصف الأول بالمدرسة، وحقيقة أنني بعد تسعة أشهر من ولادة جولي، تمكنت من ارتداء فستان أحمر مناسب، وأنه كان "مذهلاً".

كان من المعتاد أن يناقش أربعتنا قضاياانا، لكنني لم أرغب في التحدث عن "رقم واحد" وعصاة سترات الشرطة - ليس الليلة على الأقل.
أمسكت بهاتفي، وقلت: "سأتصل بزوجي لأخبره أنني في طريقي".
اتصلت بجو، وعندما أجاب، قلت: "مرحباً. سأكون في المنزل بحلول التاسعة".

الفصل 101

كان ريتش كونكلين ينتظر في سيارة دورية، متوقفة أمام صف من المباني الخشبية المكونة من ثلاثة طوابق في شارع ستوكتون في الحي الصيني. كانت جميع المباني يشغل طابقها الأرضي شركات البيع بالتجزئة، في حين كانت الطوابق العليا سكنية في معظمها. ومن حيث كان كونكلين يقف، كان بإمكانه رؤية متجر بيع الفاكهة والخضراوات بالطابق السفلي والباب المجاور له، والذي كان يقود لمدخل فندق سيلفستري، وهو عبارة عن فندق رخيص لاستئجار الغرف بالساعة.

كان كونكلين يعرف هذا المكان جيداً، حيث إنه شن هجوماً على تجار المخدرات وبائعات الهوى هناك، قبل أن ينقل إلى قسم مكافحة جرائم القتل بتوصية من ليندسي.

أكثر ما تذكره عن سيلفستري هو أن الغرف كانت سيئة التأسيس، تغطي نوافذها ملاءات قذرة بدلاً من الستائر، وأن المكان كان دائم الاهتزاز بسبب تكييف الهواء الخاص بالسوق في الطابق السفلي.

في هذا المساء، كان كونكلين في طريقه إلى منزله عندما أتته معلومات من كيه. جيه. هيركوس، وهو مرشد سري وتاجر مخدرات صغير. عاش هيركوس وعمل في شوارع الحي الصيني طوال حياته، ما جعله يتعرف بسهولة على

الشرطي ذي اللحية القصيرة والنظارة المستديرة الذي استأجر غرفة في فندق سيلفستري.

أمل هيركوس في أن تنشأ صلة بينه وبين الشرطي ذي النظارات عن طريق كونكلين، حيث ربما كان بإمكانه تقديم معلومات مفيدة له من حين لآخر. قال كونكلين: "لا تقرب منه إلا إذا أخبرتك، اتفقنا يا هيرك؟ إنه متخف. سأبحث عن عمل لأجلك".

ظل كونكلين يراقب الفندق لمدة ساعتين قبل أن يرى المحقق ستان ويتني يخرج منه. ذهب ويتني إلى المتجر، وخرج بعد عشر دقائق ومعه حقيبة بلاستيكية بداخلها شيء ما، ثم دخل الفندق مجددًا. اعتقد كونكلين أن ويتني ربما خرج لشراء عشاءه كيلا يخرج مرة أخرى. فكر في الذهاب إلى الفندق، والحصول على رقم غرفة ويتني، والطرق على بابه. لكنه سرعان ما نبذ الفكرة.

كان ويتني على الأرجح يائسًا بما يكفي لإقحام سلاحه المحشوفي المحادثة. وكان كونكلين يعرف أن أفضل شيء يمكنه فعله هو الاستمرار في المراقبة والاستعداد لتعقب الشرطي الهارب.

اتصل كونكلين ببرادي، ووصف قميص ويتني، وسرواله الجينز، والقبعة الزرقاء التي تخفي وجهه جزئيًا، وطلب قوة داعمة في سيارة لا تحمل أرقامًا. دون برادي ما أخبره كونكلين إياه، ثم قال له: "لا تفقد أثره". استأنف كونكلين مراقبة الباب، وكانت المفاجأة أنه رأى ويتني يخرج ويسير يمينًا، ثم يسارًا نحو حي فاليجو.

ترك كونكلين إحدى السيارات تسبقه، ثم تحرك في الوقت المناسب عند تحول الضوء إلى اللون الأحمر. عندما تغير إلى الأخضر، أمكنه رؤية ويتني، كان لا يزال يتجه جنوبًا نحو ستوكتون عبر الحي الصيني، ويمر بالمحلات والمخابز، ويداه في جيبه، كما لو كان خارجًا للنزهة.

تعقب كونكلين ويتني دون مشكلات، ووجده ينعطف يسارًا نحو شارع كلاي ثم انعطف يسارًا مرة أخرى نحو شارع كيرني. تبعه كونكلين لمربعين سكنيين آخرين، وكان خلفه عندما اختفى في مرآب بورسموث سكوير في الجهة المقابلة لفندق هيلتون.

أوقف كونكلين سيارته في منطقة غير مخصصة لوقوف السيارات. مرت سيارة شيفروليه فضية بكونكلين، كان السائق هو الضابط ألين بنجامين، وهو شرطي يعرفه كونكلين جيداً. اتصل كونكلين ببرادي باستخدام اللاسلكي، والذي أخبره أنه أبقى قناة مفتوحة لثلاثتهم: بنجامين، وبرادي، وكونكلين. قاد بنجامين للأمام، وأوقف سيارته التي لا تحمل أرقاماً أمام صنبور إطفاء، وانتظر هناك. في الساعة ٨:١٥ مساءً، بعد عشر دقائق من دخول المرآب، خرجت شاحنة خفيفة زرقاء من المرآب وانعطفت يميناً. كان سائقها ويتني.

قاد كونكلين سيارته متجاوزاً بنجامين، وتناوبا على تعقب الشاحنة الخفيفة. انعطف ويتني يساراً نحو شارع واشنطن، ثم يساراً آخر نحو شارع ستوكتون عبر الحي الصيني الذي كان لا يزال مزدحماً بالشاحنات التي تسلم البضائع، فضلاً عن المشاة والسائقين في سيارات الأجرة التي تتلأأ على زجاج نوافذها أضواء المساء.

ودون سابق إنذار، توقفت شاحنة ويتني عند تقاطع شارعي ستوكتون وبوش لمدة طويلة بما يكفي ليتمكن رجل منتفخ العضلات من مغادرة الرصيف وركوب الشاحنة.

تعرف كونكلين على الرجل، كان ويل براند، شريك ويتني. لم يكن ويتني وبراند ينتهكان القانون، ولذلك لم يكن يستطيع توقيفهما. مع وجود سيارتي شرطة في أعقابها، تحركت الشاحنة الزرقاء يميناً مباشرة نحو حي سوتر، وسارت نصف ميل وصولاً إلى بولك، ثم توقفت في مكان فارغ أمام صالون تجميل للأظافر.

عندما خرجا من الشاحنة، كان ويتني وبراند يرتديان سترتي شرطة سان فرانسيسكو زرقاوين. عبرا الشارع إلى مبنى رمادي من الجص كانت لافتته تقول: "باي داي لونز، مكتب صرف الشيكات، ويسترن يونيون".

كان مكتب صرف الشيكات مضاء ومفتوحاً. عندما وصل ويتني وبراند إلى الباب، أخرجا قناعين من جيبيهما واردياهما. فتح رجلا الشرطة الباب ودلّفا إلى الداخل.

الفصل 102

دخلت شقتنا وسمعت صوت موسيقى يتردد من غرفة النوم. كان جو جالسًا في السرير يرتدي قميصًا وسروالًا قصيرًا، بينما يعمل على حاسبه المحمول ويستمتع إلى موسيقى البلوز.

نظر جو لأعلى ورآني في ثوبي الأحمر الأنيق، فأطلق صفيحًا. ابتسمت ابتسامة صغيرة ودرتُ بثوبي قليلًا، قبل أن أقول: "بعد كل هذه السنوات في السترة والبنطال ما زلت ساحرة، أليس كذلك؟".

قال: "نعم، بالتأكيد يا شقراي".

قلت: "سأعود على الفور"، وتحركت نحو الغرفة الأخرى لرؤية جولي.

لكن جو أوقفني وقال: "إنها عند السيدة روز. ومارثا هناك أيضًا".
"حقًا؟ لماذا؟"

قال جو: "أخبرت السيدة روز أنني في حاجة إلى بضع ساعات لإنجاز بعض الأعمال، فقالت: سيكون من الجميل أن أحظى ببعض الصحبة"، مقلدًا لهجة السيدة روز البريطانية.

ضحكت. لقد قلد السيدة روز بمهارة حقًا.

جلست بجواره فسأل: "كيف كان عشاؤك؟".

قلت له: "صدقًا، كان أفضل وقت حظينا به منذ شهور. كنا جميعًا هناك، وكنا في حالة مزاجية رائعة. كما منح ريتشي سيندي ماسة والدته ولكن في شكل جديد"، ثم رحت أصف له القلادة.

أخبرته كم أحبه، وقال إنه يحبني أكثر. كنت مرهقة تمامًا ففوت وأنا أقول لنفسي إن الأمر كان على ما يرام. فقد كان جويتولى المسؤولية، ولم يكن عليّ أن أقلق بشأن أي شيء. كان سيحضر الطفلة ومارثا في الوقت المناسب. كنت نائمة وربما أحلم بحلم جميل عندما قال جو: "ليندسي، كان هاتك بيرن كل دقيقة أو دقيقتين".

ثم أعطاني إياه.

أخذته على مضض، وقلت: "كنت أتلقى اتصالات مقطوعة"، ولكن عندما نظرت لأعرف من المتصل، وجدت أنه كونكلين.

قال كونكلين: "يا إلهي! أين كنت؟ حسنًا. لا يهم. حاول كل من براند وويتني سرقة مكتب صرافة شيكات. لدينا قتلى، ورهائن أيضًا. إنهم داخل المكتب الآن".

سمعت صوتًا يتردد من مكبر صوت يقول: "ارفعوا أيديكما واخرجوا. أنتما لا تريدان أن يقتل أحد آخر، أليس كذلك؟".

أعطاني كونكلين عنوانًا في شارع بولك، وكان على بعد ثلاثة أميال، أي خمس دقائق، أو أربع إذا ذهبت بسرعة. فنهضت متعثرة أحاول ارتداء شيء ما، وشغل جو الأنوار.

قال: "اعتني بنفسك يا ليندسي. نحن نريدك هنا. عائلتك تحبك". ذهبت إليه وعانقنا بعضنا بقوة. كنت بحاجة للذهاب، لكنني كنت أعرف أن جو وأنا نفكر في الشيء نفسه: كان لدينا الكثير لنعيش لأجله.

الفصل 103

سمح لي أحد رجال الدوريات بدخول المنطقة المطوقة بسيارتي الإكسبلورر، وواصلت القيادة إلى أن رأيت كونكلين وبرادي واقفين أمام صالون لتجميل الأظافر يقع إلى جنوب الطريق. كانت عيون الجميع مثبتة على الجانب الشمالي، على مكتب صرافة الشيكات الواقع أمامهم مباشرة.

أوقفت سيارتي في منطقة غير مسموح فيها بإيقاف السيارات على بعد بضعة ياردات من الشارع الذي يقف فيه برادي وكونكلين، تماماً خلف شاحنة خفيفة زرقاء طراز فورد تحمل لوحة ولاية تكساس. خرجت من سيارتي وسمعت صافرات سيارات الشرطة القادمة من جميع الجهات. توجهت إلى شريكي وسألته: "ماذا حدث؟".

رفع شعره من فوق عينيه، وتنحج وقال: "جاءتني معلومة بأن ويتني نزيل في فندق سيلفستري، لذلك ذهبت إلى هناك، وراقبته إلى أن وجدته يفادر الفندق حوالي الساعة الثامنة مساءً، فتعقبته. قاد إلى أن وصل إلى مرآب لتصليح السيارات في كيرني، وركب تلك الشاحنة"، وأشار إليها بذقنه.

ثم أكمل قائلاً: "ثم أقل براند عند تقاطع شارع ستوكتون وبوش، كلاهما في ملابس غير رسمية. عندما خرجا من الشاحنة، هنا، كانا يرتديان سترات الشرطة".

كان صوت أبواب السيارات وهي تفتح وتغلق بقوة ينتشر في الأرجاء، وكان رجال الشرطة يخرجون ويقفون على الرصيف وينظرون من فوق سقوف سياراتهم، بينما خرج من أجهزة اللاسلكي لحن نشاز على طول الشارع. كنت أرثدي سترتي الواقية، وأحمل مسدسي، لكنني شعرت رغم ذلك بأنني عارية وضعيفة.

نظرت عن كثب إلى مكتب صرافة الشيكات. كانت اللافتات لا تزال مضاءة فوق واجهة المكتب، ولكن المكتب كان مظلماً من الداخل. قال كونكلين: "وضع أحدهم لافتة مغلقة على الباب. كانت الأضواء مشتعلة، ورأيتهما يدفعان عميلتين إلى الجانب الأيسر من المتجر. جعلاهما تستلقيان وبدأ براند يقيدهما".

ثم أضاف: "وبينما كان براند يفعل ذلك، صوب ويتني بندقيته على حارس الأمن وقاده نحو الخزانة. أظن أن ويتني قال شيئاً مثل: افتحها وإلا سأقتله". قلتُ: "اللعة. وهكذا سمحوا له بالدخول".

قال كونكلين: "بالضبط. وفي أثناء ذلك، ضغط أحدهم على زر الإنذار". ثم رفع برادي مكبر الصوت وصاح: "ويتني. براند. أنا أتصل بالمكتب. أجيياً". كان برادي يتعرق بغزارة، وكان العرق متفصداً على جبهته، وشفته العليا، لكنك لا تستطيع أن تستشف أنه كان متوتراً من صوته أو أفعاله. كنت سعيدة لأن برادي كان المسئول. قلت لشريكي: "استمر".

أكمل كونكلين: "رأيت الصراف يفتح باب الأمن، وفجأة وجدت ويتني يطلق النار على الحارس وينفذ تهديده، ثم ركض الصرافون نحو الباب الخلفي وبدأ ويتني يطلق الرصاص في كل مكان. أعتقد أنه أصيب بالذعر أو لم يعد يهتم، وغالباً قتل صرافين أو أكثر. فأنا لم أرهم جيداً".

كانت الأسلحة موجودة في كل مكان في هذا المكان الصغير، وقريبا ستطلق القوات الخاصة قنابل دخان وتقتحم مكتب صرافة الشيكات.

تحدث برادي في مكبر الصوت قائلاً: "اسمعاني. سينتهي هذا بشكل سيئ إذا لم تفعل ما أقوله بالضبط. المكتب محاصر، لدينا قناصة على السطح، ضعا الأسلحة واخرجا وأيديكما في الهواء".

بعد لحظات، فتح الباب الأمامي بضعة سنتيمترات وصاح ويتني: "لا تطلقوا النار. سنخرج مع الرهائن".

نادى برادي من مكبر الصوت: "لا تطلقوا النار".

فتح الباب وخرجت منه امرأتان مرتعبتان وأيديهما وراء ظهريهما. كان ويتني وراء إحداهما، وبراند وراء الأخرى.

رأيت سلاحيهما في ظهر المرأتين وكان كلاهما يحمل حقيبة من القماش الخشن، وغالبًا تحتوي على أحدث غنائمهما وآخرها.

كنت واقفة بجوار كونكلين عندما كان ويتني وبراند، وهما لا يزالان يرتديان الأقنعة القذرة، يحركان رهينتيهما بين السيارات المتوقفة ونحو الشاحنة. كانا على بعد خمسين قدمًا فقط وعلى أقدامهما، لكنهما كانا مرهقين وكان عليهما أن يمررا عبر صفوف من الأسلحة المصوبة نحوهما، بما في ذلك أسلحتنا أنا وبرادي وكونكلين.

لا أعرف ما الذي حدث لريتشي. ربما لم يستطع أن يتحمل ما كان يحدث. وجدته يصيح في ويتني وبراند: "أنتما حثالة! حثالة قذرة!".

رفع ويتني مسدسه ووجهه نحو كونكلين. فرأيت شريكى يرفع ذراعه، وفي الوقت نفسه الذي سمعت فيه صوت سلاح ويتني، سحبْتُ مسدسي. كنت أعرف أن كونكلين أصيب، لكني لم أستطع التوقف عما كنت أفعله.

لم أكن أقف بزاوية تسمح لي بتسديد طلقة صائبة للرأس أو الصدر، لذلك جثوت على ركبتى وأطلقت النار على ساق ويتني. قبل أن تترنح ساقه، انطلقت بضع مئات من الرصاصات من الأعلى.

سقط ويتني، وركضت الرهينتان صارختين. ثم سقطت إحداهن على الأسفلت وهي تنزف.

وصل برادي إلى براند في حركة بطيئة مرعبة، ووضع مسدسه في مؤخرة عنقه. فألقى براند سلاحه ورفع يديه.

قال براند: "أستسلم، لا تطلقوا النار".

سمعت طلقتين، لكنني لم أر أين وجهتا. كان عقلي مركزًا بالكامل على كونكلين. كان على الأرض بلا حراك. انحنيت على شريكى وهزرت كتفه قائلة: "ريتشي. تحدث إلي".

مكتبة

الفصل

104

t.me/t_pdf

كانت غرفة الانتظار الصغيرة خارج قسم الطوارئ بلون البيج الباهت، بينما لاح الضوء العلوي أبيض ساطعاً.

كان ريتشي في غرفة الجراحة. جلست أنا وسيندي معاً، وكانت مذعورة خوفاً عليه. ظلت تحاول استجماع شتات نفسها، لكن الدموع كانت تتدفق على وجهها بلا انقطاع. كنت أمسك بيدها وأقول الأشياء التي تقال في المواقف التي لا نعرف فيها ماذا سيحدث: "سيكون على ما يرام. سوف ترين".

كانت يوكي تذرع المكان جيئةً وذهاباً، بينما وقفت كلير في المدخل تنتظر خروج الطبيب. كانت كلير قد فحصت جرحه وأكدت لنا أن الطبيب ستار كان الأفضل.

كان جو بالخارج يجلب القهوة، وبعد أن انتظر برادي معنا لساعات، عاد إلى مقر قيادة الشرطة ليدلي بأقواله، هذه المرة لقسم الشئون الداخلية.

كانت أحداث الساعات الأخيرة تدور في ذهني بلا توقف. ظللت أسمع أصوات الطلقات النارية السريعة وصراخ الرهائن. رأيت بعين خيالي جثتي براند وويتني، وتأكدت أنهما لم تكن لديهما خطة حقيقية، وغالباً لم يتوقعا البقاء على قيد الحياة من الأساس.

وتذكرت تسليم مسدسي إلى برادي، ثم الصعود إلى سيارة الإسعاف التي أقلت ريتشي إلى المستشفى. كان من المفترض أن أبقى في موقع الجريمة،

لكن كان هذا مستحيلًا بأية حال. كان ريتشي مصابًا في الرقبة إصابة خطيرة، قاتلة بالأحرى. إنه صديقي العزيز وشريكي وأخي، ويمكن أن يموت. تذكرت الاتصال بسيندي من سيارة الإسعاف وسماع صرختها المذعورة، وتذكرت الاتصال بجوقائلة: "أنا بخير". أما الآن، في غرفة الانتظار بالمستشفى، وجدته يضع صينية من أكواب القهوة على الطاولة. ثم يجلس بجواري، ويمسك بيدي.

بعد ذلك بلحظة، نهضنا جميعًا لحظة أن دخل الطبيب الغرفة. كان رجلًا ضئيل الحجم ذا لحية صغيرة وأصابع طويلة. قال الطبيب: "المحقق كونكلين خرج من الجراحة. ولديّ أخبار جيدة. أصابت الرصاصة ساعده الأيسر، وكسرتة، ثم انحرقت، مما أبطأ مسارها. لقد كان هذا من حسن حظ المحقق كونكلين".

ثم أضاف: "ولأن الرصاصة انحرقت، فبدلاً من قطع شرايينه أو عموده الفقري، خدشت عنقه. لقد سبب جرحه تمزقًا ما أدى إلى انهياره ونزفه الشديد، لكن التمزق خُيط بالكامل، وأصلحنا وضعية ذراعه. سيكون على ما يرام". ثم سأل: "من منكن سيندي؟"

وقفت سيندي، ووجهها أحمر وعيناها مفرورتان بالدموع، وقالت: "أنا". قال الدكتور ستار: "سيكون بخير يا عزيزتي. طلب مني أن أخبرك أنه يحبك".

قالت سيندي: "حمدًا لله"، وجلست منهارة من وطأة انفعالها وجزعها. كنا جميعًا مشحونين بالعواطف، وظللنا نحمد الله ونشكر الطبيب، بينما انحدرت الدموع من مآقينا جميعًا.

عندما رن جرس هاتفني، قلت لجو: "ربما كان برادي". ولكن عندما أمسكت بالجهاز ونظرت إلى اسم المتصل، صدمت لمعرفة من كان يتصل بي.

كان فاسكيز.

أين هو؟

أكان يعلم أن شريكه تيد سوانسون في العناية المركزة؟ وأن كايل روبرتسون توفي؟ وأن جثتي براند وويتني في المشرحة؟ أجبت الاتصال قائلة: "بوكسر تتحدث".

لم يكن الصوت الذي جاء عبر هاتف فاسكيز هو صوت فاسكيز . كان صوت رجل غير مألوف لي، ولا يتحدث بلكنة مميزة .

" وقع حادث أليم أيتها الرقبة بوكسر، وفاسكيز لا يمكنه إجراء المكالمة " .
 " من معي؟ " .

" استمعي فقط. فاسكيز لا يمكنه الاتصال بأي شخص، أفهمت ما أقوله؟ إنه راقد بلا حراك في موقف سيارات ويكر هاوس. لكن فاسكيز ليس مهمًّا. إليك المهم. أريد ما أخذ مني. أريد ثلاثة ملايين من الدولارات، ومائتي رطل من الماريجوانا الاصطناعية، ومائة كيلوجرام من الهيروين عالي الجودة " .
 قلت: " لا أعرف عن ماذا تتحدث " .

" بل تعرفين. إنها قضيتك. أنتِ المسؤولة. أتمنى أن تعرفي مع أي شخص تتعاملين " .

سألت مجددًا: " من يتحدث؟ " .

" اسمي كينج فيشر. أسألي عني. ستسمعين مني مجددًا، في القريب العاجل يا ليندسي بوكسر. تأكدي من ذلك " .

ملتبة

t.me/t_pdf

وانقطع الاتصال .

قال جو: " ليندسي؟ من كان هذا؟ " .

أجبت متلعثمة: " وو .. وغد كان يضايقني " .

ليت كينج فيشر كان وغدًا عاديًا، لكنه لم يكن كذلك مطلقًا. لقد كان يتصدر قائمة أبطرة المخدرات في البلاد، ومطلوبًا القبض عليه لجرائم تهريب المخدرات والتعذيب والقتل والجريمة المنظمة على طول كاليفورنيا والعديد من الولايات بالشرق .

والآن هو الملك هنا .

هنا لأن بضاعته في ويكر هاوس سرقتها بعض رجال الشرطة، ولم يكن سيعتبرها خسائر وينساها . لم يكن قادرًا على استرداد ممتلكاته من كالهون أو فاسكيز، وكان روبرتسون وبراند وويتني موتي أيضًا .

الشخص الحي الوحيد الذي يعرف مكان بضاعة ويكر هاوس هو شرطي فاسد يعرف باسم " واحد "، واسمه الحقيقي إدوارد سوانسون، لكنه أدخل المستشفى مصابًا بعدة أعيرة نارية ولم يكن متوقعًا أن يعيش .

وهكذا صار كينج فيشر يستهدفني .

شكر وتقدير

نتوجه بخالص شكرنا إلى جميع الخبراء البارزين على توجيهاتهم ومشوراتهم الحكيمة التي ساعدتنا على تأليف هذا الكتاب: المحامي فيليب آر. هوفمان من نيويورك، والنقيب ريتشارد كونكلين من قسم شرطة ستامفورد بولاية كونيتيكت، وهامفري جيرمانوك، الطبيب الشرعي ومحقق الوفيات في مقاطعة ترمبول بولاية أوهايو.

كما نود أيضاً أن نشكر باحثينا الرائعين إنجريد تايلار ولين كولوميلو. وأخيراً، جزيل الشكر لماري جوردان، التي أبقت كل ذلك متماسكاً في وحدة واحدة.

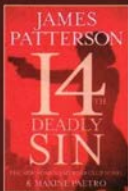
نبذة عن المؤلفين

ابتكر جيمس باترسون شخصيات خيالية مؤثرة أكثر من أي مؤلف آخر على مستوى العالم. وهو مؤلف سلسلة روايات أليكس كروس، أكثر السلاسل البوليسية رواجًا في الخمسة والعشرين عامًا الأخيرة. كما أنه مؤلف للعديد من الروايات التي حققت أعلى المبيعات ومن ضمنها سلسلة نادي السيدات لجرائم القتل، وسلسلة مايكل بينيت، وسلسلة برايفت وNYPD Red. ومنذ أن فازت روايته الأولى بجائزة إدجار في عام ١٩٧٧، باعت روايات جيمس باترسون أكثر من ٣٠٠ مليون نسخة.

كما كتب جيمس باترسون العديد من أفضل الكتب مبيعًا للقراء الصغار، بما في ذلك: Maximum Ride وWitch & Wizard وMiddle School وسلسلة Treasure Hunters. وفي عام ٢٠١٠، حصل جيمس باترسون على لقب كاتب العام في حفل جوائز الكتاب المفضل للأطفال.

كان شغف جيمس باترسون الدائم بالكتب والقراءة هو دافعه لإنشاء موقعه الإلكتروني ReadKiddoRead.com، والذي يمنح البالغين أداة قيمة للعثور على الكتب التي تشجع الأطفال على القراءة مدى الحياة. ويمارس جيمس التأليف بدوام كامل، ويعيش في فلوريدا مع عائلته.

ألقت ماكسين باتيرو ثلاث روايات وكتابين، وشاركت في تأليف ما يزيد على عشرة كتب مع جيمس باترسون. وهي تعيش في نيويورك مع زوجها.



حينما تتعرض مدينة سان فرانسيسكو لحصار ويصبح كل شرطي مشتبهاً به، تخاطر عضوات نادي السيدات لجرائم القتل بحياتهن لكشف غموض جرائم القتل لإنقاذ المدينة وإنقاذ أنفسهن.

في وجود طفلة صغيرة جميلة وزوج محب مخلص، يمكن للمحققة ليندسي بوكسر أن تقول بصدق إن حياتها في أفضل حال. في الواقع، تبدو الأمور على ما يرام لكل عضوات النادي النسائي (على غير العادة). ولكن حفل ميلاد الطفلة الشرعية كليز واشبورن يُقطع بعد قليل من بدايته حينما تستدعى ليندسي للذهاب إلى مسرح جريمة مروعة، حيث قتلت امرأة في وضوح النهار.

وبعد أن شرعت ليندسي في تحري الأمر، ظهر تسجيل فيديو لجريمة أخرى، كان التسجيل مخيفاً أفزع المدينة بأكملها. كان من الممكن للمقتلة المتمرسين في شريط الفيديو والذين يرتدون سترات أفراد شرطة سان فرانسيسكو، ويغطون وجوههم بالأقنعة، أن يكونوا أياً من الأفراد المحيطين بها - وأصبح كل زملاء ليندسي مشتبهاً بهم. وبينما يتعاضم الخوف والغضب في أنحاء المدينة، كان على ليندسي وصديقاتها أن يخاطرن بأرواحهن باسم العدالة، قبل أن يفوت الأوان.

"يصف باترسون المشهد بإيجاز رائع يبرز طبيعة الشخصية، أو يدفع بالحبكة للأمام. إنه الأمر الذي يدير آلة عرض الأفلام في عقل القارئ".

— مايكل كونلي

"يوجد بهذه الرواية من الأحداث، والتقلبات، والمفاجآت، وخطوط الحبكة ما يكفي 14 كتاباً، وأنا لا أبالغ مطلقاً بهذا الشأن".

BookReporter.com —

لقراءة النبذات المختصرة والمعلومات عن المؤلف، زر الموقع الإلكتروني

JamesPatterson.com



لمزيد من المعلومات عن
إصدارات السلسلة بالكامل
زوروا موقعنا على شبكة الإنترنت
www.languageshome-eg.com

بيت اللغات الدولية languages home

ISBN 978-977-827-024-2



9 789778 127024 2